

جامعة أمدرمان الإسلامية

شعبة التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الآداب

الدراسات العليا

علاقة بلاد السودان ببلاد المغرب العربي منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الفاطمي

[ق ١-٥هـ/٧-١١م]

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية

إعداد/ نعمة عبد السلام الحسين

تحت إشراف

د. عبد الرحمن حسب الله أحمد

رئيس قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الآداب

بجامعة أمدرمان الإسلامية

1420 هـ/ 1999م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر

بعد ان أتممت بعون الله كتابة هذه الرسالة أتقدم من الشكر والعرفان باجزله إلى استاذي د. عبد الرحمن حسب الله رئيس شعبة التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية الآداب جامعة أمدرمان الإسلامية الذي قام بالإشراف على هذه الرسالة فأحاطني بكل الرعاية والاهتمام . وتتبع أبواب هذا العمل وفصوله بكل الدقة والأمانة العلمية في توجيهاته وتصويباته القيمة والسديدة والتي كان بفضلها ان خرج هذا العمل إلى النور . أمد الله في عمره ونفع بعلمه طلبته وامته انه سميع الدعاء.

أتقدم بالشكر والعرفان لكل الأساتذة بقسم التاريخ بالجامعة الإسلامية الذين نصحوني وأعانوني في اختيار موضوع الرسالة جزاهم الله عني خير الجزاء.

واجد نفسي اعجز من ان أفي الأخ محمد احمد بمكتبة جامعة الخرطوم الرئيسية حقه من الشكر فقد قدم لي ما لا أستطيع حصره من المساعدات القيمة والمفيدة أمد الله في عمره ونفع به امته. والشكر موصول لكل الاخوة والأبناء بمكتبات الجامعات المختلفة الذين لم يتوانوا في مدي بكل ما احتجته من مصادر ومراجع.

واسجل شكري اللا محدود لكل من تعاون واسهم معي بنصيحة أو فكر أو جهد في إعداد هذا البحث. كما اشكر أفراد اسرتي الذين كان لتشجيعهم وتحملهم لتقصيري في واجباتي نحوهم بكل السماحة والرضاء دور كبير في إتمام هذه الرسالة

وجزى الله الجميع عني خيرا

الباحثة

Scanned by CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الموضوعات

اختصارات

ص صفحة

ت توفى

هـ هجرية

م ميلادية

جـ جزء أو مجلد

J. A. H. — Journal of African History

G.H.A. — General History of Africa

Vol. — Volume

Ibid. نفس المرجع أو المصدر

OP.Cit. المصدر أو المرجع السابق

Camb.H.A. — Cambridge History of Africa


المُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

لعبت الاتصالات بين بلاد المغرب العربي وبلاد السودان ، جنوب الصحراء، دورا كبيرا وهاما في تاريخ منطقة غرب إفريقيا بوجه عام. فالعلاقات بين الجانبين قديمة، سبقت الفتح الإسلامي للشمال الإفريقي، إلا أنها تنامت بدخول الإسلام للمنطقة. فالإسلام رسالة عالمية، لذلك وجب على المسلمين الأوائل أن يعملوا على نشره وتبليغه لغيرهم حتى يعم أرجاء المعمورة. وتحقيقا لهذا الهدف خرج المسلمون من بلاد المغرب مقتحمين الفيافي لإيصال صوت الإسلام لاماكن كانت معرفة العالم بها في حكم العدم، في العصور التاريخية الوسيطة، لولا دخول المسلمين المنطقة. وعبر هؤلاء المسلمين من عرب وبربر، وعبر قناة التجارة، دخلت الكثير من المؤثرات الثقافية، والسياسية، فنتج عن ذلك قيام الممالك والامبراطوريات في الحزام السوداني، واصطبغت المنطقة بطابع عربي إسلامي، ربطها اكثر بالمنطقة شمال الصحراء وجعلها تتأثر وتتفاعل مع الأحداث المتعاقبة على بلاد المغرب.

أهمية البحث:

هناك جوانب من العلاقات المغربية السودانية في فترة العصر الوسيط لا زالت تحتاج إلى إجراء المزيد من البحث لتزداد حقائقها وضوحا. كما ان كل مرحلة من مراحل هذه العلاقات تحتاج لان تختص بدراسة واهتمام لكشف خبايا جوانبها ونفض الغبار عن حقائقها. وبالرغم من الكم الكبير الذي كتب عن هذه العلاقات، فهناك الكثير الذي ما زال ينتظر التحقيق والتثبت وإعادة النظر، بناء على ما يستجد من أدلة تسفر عنها البحوث الأثرية والتجارب المعملية، لتوضيح ما ترتب على هذه العلاقات من آثار سياسية واقتصادية وثقافية.

مبررات اختيار الموضوع:

دفعني للبحث في هذا الموضوع شح الدراسات والبحوث في هذا الموضوع خلال الحقبة الزمنية المذكورة.

تزايد الأهمية للعلاقات العربية الإسلامية الإفريقية مع نـدرة وجهة النظر العربية الإسلامية في مثل هذا الموضوع، كانت دافعا لاختيار مثل هذا الموضوع.

ظهور مادة حديثة مبنية على ما أسفرت عنه الدراسات الناتجة عن التحليلات العلمية في المواقع الأثرية بمنطقة بلاد السودان، مؤكدة أو داحضة لما كان سائدا من أفكار.

نطاق البحث الزمني:

يبدأ البحث من القرن الأول الهجري / السابع الميلادي، فهذا القرن كان بداية عهد جديد في بلاد المغرب، ليس من ناحية وقوعه تحت راية الإسلام فقط، بل من حيث تميز العهد الجديد عما سبقه من عهود، بانفتاحه نحو داخلية البلاد منذ البداية. فتوغل العرب المسلمين جنوبا أدى لانفتاح طرق الصحراء المؤدية إلى بلاد السودان، وبالتالي أسرع بعملية الاتصال بين الشمال والجنوب.

القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، حدد نهاية زمنية لهذا البحث، نسبة لان هذا القرن قد شهد تطورا آخر في الشمال الإفريقي، وهو اكتمال استقلال المغرب، وذلك بخلع الزيريين لطاعة الفاطميين. فتكون الدراسة قد تعرضت للعلاقات بين بلاد المغرب والسودان في الفترة التي وقع فيها المغرب تحت حكم العناصر العربية المسلمة القادمة من الشرق.

مشكلات البحث:

إلقاء الضوء على هذه الحقبة التي لم تزل غامضة من تاريخ العلاقات بين بلاد المغرب وبلاد السودان، وذلك بالبحث في العلاقات السياسية المبكرة بين الطرفين في ظل المتغيرات السياسية في بلاد المغرب والسودان، والدور الرائد للأنظمة الحاكمة في دفع هذه العلاقات إلى الأمام في كل من الجانبين.

إظهار النمو في العلاقات التجارية بين المنطقتين منذ الفتح الإسلامي للشمال الإفريقي وحتى نهاية النفوذ العربي الرسمي في بلاد المغرب، ومدى استفادة كل جانب من هذه العلاقات الاقتصادية

إبراز ما منحته الاتصالات السياسية والاقتصادية من آفاق للتغلغل الثقافي، مع تسليط الضوء على المتغيرات السياسية والثقافية الحضارية التي ترتبت على تلك الاتصالات، والدور الذي لعبه المغاربة في تطوير الحضارة السودانية.

موقع الدراسة من الدراسات السابقة:

لم تعن الدراسة جزءاً من بلاد المغرب لتتناول علاقته مع جزء آخر من بلاد السودان في فترة معينة من تاريخ المنطقتين، خلال الفترة التي خضعت فيها منطقة الشمال الإفريقي لحكم العناصر العربية الإسلامية القادمة من الشرق، بل جاءت شاملة لعلاقة كل بلاد المغرب العربي مع بلاد السودان الأوسط والغربي، حتى نعطي صورة واضحة متكاملة لما حققته تلك العلاقات، في ظل حكم عربي إسلامي، من نتائج.

منهجية البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي، التحليلي التطبيقي الاستنتاجي. وجاءت الدراسة في ثلاثة أبواب رئيسة ينقسم كل منها إلى عدة فصول تسبقه مقدمة تشتمل على تقويم للمصادر، ثم فصل تمهيدي تناول منطقتي البحث بالتعريف. يلي ذلك خاتمة للبحث، ثم قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث، مع مجموعة من الخرائط التوضيحية.

الفصل التمهيدي: تناول تعريف منطقتي البحث، من حيث التسمية ، الأحوال الجغرافية والسكان. ثم تناول علاقات بلاد المغرب ببلاد السودان في الفترات التاريخية التي سبقت الفتح الإسلامي للشمال الإفريقي، من فينيقيين ورومان . ثم تحدث عن معرفة العرب السابقة للمنطقتين قبل بدء حملاتهم الرسمية على الشمال الإفريقي.

الباب الأول: شمل ثلاثة فصول. وتحدث عن العلاقات السياسية

الفصل الأول: تحدث عن العلاقات السياسية، غير الرسمية المتمثلة في الهجرات القبلية والفردية

الفصل الثاني: تناول الجهد الرسمي في العلاقات السياسية.

الفصل الثالث: تتبع العلاقات المغربية السودانية خلال فترة دويلات المغرب المستقلة، ثم الفاطميين، والمرابطين.

الباب الثاني: العلاقات الاقتصادية بين بلاد المغرب وبلاد السودان.

اشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: تحدث عن نمو التجارة العابرة للصحراء وتطورها في الفترات التاريخية المختلفة. ثم تناول السلع التي تبادلها الجانبان

الفصل الثاني: تناول موضوع الوسطاء في التجارة العابرة للصحراء. ثم تحدث عن النظم التجارية.

الفصل الثالث: تناول موضوع الطرق عبر الصحراوية. ثم تحدث عن المراكز التجارية على نهايات تلك الطرق الشمالية والوسطى والجنوبية.

الباب الثالث: تناول العلاقات الثقافية والحضارية بين الجانبين. فاشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: انتشار الإسلام في بلاد المغرب وعبره في بلاد السودان، متناولا العوامل والوسائل التي ساعدت على ذلك.

الفصل الثاني: تحدث عن التعريب. متناولا تعريب بلاد المغرب أولا، ثم انتشار التعريب عبر المغاربة في بلاد السودان.

الفصل الثالث: تناول الأثر الثقافي والحضاري المغربي على بلاد السودان. ثم تناول بالبحث بعض المراكز الثقافية على الجانبين.

تقويم المصادر:

تطلب إعداد هذا البحث الرجوع إلى أصناف عدة من الكتب والمؤلفات، فبالإضافة إلى كتب التاريخ البحث هناك كتب في الجغرافيا والأنساب واللغة والطبقات والتراجم والفقه وغير ذلك، ومع ان كل منها يعالج موضوعا بعينه الا أنها تضمنت مادة علمية في غير تخصصها، وهي في هذه الحالة تعتبر مصادر مساعدة. أما الاعتماد الرئيسي فقد كان على المصادر التاريخية والجغرافية وكتب الطبقات.

مصادر تاريخية:

مصادر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي .

ابن الصغير المالكي : تاريخ أئمة الدولة الرستمية

سجل هذا المصدر تاريخ الدولة الاباضية الرستمية.

ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (ت 275هـ/871م)

يعتبر من اقدم المصادر التي وصلتنا كتاب فتوح مصر والمغرب ويمثل هذا الكتاب الرواية المصرية لأحداث فتح المغرب. يروي ابن عبد الحكم الحوادث مع ذكر رجال السند الذين رووها من أمثال الليث بن سعد (ت 175هـ/791م) ويزيد بن أبى حبيب (ت 128هـ/746م) وغيرهم.

اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب جعفر بن واضح (ت 284هـ/897م)

في كتابة التاريخ تحدث عن ممالك السودان، وامم السودان ومعادن السودان كما أرخ فيه للبربر

البلاذري، احمد بن يحي (ت 279هـ/893م)

فتوح البلدان؛ كتاباته اكتسبت أهمية خاصة لقربه من الخلفاء العباسيين مما يجعل كتاباته تستند إلى وثائق رسمية، وتميز أيضا بروايته للأحداث بأسانيدها. من مصادره الليث بن سعد ونافع مولى آل الزبير وابن الكلبي والواقدي.

كتاب القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي:

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/923م)

تاريخ الرسل والملوك. أورد عن المغرب أخبارا كانت على قلتها مفيدة.

(5م)

كتاب القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي:

الرقيق القيرواني، أبو اسحق إبراهيم بن القاسم (ت 417هـ/1026م)

كتابه تاريخ إفريقية والمغرب تناول تاريخ المغرب من الفتح الإسلامي حتى القرن الخامس الهجري، سهل عليه مهمة جمع معلوماته شغله لمنصب ديوان الرسائل في الدولة الصنهاجية لفترة عشرين عاما.

من كتاب القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي:

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد (ت 630هـ/1232م)

الكامل في التاريخ؛ أعطي فيه معلومات موسعة عن فتح بلاد المغرب، رواياته متعددة أخذها عن رواة مشارقة ومغاربة.

ابن عذاري المراكشي (ت 695هـ/1295م)

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: من أهم المصادر التي أرخت لبلاد المغرب من الفتح الإسلامي حتى القرن الرابع الهجري. تضمن الكتاب علاوة على النواحي التاريخية إشارات للنواحي الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية وتراجم لبعض الشخصيات .

كتاب القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي:

النويري احمد بن عبد الوهاب (ت 732هـ / 1332م)

نهاية الارب في فنون الأدب: خصص الجزء الثاني والعشرين منه لتاريخ المغرب والأندلس هو يبحث في الفترة 27 - 719هـ / 647 - 1319م، وضم معلومات تفصيلية كثيرة. قام بتحقيق هذا الجزء مصطفى أبو ضيف احمد ونشره تحت عنوان تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

لسان الدين بن الخطيب (713 - 776هـ/1313م - 1374م)

تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط: القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، قام بتأليفه في الفترة 776/774هـ تناول فيه جميع عهود السلاطين والخلفاء المسلمين في بلاد المغرب شرقا وغربا وهو تاريخ إسلامي عام يشبه كتاب "العبر" الذي كتبه معاصره وصديقه، عبد الرحمن بن خلدون. وينتهي الكتاب ببداية عهد الموحدين، واكتملت فائدة الكتاب العلمية بما قام به المحققان من تعليقات وشروح وتعريفات عن الأحداث الهامة والمدن والشخصيات التي أوردها المؤلف في النص بدون تعريف فجاءت الاستفادة من المصدر عامة.

كتاب القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي

ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/1406م)

كتابه: العبر، من كتب التاريخ العام أعطى فيه تاريخ المغرب حيزا كبيرا. فحص فيه الأحداث التاريخية من جوانبها الاقتصادية والجغرافية والاجتماعية فصل أخبار البربر وأصولهم ومواطنهم وقبائلهم. تناول ممالك السودان وعلاقاتها بالشمال، ومواكب حج السلاطين، كل ذلك في الجزء السادس من المؤلف. استقصى معلوماته من مؤرخين مشارقة ومغاربة واخذ عن البكري، المسعودي، ابن عذاري والطبري وآخرين.

القلقشندي أبو عباس احمد بن علي (ت 821هـ/1418م)

صبح الأعشى في صناعة الانشا: تناول فيه ممالك المغرب من الشرق إلى الغرب بكل التفاصيل من حدود وجغرافية وأحوال اقتصادية وسياسية واجتماعية وقواعد ومراكز هامة، ثم تناول منطقة بلاد السودان فتحدث عن بلاد برنو وكانم، واكثر ما كان تركيزه على بلاد مالي، التي اعتمد في معلوماته عنها على ما أورده العمري. في النواحي الاقتصادية تحدث عن استخراج الذهب وتسويقه وعن النحاس والملح. لم يتعرض للطرق الصحراوية. وتحدث عن دخول الإسلام وانتشاره في كل من بلاد المغرب والسودان.

المصادر الجغرافية:

ما كتب منها في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي

اليعقوبي: كتاب البلدان الملحق بكتاب الأعلاق النفيسة لابن رسته. وهو من أوائل المؤلفات التي ورد فيها وصف للطرق والتجارة، فيه وصف للطريق من سجلماسه إلى غانا. وتحدث عن زويلة كمركز لتجارة الرقيق. وصف بلاد المغرب ومدنها، سكانا وأحوالا اقتصادية تحدث عن الاباضية ومراكزهم.

ابن الفقية، أبو بكر احمد بن إبراهيم الهمداني (ت 290هـ/903م)

مختصر كتاب البلدان: وهو الجزء الوحيد الذي وصل إلينا من خمسة أجزاء. فيه وصف للطرق الرابطة بين المغرب الأقصى وبلاد السودان، ووصف للطريق من غانا إلى مصر، وتضمن بعض المعلومات عن مملكة غانا

كتاب القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي:

ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت 367هـ/977م)

صورة الأرض: بحكم مهنته كتاجر، طاف أقاليم المغرب حتى وصل اوداغست من بلاد السودان وتحدث عن الصحراء الغربية وصف الطرق الرابطة بين بلاد المغرب والسودان، من الجهة الغربية والشرقية، وصفه كان خاليا من التفاصيل حتى قيل بعدم دخوله اوداغست. وصف النشاط التجاري بين المغرب الأقصى وبلاد السودان ودور البربر فيه. فيما عدا

الباحثين. قام برحلته إلى بلاد السودان سنة 752هـ الموافق 1352م، واصفا طريق رحلته من سجلماسة، عبر تغازا، إلى بلاد غانا، متتبعا مجرى نهر النيجر حتى انحناءته. طريق رجعته كان عبر كوار. وفي كل هذا أعطى وصفا كاملا شاملا لمختلف نواحي الحياة. وقد كان ابن بطوطة من معاصري العمري، صاحب كتاب مسالك الإبصار.

كتب التراجم والطبقات:

المالكي، عبد الله بن محمد بن عبد الله (453هـ/1061م) أو (450هـ/1058م)

رياض النفوس:

اقتفى اثر أبى العرب تميم في كتاب طبقات علماء إفريقيا وتونس (ت 333هـ/944م) وكتاب الطبقات للخشني، (ت 366هـ/976م) وهو إضافة لما جاء في الأول، في الترجمة لكثير من الصحابة والتابعين الذين شاركوا في فتح بلاد المغرب كما جلب سيرة معاصريه من علماء أفريقية. وقد تصدرت كتاب الرياض بعض التفاصيل عن فتح بلاد المغرب من سنة 21هـ الموافق 641م وحتى نهاية ولاية حسان بن النعمان سنة 84هـ الموافق 703م. ومما زاد من قيمة الكتاب، المقدمة التاريخية التي صدر بها المؤرخ حسين مؤنس الكتاب.

استفادة الباحث من هذه المصادر وغيرها يتضح في حواشي الفصول المختلفة لهذه الرسالة.


فصل تمهيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل تمهيدي

تعريف بلاد المغرب:

المنطقة المسماة شمال أفريقيا، في وقتنا الراهن، هي المنطقة الواقعة بين البحر الأبيض المتوسط شمالا، والصحراء الكبرى جنوبا،وبين خليج سرت شرقا، والمحيط الأطلنطي غربا[1].
اطلقت تسميات عدة على الشمال الأفريقي خلال تاريخه الطويل، منها ليبيا[2]: أطلقه الاغريق، ثم جاء الرومان ليطلقوا اسم أفريقية[3]، بداية على الإقليم الذي يقابل اليوم الجزء الشمالي الشرقي من جمهورية تونس[4] . اخذ العرب اسم أفريقية عن البيزنطيين وأطلقوه على كل ما يلي مصر غربا وحتى المحيط الأطلنطي، فيما عدا ولايتي برقة وطرابلس[5].

---

[1] بل الفرد ، الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ط2 ،بيروت 1981، ص 38

[2] محمد مصطفى بازامة، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، بنغازي 1963، ص 16-17

E.W. Bovill , The Golden Trade of the Moors, 2nd ed. , New York, 1968 , P46 .

هيرودوت، تاريخه، الكتاب 4 ،ص 168 – 199 ؛الظاهر احمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، مصر 1963، طبعة 2، ص 11،13 .

[3] اصبح لفظ افريقية يعني لدى الكتاب الغربيين القارة كلها، لذلك اقترح على مجمع اللغة العربية ان يكتب اسم القارة "افريقيا" وان يختص المصطلح العربي بالتاء "افريقية" . الدرديري حسن اسماعيل البيلي ،"الحياة الفكرية في بلاد المغرب، في عصر الاغالبة – الثالث الهجري – التاسع الميلادي"، رسالة دكتوراه، جامعة امدرمان الاسلامية 1992 ، ص 42.

[4] الحسن محمد الوزان الفاسي (ليون الافريقي) ، وصف افريقيا، ج1 ،ط2 ، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر، 1983 ص 27؛ جوليان شارل اندرية، تاريخ افريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي، تونس 1969م ص 11

[5] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، بدون تاريخ،ص 232؛ ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، في اخبار الاندلس و المغرب، جـ1 ،1948 ، ص 8؛ ابو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب، 1857 ، ص 21

ولإفريقية مفهومان : أحدهما عام يعادل مفهوم الغرب كله، والآخر خاص ويعني الأجزاء الشرقية، وهو ما يعرف عند العرب بالمغرب الأدنى[1] . ثم بدأ اسم أفريقية يتقلص وبــدأ اســم المغرب في الظهور، وهو لفظ مرادف للفظ أفريقية عند العرب[2]، وسرعان ما غلب على لفـظ أفريقية واصبح يعني المنطقة التي تلي مصر غربا حتى بجايه[3] ثم اصبح يعني، في العصـــور المتأخرة ،المنطقة من بجايه حتى المحيط الأطلنطي[4] . ومن المؤرخين مـــن يــرى أن لفـظ المغرب شامل لكل الإقليم غرب مصر، حتى المحيط الأطلنطي، وتتوسطه أفريقيــة[5]. وادخـل البعض بلاد الأندلس في تعريفه لبلاد المغرب[6].

حدود بلاد المغرب الشمالية هي البحر الأبيض المتوسط، والجنوبية الصحراء الكـبرى[7]. تحده من الشرق مصر، ومن الغرب، المحيط الأطلنطي[8]. وكلمة مغرب، هي في اصل وضعها، اسم إضافي يدل على مكان من الأمكنة باضافته إلى جهة المشرق، ومشرق باضافته إلى جهـة الغرب[9]. وهذه المنطقة تسمى ألان المغرب العربي الكبير وهو عبارة عن جزيرة تحيـط بــها المياه من ثلاث جهات .

---

[1] دائرة المعارف الاسلامية ،جـ2 ، ص 337

[2] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 246 – 260

[3] ياقوت الحموي، معجم البلدان ،جـ1، ص 322

[4] حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، القاهرة 1947 ، ص 2 ؛ عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، جـ1 ، بيـــروت ط2 ،1965، ص 160

[5] المقدسي، المعروف بالبشاري، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط ليدن الثانية، 1909م، ص 216 ؛ ابن حوقل، ابي القاسم النصيبي، صورة الأرض، بيروت ،1962 ، ص 40 ؛ ليـــون الافريقـــي، وصف افريقيا، ص 27 حاشية (1) ؛ السيد سالم عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، ط2 ، الاسكندرية ،1982م، ص 40

[6] ابراهيم بن محمد الفارسي، الاصطخري، مسالك الممالك، معدل عن كتاب صور الاقاليم، للشيخ ابي يزيد احمد بن سهل البلخي، تحقيق م. ج دي غوي،طـ2 ، 1927م ، ص 36-37 ؛ عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تحقيـــق محمـــد ســعيد العريـــان، القاهرة، 1963م، ص 27 – 29

[7] البكري، المغرب، ص 21، 102؛ عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العـــرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشان الاكبر، ضبط خليل شحاته، ط1 ، دار الفكر 1981م ، ص 129- 131

[8] نفس المصدر، ص 133

[9] نفس المصدر، ص 128

اصطلح المؤرخون على تقسيم بلاد المغرب إلى أقسام كبيرة حسب قربها أو بعدها من مركز الخلافة الإسلامية في المشرق: (1) برقة وطرابلس، وهي أول كور المغرب من جهة الشرق. اخرج بعض المؤرخين برقة وقالوا ببداية بلاد المغرب بطرابلس[1]. (2) أفريقية: وتعتبر أول أقاليم المغرب الحقيقي[2] ، وتمتد من خليج سرت حتى بجاية غربا[3]، فيما بعد الفتح الإسلامي عرفت بالمغرب الأدنى[4]، قاعدته مدينة القيروان، وهو ديار بني يفرن ونفزاوة ونفوسة، من البربر[5]. (3) المغرب الأوسط، يمتد من تاهرت إلى وادي ملوية وجبال تازا غربا قاعدته مدينة تلمسان وجزائر بني مزغنة، وهو في الغالب ديار زناتة[6] (4) المغرب الأقصى: يبدأ من وادي ملوية مع جبال تازا شرقا، وغربا حده البحر المحيط، من الشمال البحر الأبيض المتوسط، ومن الجنوب جبال درن[7]. وهو في الغالب ديار المصامدة. قاعدته كانت في البدء طنجة[8] ثم أصبحت فاس[9] ثم مراكش[10]. ويعرف المغرب الأقصى أيضا ببر العدوة[11]. (5) بلاد السوس: وهي ما يلي المغرب الأقصى من جهة الجنوب. وتنقسم إلى : بلاد تامسنا، التي تعرف

---

[1] ابو العباس احمد بن خالد، الناصري، الاستقصاء، لاخبار دول المغرب الاقصى، جـ1، تحقيق جعفر ومحمد الناصري، الدار البيضاء 1954م، ص 65

[2] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 246 – 260 ؛ سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، من الفتح حتى قيام دولة الاغالبة الرستميين والادارسة، دار المعارف مصر، 1965م ،جـ1 ، ص 9

[3] ابن خلدون، العبر، جـ6 ،ص 135؛ ياقوت، معجم البلدان، جـ1، ص 322 ؛الظاهر احمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ص 40

[4] الناصري، االمصدر السابق، ص 71 ؛ احمد بن علي، القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، تعليق نبيل خالد الخطيب، جـ5، ط بيروت 1987 م، ص 97

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 135

[6] [illegible] ،المصدر [illegible]، ص 134؛ الناصري،المصدر السابق ، ص 63؛ القلقشندي، المصدر السابق ، ص 64

[7] الناصري، المصدر السابق، ص 64 ؛ حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، القاهرة، 1957م ص 13

[8] البكري، المغرب، ص 109؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جـ1 ص 5

[9] نفس المصدر ، ص 118

[10] ياقوت، معجم البلدان، ج 4 ص 230

[11] القلقشندي، المصدر السابق، ص 147

بالسوس الأدنى، وحدها الجنوبي جبال درن. الجزء الاخر بلاد ماسة، وتتصل ناحية الجنـــوب بالصحراء المؤدية إلى بلاد السودان[1].

وقد عرفت بلاد المغرب أيضا عند الجغرافيين باسم أفريقيا الصغرى، لاستقلالها عن بقية اجزاء القارة الافريقية[2]. وتعتبر جغرافيا جزءا من حوض البحر الأبيض المتوسط[3]. تحدها من الشمال سلسلة جبال الريف[4] ومن الجنوب سلسلة جبال اطلس ودرن[5]. وهذه السلاسل تشتمـــل على جبال اوراس والزاب وتجري خلالها الأنهار[6]، وتنحصر بينها هضبـــة الشطـــوط، وفـــي الشمال منها ممر تازا، المدخل الوحيد للمغرب الأقصى[7].

سهول المغرب الداخلية الهامة، المتكونة حول وديان الأنهار،هي سهل ملوية، وتلك التي تقع حول الواحات التي تسمى بلاد قسطيلة، والواحات المتواجدة جنوب إقليم طرابلـــس، فـــي منطقتي فزان وودان[8].

وقد سميت بلاد المغرب باسم بلاد اطلس تأكيدا لسطحها الجبلي[9] . اكثر بـــلاد المغـــرب عزلة هو المغرب الأقصى، ولذلك فهو اقلها عرضة للغزوات التي تأتى من ناحيـــة الشـــرق،

---

[1] ابن عذاري، البيان المغرب، جـــ1، ص 5-6 ؛ ليفي بروفنسال، دائرة المعارف الاســـلامية، ج5، ص 427

[2] جيهان دايزنج، "البربر الاصليون" ،تاريخ افريقيا العام، يونسكو، مجلـــد2، فصـــل 17، ص 433 – 434

[3] يسرى عبد الرازق الجوهري، شمال افريقيا : دراسة فـــي الجغرافيـــة التاريخيـــة، دار الجامعـــات المصرية، 1970م، ص 20

[4] الريف في اللغة المنطقة القريبة من الماء. وهي هنا اسم علم للمنطقة الجبلية الممتـــدة فـــي شمـــال المغرب الاقصى، وجزءها الاساسي اطلس التل، وتسمى عند البعض، نكور. لسان الدين الخطيب، المغرب العربي في العصر الوسيط ،ج3، من كتاب اعمال الاعلام، تعليق احمد مختـــار العبـــادي، الدار البيضاء 1964م، ص 171؛ احمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب، والاندلس، الاسكندرية، بدون تاريخ، ص 14

[5] ابن خلدون، العبر، جـــ6، ص 131؛ السيد سالم عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الاســـلامي، ص 44

[6] ليون الافريقي، وصف أفريقيا الشمالية و الصحراوية، ص 71-72

[7] البكري، المغرب، ص 141 ؛ ليون الافريقي، المصدر السابق، جـــ 1 ،ص 354، جـــ2 ،ص 249

[8] ليون، المصدر السابق، ص 71 – 72 ؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ص 135

[9] احمد مختار العبادي، [illegible]، ص14

بينما إقليم برقة وطرابلس مفتوح أمام التأثيرات الخارجية[1].

طبيعة بلاد المغرب لها اثر حاسم على مصيرها التاريخي، فانقسامها إلى ولايات اضعف وحدتها السياسية خلال العصور المختلفة. امتداد السلاسل الجبلية في خطوط متوازية، سهل الاتصال الشرق - غرب، بينما أقام الحواجز بين الشمال - جنوب. كما أكسبت الطبيعة الجبلية سكان المغرب خشونة وشجاعة وحباً للقتال وحدة في الطبع وعناداً، فقاوموا الفاتحين لبلادهم على مر العصور متحصنين بالجبال[2].

سكان بلاد المغرب:

الروم: استوطنت جماعات منهم الشمال الأفريقي قبل البربر[3] وعند الفتح الإسلامي كانوا يسكنون المدن الساحلية المحصنة بدءا ببرقة وانتهاء بطنجة[4]

اليهود: كانت هجرتهم للمغرب على دفعات[5] وورد ذكر وجودهم في الكثير من المدن المغربية[6].

الافارقة: اشارت المصادر إلى هذه الفئة من السكان بهذا الاسم وأحيانا بالافارق، أو عجم أفريقية أو الافارقة الأعاجم[7]. وهم خليط من القرطاجانيين - اللاتين والوطنيين، وفي بعض الاحيان نسبوا إلى اصول رومية[8].

السودان: لم تذكر المصادر صراحة وجودهم كتكتل سكاني في الشمال الأفريقي، غير ان اتصالهم ببلاد المغرب قديم. ذكرهم المؤرخون القدماء باسم الاثيوب. وهناك ما ينم عن

---

[1] السيد عبد العزيز سالم ،تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، ص 43

[2] ليون الافريقي، وصف افريقيا، جـ 1 ،ص 66 ؛ابن خلدون، العبر، ص 136

[3] نفس المصدر، ص 116 ؛ الناصري، الاستقصاء، جـ1، ص 53

[4] ابن عذاري، البيان المغرب، جـ1، ص 9 - 26

[5] L.G. Briggs ,Tribes of the Sahara, London 1960 , P. 90 , E.W. Bovill, The Golden Trade of the Moors, P. 50

[6] البكري، المغرب،ص 9 - 15 - 85 - 115 ؛ الشريف الادريسي، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ماخوذ عن نزهة المشتاق في اختراق الافاق، نشر هنري بيريس، الجزائر 1957م، ص 99؛ عبد الرحمن زكي، تاريخ الدول الاسلامية السودانية، 1961، ص 22

[7] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 170؛ احمد بن وهب بن واضح اليعقوبي، كتاب البلدان، المجلد 7، من كتاب الاعلاق النفيسة، تصنيف ابن رستة، ليدن 1891م ،ص 347 - 348 . البكري، المصدر السابق، ص 17 - 56 - 114

[8] ابن الحكم، المصدر السابق، ص 218؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ص 221

استقرار بعضهم في بلاد المغرب[1]، واندمجوا في المغاربة واعتنقوا الإسلام بعد دخولـه بـلاد المغرب،وكان لهم تأثير في حياة البلاد السياسية[2].

البربر[3]: يسمون أنفسهم الامازيغ[4]. هم أول ما عرف التاريخ المسجل من سكان المغرب، اثار اصل البربر والمنطقة التي هاجروا منها كثير جدل بين علماء الأنساب والمؤرخين. ينقسم البربر اجتماعيا إلى مجموعتين : البرانس، واكبر فروعهم صنهاجة الذين أتى منهم بنو زيري، حكام أفريقية والمرابطين. القسم الثاني، هم البتر، واكبر فروعهم زناته[5]. ومهما كانت أسباب تسمية المجموعتين فالفوارق بينهما ليست عنصرية إلا أنها كانت سببا في عداء مستحكم بينهما[6]. وقد استغل كثير من الفاتحين لبلاد المغرب، هذا العداء لتوطيد نفوذهم في تلك البلاد[7].

دين البربر:

تفشت الوثنية بين البربر قبل الفتح الإسلامي، خاصة الأماكن الداخلية، الخارجة عن نفوذ السلطات الحاكمة[8]، وان كان بعضهم على المجوسية[9]. أما المسيحية فقد اعتنقها من البربر

---

[1] الإدريسي، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية ، ص 22؛ البكري؛ المغرب؛ ص 11؛ جيهان دايزنج، "البربر الاصليون" ،ص 436 – 438 ؛ Briggs ,Tribes of the Sahara., P. 67 ;Bovill, The Golden Trade of the Moors, P. 46

[2] البكري، المصدر السابق، ص 149 الادريسي، المصدر السابق، ص 37 – 38

[3] في اصل التسمية انظر: محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، جـ4 ،دار صادر، بيروت، ص 55-56 ؛الفيروز ابادي القاموس المحيط ،جـ1 دار الجيل، ص 384؛ ابن خلدون، العبر،ص 117 ؛محمد بن جرير الطبري، تاريخ الامم والملوك، جـ1 ،تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ص 442

[4] محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير ،جـ1، 1964، ص 25 .

[5] الاصطخري، المسالك والممالك، ص 44 ؛ابن حوقل، صورة الأرض، ص 101 ؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ص 117

[6] السيد سالم عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، ص 50

[7] حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 31

[8] البكري، المصدر السابق، ص 12 – 161 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ص 24و 26؛ الناصري، الاستقصاء، جـ1 ص 53؛ ليون الافريقي، وصف افريقيا ص 67

[9] ابن عذاري، المصدر السابق، ص 24؛ الناصري، المصدر السابق، ص 53

سكان السواحل المتأثرين بالرومان والبيزنطيين[1]، فضلا عن ان بعض جماعات من البربر كانت قد إعتنقت اليهودية[2].

لغة البربر:

لغة البربر ألام متعددة اللهجات[3] وتسمى اللغة الليبية - البربرية، وتنتمي إلى عائلة الحامية - سامية[4]. وجدت أمثلة مكتوبه منها في الصحراء وتسمى "تيفيناغ"[5] . يرى بعض المؤرخين ان ليس للبربر لغة مكتوبة غير تلك المرسومة بالحروف اللاتينية[6].

تعريف بلاد السودان[7]:

السودان لفظة مع جلاء معناها العربي مبهمة المفاد من حيث إطلاقها على بلاد معلومة أو امة معينة. وكمصطلح جغرافي فان حدودها غيرمتفق عليها ولكن غالبا ما توضع بين البحر الاحمر والمشارف الغربية لهضبة الحبشة، حتى المحيط الأطلنطي، من الشرق إلى الغرب، وبين الصحراء الكبرى وغينيا العليا، من الشمال إلى الجنوب[8].

---

[1] البكري، المغرب، ص 9 – 33 – 76 – 107 – 108 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ص 36 – 38 ؛ سير توماس ارنولد، الدعوة الى الإسلام، ترجمة حسن ابراهيم، وعبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة، ط2، 1957، ص 144

[2] البكري، المصدر السابق، ص 9 – 85 – 90 – 115 – 148 – 149 ؛ الادريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 99؛ ليون الافريقي،وصف افريقيا، ص 67

[3] احمد صقر مدنية المغرب العربي، ص 45؛ احمد مختار العبادي، تاريخ المغرب والاندلس، ص 15

[4] ب. سلامة ، "الصحراء في التاريخ القديم" ، تاريخ افريقيا العام، اليونسكو، مجلد 2 ، فصل 20، ص 534

[5] نفس المرجع، ص 535 ؛ ليون الافريقي، المصدر السابق، ص 69 – 71، حاشية 8

[6] نفس المرجع، ص 69

[7] جاءت كلمة سودان من جذور عربية وهي تعني داكن البشرة، لم يقتصر استعمال العرب لهذه الكلمة على اقليم شماله الصحراء وجنوبه خط الاستواء، بل كانت تشمل عندهم كل من هم غير بيض، من كل ما عرفوه من القارة الافريقية، وما سواها من المعمورة.

Sir Richard Palmer, Bornu Sohara & Sudan , London 1936 , P.1

عثمان سيد احمد البيلي، "الاصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية بغرب افريقيا" ، مجلة دراسات افريقية، العدد الأول الخرطوم 1985، ص 28 –29

[8] لحدود بلاد السودان انظر : الاصطخري، مسالك الممالك، ص 40؛ زكريا بن محمد بن محمود القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1960، ص 24؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ 5، ص 263؛ المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص 241 ؛ ابن =

يتفق المؤرخون المحدثون على تقسيم بلاد السودان بوجه عام اقليميا إلى ثلاث مناطق:

السودان الشرقي: ويشمل الحوض الاعلي لنهر النيل فقط. وهو جمهورية السودان الحالية. يمتد/من منابع النيل جنوبا حتى حدود مصر الجنوبية شمالا. ومن النيل إلى البحر الاحمر، باستثناء الحبشة، شرقا، ومن النيل إلى وداي من السودان الأوسط غربا[1].

السودان الأوسط: وهو المحصور بين دارفور ونهر الكنغو شرقا، تحده الصحراء من جهة الشمال، ونهر النيجر من جهة الجنوب، ويشمل حوض بحيرة تشاد مع بعض اجزاء من نيجريا وافريقيا الوسطى[2].

السودان الغربي: يشمل حوض نهر السنغال ونهر غامبيا والمجرى الاعلى لنهر فولتا والحوض الأوسط لنهر النيجر[3].

اصبح مدلول لفظ السودان يضيق مداه كلما امتد تخطيط الحدود السياسية حتى انتهى الامر إلى انشطاره إلى محورين شرقي وغربي. الشرقي هو سودان وادي النيل، أما الغربي فهو ما اصبح يعرف بغرب أفريقيا، ويمتد من المحيط الأطلنطي غربا، حتى بحيرة تشاد شرقا[4]. هذه المنطقة عرفت أيضا باسم بلاد السودان، وعلى هذه التسمية الاخيرة كان عنوان هذا البحث علاقة بلاد السودان ببلاد المغرب. ونسبة لانتشار الحضارة العربية الإسلامية بهذه المنطقة اسماها بعض الكتاب "ارض زنج العرب"[5]

تاريخ غرب أفريقيا وطرق الحياة فيها تاثرت بعمق بالمؤثرات البيئية التي على راسها مناخها المتميز بالمدى الأقصى للحرارة. تغطي المنطقة احزمة بيئية هي من الجنوب للشمال:

=خلدون، العبر، جـ6، ص 264؛، ابن حوقل، صورة الأرض، ص 15 – 16 ؛ دائرة المعارف الاسلامية، جـ5، ص 317؛ ليون الافريقي، وصف افريقيا، ص 29

[1] دائرة المعارف الاسلامية، جـ 5 ، ص 317؛ الشاطر عبد الجليل بصيلي، تاريخ حضارات السودان الشرقي والاوسط من القرن السابع إلى التاسع عشر الميلادي، القاهرة ، 1972 ، ص 29

[2] دائرة المعارف الاسلامية، جـ 5 ، ص 517 ؛ احمد شلبي، موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، جـ 6، طبعة 3 ، 1978 ، ص 329

[3] أحمد شلبي، المرجع السابق، جـ6 ،ص 326

[4] S.J. Hogben , An Introduction to the history of the Islamic States of Nigeria, Ibadan , 1957 , P. 4

[5] William Desborough Cooley, The Negro land of the Arabs , An Inquiry into the early history & Geography of Central Africa 2nd ed. 1966.

حزام السافنا:

يقع بين خطي 15 - 16 درجة شمال[1]، ويغطي الجزء الجنوبي والاخير من بلاد السودان الأوسط والغربي تقريبا. فيما عدا الصحراء، يعد هذا الحزام اعرض حزام بيني في منطقة غرب أفريقيا[2]. والحزام هضبة منخفضة منحدرة نحو الشمال، باستثناء جبال كمرون في الجنوب الشرقي، هضبة باوتشي في شمال نيجريا وهضبة فوتا جالون[3] . مناخه، الأقل صعوبة من مناخ حزام الغابات جنوبه، وحزام الصحراء شماله، جعله اكثر كثافة سكانية. وهو من أغنى مناطق أفريقيا تاريخيا فهو مسرح الممالك والامبراطوريات الزنجية، غانا مالي وسونغي في جزئه الغربي، وكانم برنو والهوسا، في جزئه الأوسط، والتي ازدهرت في العصور الوسطى من منحنى النيجر إلى بحيرة تشاد.

واقليم السافنا هو حقل أفريقيا الحقيقي، فأودية السنغال والنيجر وحوض بحيرة تشاد هي المناطق التي أقام الزنوج بها اقتصادا مبنيا على الزراعة منذ ما يقرب من الألفي أو الثلاثة الاف عام تقريبا[4]

الرعي يحتل مكانة تلي الزراعة، غير ان الحياة البرية فيه غنية ومتنوعة[5].

---

[1] الشاطر بصيلي،تاريخ حضارات السودان الأوسط والشرقي، ص 410

[2] Richard Adolff, West Africa, the French speaking Nations, New York ,1964 , P. 9

[3] Ibid, ; Havard African Studies , vol. X , Cambridge, MASS., P.3

عبد الرحمن زكي، تاريخ الدول السودانية الاسلامية، ص 13؛ دونالد وايدنر، تاريخ افريقيا جنوب الصحراء، ترجمة علي احمد فخري وشوقي عطا الله الجمل، 1976 ، ص 5

[4] Christopher Wrigley "Speculations on the economic pre-history of Africa" J. A. H. , Vol. I no 2. P. 189 – 203 ; George Peter Murdock , Africa its people & their cultural history , New York , 1959, P. 65 – 67

ليون الافريقي، وصف افريقيا، ص 77 ؛ دونالد وايدنر،تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء، ص 15

[5] Richard Adolff, OP.Cit, P. 11

حزام الساحل[1]:

يقع على الاطراف الشمالية من حزام السافنا. منطقة شبه صحراوية، مرحلة انتقالية ما بين السافنا والصحراء. ليس من السهل وضع حدود له، لان المنطقة تتغير بدرجة غير محسوسة. سهل منخفض، تمثل فيه المدن شبه الصحراوية الموانى على ساحل المحيط[2]. يتلاقى ويختلط فيه البدو والمستقرين من البيض والسود. يمتهن سكانه الرعي، ومعظمهم من البربر والبيول[3].

يخترق بلاد السودان في جزئها الغربي نهر النيجر، السنغال وجامبيا[4]. وفي داخلية بلاد السودان توجد بحيرة تشاد[5]. ليس هناك عوائق طبيعية لحركة الإنسان والافكار في الحزام السوداني من الشرق إلى الغرب[6].

سكان بلاد السودان: ينتشر السكان في منطقة غرب أفريقيا، الا ان اكثر الأماكن كثافة سكانية هي المناطق على امتداد الساحل الغربي، ما بين نهر السنغال والكمرون، ودلتا نهر النيجر وشمال نيجريا[7] . منطقة غرب أفريقيا تمثل موطن الجماعات الزنجية الحقيقية[8]. ذكر

---

[1] الساحل كلمة عربية، فهو ساحل الصحراء، بحر الرمل، كلمة سواحيلي، في شرق افريقيا، جاءت من الجمع سواحل

H. J. Fisher. "The Eastern Magrib & Central Sudan" , Cambridge History of Africa, Vol. III , Camb. 1977 , P. 234; Nehemia Levtzion, "The Sahara &Sudan from the Arabs conquest of the Magrib to the Rise of Almoravids", Cambridge History of Africa, vol. II P. 667

[2] باذل ديفدسن، افريقيا تحت اضواء جديدة، ترجمة جمال محمد احمد، بيروت، ص 19

Fisher, OP.Cit., P. 232 ;

[3] Fage, J. D., A history of west Africa, An Introductory Survey, 4th ed., Camb. 1969 , P. 10

[4] ليون الافريقي،وصف افريقيا، ص 30؛ محمد عبد الفتاح، افريقيا من السنغال إلى نهر جوبا، 1961، ص 27؛ دي لافوس دائرة المعارف الاسلامية، جـ 12، ص 263؛

Palmer Bornu , Sahara & Sudan, P. 59

[5] J. Spencer Trimingham, A history of Islam in west Africa , Oxford, 1962 , P. 9 .

الشاطر بصيلي، تاريخ حضارات السودان الاوسط والشرقي، ص 410؛ احمد شلبي، موسوعة التاريخ الاسلامي، ص 613

[6] ليون الافريقي، المصدر السابق، ص 77 Fisher ,OP.Cit., P. 239 ;

[7] دونالد وايدنر، افريقيا جنوب الصحراء، ص 9

[8] فيج جي دي، تاريخ غرب افريقيا، ترجمة وتعليق السيد يوسف نصر، ط1 ، 1982، ص 15، حاشية 1؛ دائرة المعارف البريطانية، مجلد 1، ص 320

الجغرافيون والمؤرخون العرب اسما من السودان امكن التعرف على بعضها مثــل الزغـاوة البقارة التكرور الافنو والكانم[1]. يتضح من كتاباتهم ان لملم هم سكان الداخل البعيد[2].

ساعد خلو منطقة السودان الأوسط من العوائق الطبيعية على ان تصبح منطقة انصـــهار بين العناصر القادمة من مختلف الاتجاهات[3]. من سكان هذه المنطقة الصو أو الســـاو، وهـم شعوب سبقت في التاريخ شعوب الكانوري، في كل من كانم أو برنو أو كوار[4]. الكانمبو: وهم مجموعات عديدة تدعى الاصول العربية[5]. ويمثل الكانوري معظم سكان منطقة بحيرة تشـــاد[6]. وكان لوجود العرب واختلاطهم بالعناصر المحلية اثر كبير نتج عنه قبائل السلامات والبولالا، وعرف العرب في المنطقة باسم "الشوا"[7].

---

[1] ابن خلدون، العبر، جـ6 ، ص 265 ؛المسعودي، مروج الذهب، تحقيق محمد محي الديـن عبـد الحميد، جـ 2 ، ط4 ، 1964، ص 20 ؛ زين العابدين ابن الوردي، تتمة المختصر في اخبـــار البشر، إشراف احمد رفعت البدراوي، جـ1، بيروت 1970 ، ط1 ، ص 134

[2] يذكر المؤرخون هذا الاسم "لملم" عندما يتحدثون عن سكان الداخل. فقد ورد عند الحديث عن سكان الشاطئ الشرقي، ان الداخل يسكنه الدمادم. وعند الحديث عن سكان السودان الغربي يذكر انه ليس من جهة الجنوب بعد "لملم" عمارة تعرف. وقــد ورد الاسم في المصادر باشكال مختلفـــة منـــها رمرم، يميم، دمدم، و نمنم. وكل هذه الاسماء تشير إلى نفس العنصر فيما عدا نمنـــم. الادريســـي، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص 5–10 – 24؛ البكري، المغرب، ص 172

Cooley The Negro Land of the Arabs, P 135:

[3] فرانسوا دي ميديروس، "شعوب السودان : تنقل السكان" ، تاريخ افريقيا العام، اليونسكو، مجلد 3 ، فصل 5، ص 151 ؛ Trimingham, A history of Islam in West Africa, p. 104

[4] ديرك لانجي، "ممالك التشاد وشعوبها"، تاريخ افريقيا العام ، يونسكو، مجلد 4، فصل 10، ص 262 – 263؛ ديفدسون، افريقيا تحت اضواء جديدة، ص 163

[5] G. Yver, "Kanem" Encyclobydia of Islam, vol. II , P. 748; Trimingham ,OP.Cit. P. 116

ديفدسون،المرجع السابق، ص 165؛ الشاطر بصيلي، حضارات السودان الاوسط والشرقي، ص 434

[6] Murdock, Africa, its people & their cultural history, P. 129 , Trimingham OP.Cit, P. 108 ;

فرانسوا دي ميد يروس ،المرجع السابق، ص 155؛ ابراهيم علي طرخـــان، امبراطوريـــة الـــبرنو الاسلامية، الهيئة العامة للكتاب 1975، ص 17؛ ديرك لانجي، المرجع السابق، ص 248 – 252

[7] Murdock , OP. Cit , P. 411

ابراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص 29 – 32 الشاطر بصيلي، المرجع السابق، ص 432 – 434

إلى الغرب من منطقة كانم - برنو توجد قبائل الهوسا، التي تمثل اللغة الرابط فيما بينها[1].
إلى الغرب منهم يوجد السونغي ، وهم شعب مزيج بين البربر والسكان الاصليين[2]، ويدعـون الاصول اليمنية[3]. إلى الغرب منهم يوجد الصوصو في إقليم كانياجـا ويسـمون بالانكاريـة[4].
ويوجد الماندنجو في الإقليم الواقع بين النيجر الاعلى ونهر السنغال ، وهم مجموعـة كبـيرة تتحدث لغة الماندي . اهم فروعهم السوننك في الشمال ، والمالنك في الجنوب. تدعـى جميـع فروعهم الاصول الشرقية[5]. وعلى امتداد نهر السنغال يوجد التكلـور[6] ويجـاورهم الولـوف والسيرر[7]

لغات أهل السودان:

يتحدث معظم سكان غرب أفريقيا لغات تنتمي إلى عائلة النيجر - كنغولية التي تسمى النجرتية[8] بجانب لغة الهوسا واللغات التشادية[9].

---

[1] مهدي ادامو، "الهوسا وجيرانهم بالسودان الاوسط" ، تاريخ افريقيا العام، يونسكو، مجلد 4، فصل 11، ص 275؛ حسن ابراهيم حسن، انتشار الاسلام في القارة الافريقيـة ط3 ، القـاهرة 1984، ص 116

[2] القاضي الفع محمود كعت، تاريخ الفتاش في اخبار البلدان والجيوش واكابر الناس، وقـف علـى طبعه هوداس ودلافوس، 1964، باريس، ص 24 – 25 – 29

[3] عبد الرحمن بن عبد الله السعدي، تاريخ السودان، ط بردين ،1898 ، ص 4؛ عبد القادر زباديـة مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين 1493 – 1591م، الجزائر، بدون تاريخ، ص 25، حاشية (1)

[4] القلقشندي، صبح الاعشى، ص 273 ابن خلدون، العبر، جـ6 ص 266؛ حسـن ابراهيـم حسـن، المرجع السابق، ص 100 ؛ عبد الرحمن زكي، تاريخ الدول الاسلامية السودانية، ص 86 – 88

[5] ابراهيم علي طرخان، دولة مالي الاسلامية، الهيئة المصرية للكتاب، 1973م ، ص 30

[6] ابي الحسن علي بن موسى بن سعيد، الجغرافيا، حققه اسماعيل العربي، الجزائر، ط1 ، 1970، ص 91؛ صلاح الدين المنجد، مملكة مالي عند الجغرافيين العـرب، بـيروت 1969م، ص 43؛ القلقشندي، المصدر السابق، ص 271

[7] Bovill ,The Golden Trade of the Moors P. 50 ; Trimingham , Ahistory of Islam in West Africa, P 174
فرانسوا دي مبديروس " تنقل السكان" ص 154

[8] Murdock, Africa , its people &their cultural history, p. 14; Bovill, OP.Cit , P. 51;
ب سلامة ، "الصحراء في التاريخ القديم"، ص 489

[9] ليون الافريقي، وصف افريقيا، ص 39 ، حاشية 27 – 28 – 29 Fisher , "The Eastern Magrib & Central Sudan" p. 42

الدين في بلاد السودان: معظم السكان كانوا على الوثنية[1]. نفذت بعض المؤثرات المسيحية من الشمال الأفريقي حتى وصلت مملكة غانا[2]. اعتنقت اقليات منهم المجوسية[3] واليهودية[4]

الوضع السياسي في بلاد السودان: على خلاف المجتمعات الجنوبية ، التـــي لا توجـد عندها دويلات ، نجد ان المجتمعات الزنجية ، التي تعمل بالزراعة والتجـــارة فـــي المنطقـــة القريبة من الصحراء ، شعرت بحاجتها لحماية نفسها من عدوها الرئيسي ، بـــدو الصحـــراء، فعملت على إنشاء تجمعات كونفدرالية تدل ، عليها حصون دارتشيت ، لمقاومة ضغط الرحل[5]. فظهرت خلال الالف الاولى للميلاد مجتمعات منظمة تعاقبت في السودان الأوسط والغربـــي ، وصارت دولا حقيقية واصبح بعضها ، مثل غانا وكانم ، دولا بالغة الأهمية. وكانت مجتمعات اخرى ، اقل حجما وامتدادا ، في طور التكوين . لا زال الغموض يكتنف السنين التي نشـــأت فيها دول السودان ، والمعلومات التي بين أيدينا لا تجعلنا متأكدين من عوامل هـــذا التطـــور . اقدم النظريات في هذا الخصوص هي نظرية الانتشار الحضاري ، التي تطـــورت للفرضيـــة الحامية[6]. وهي نظرية لعبت فيها اساطير السودان التي تدعى ان الاصـــول الأولـــى لممـــالك السودان ، ترجع إلى وصول غرباء من الشمال أو الشمال الشرقي[7] دورا كبيرا. بينما هناك من

---

[1] ابن سعيد، الجغرافيا، ص 91 – 94 – 97 ؛ البكري، المغرب، ص 11 – 172 – 178 – 183 ؛ السعدي، تاريخ السودان ص 4؛ ليون الافريقي، وصف افريقيا، جـ 2، ص 159

[2] نفس المرجع والصفحة ، عبد الرحمن زكي، تاريخ الدول الاسلامية السودانية، ص 17؛
Trimingham, Ahistory of Islam in West Africa, P. 15 note.6;

[3] البكري، المصدر السابق، ص 172 الادريسي، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص 3

[4] نفس المصدر، ص 5 ؛ ابن سعيد ، المصدر السابق، ص 91
Bovill, The Golden Trade of the Moors,P. 5 , Trimingham, OP,Cit., P. 15, Footnote 3

[5] Raymond Mauny , "Trans- Saharaan contacts & the Iron Age in West Africa", Cambridge History of Africa, vol. II , P. 275
دي ميديروس، "تنقل السكان" ص 154 – 158 – 159؛ م. بوسنانسكي، "المجتمعات الافريقية جنوب الصحراء في العصر الحديدي المبكر" تاريخ افريقيا، العام، يونسكو، مجلد 2، فصـــل 29 ، ص 742 ؛حسن ابراهيم حسن، انتشار الاسلام في القارة الافريقية، ص 94

[6] تقول هذه النظرية بان الافارقة الحاميين هم من البيض، نســـبة لاختـــلاف تقاطيعـــهم وتركيبـــهم الجسماني وبالتالي هم اقرباء للاوربيين، وان ثقافتهم اعلـــى من ثقافة الزنـــــوج ؛
Fage, A history of west Africa, P. 7

[7] السعدي،المصدر السابق، ص 2 – 4– 6 – 9؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ص 271؛ ادم عبـــد الله الالوري، موجز تاريخ نيجريا، بيروت 1965، ص 72 – 73
Palmer , Bornu Sahara & Sudan , P. 273 ;

يرى من المؤرخين ان عملية قيام ممالك السودان هي تطور ذاتي لسكان السودان في فترة العصر الحجري الحديث[1]. كما ان حقيقة قيام غانا وكانم في مكان لا يلائم الزراعة كثيرا، بل يلائم حرفة الرعي، افسح المجال لبروز اهمية عاملا ثالث، وهو التجارة العابرة للصحراء[2].

في الوقت الذي نشأت فيه غانا وكانم، ربما كانت هناك ممالك اصغر حجما، غير ان المعلومات عنها قليلة، ربما ملل اليعقوبي احداها[3] . وعليه يمكننا القول ان جميع البنى الأساسية للاستقرار والحياة الاقتصادية كانت قائمة اثناء العصور المظلمة في وديان النيجر والسنغال، وربما إلى الجنوب منهما.

منطقة الصحراء[4]:

المتطرق للعلاقات بين بلاد المغرب وبلاد السودان لابد له من الحديث عن الصحراء، لان العلاقات تتم بصورة رئيسة عبر الصحراء، خاصة قبل اعتياد الابحار عبر المحيط الأطلنطي، كما ان تفهم الاحداث على الجانبين، يعتمد على تفهم الأحداث التي تمر بالصحراء. سمات الصحراء الرئيسية،جفاف الهواء وندرة المياه، مما يسبب قلة السكان[5]. يقسم الجغرافيون الصحراء إلى : الصحراء الشرقية التي تمتد بين كوار غربا ونهر النيل شرقا[6]. وتتميز بكثرة وجود ألواح، التي تكثر فيها المياه والشجار النخيل[7]. أما الصحراء الشمالية فتحدها جبال اطلس من جهة الشمال، ومرتفعات الحجار من جهة الجنوب. واحات الصحراء الشمالية بها قرى

---

[1] **ج دفيس، "التجارة والطرق التجارية في غرب افريقيا"، تاريخ افريقيا العام، يونسكو، مجلد 3،** فصل 14، ص 412 – 415; Fage, A history of West Africa , P 13

م. يوسنانسكي "المجتمعات الافريقية جنوب الصحراء" ص 743؛ باذل ديفدسون، افريقيا تحت اضواء جديدة، ص 134 – 136

[2] Fage , OP.Cit.;, P. 16 ; Mauny "Trans- Saharan Conta.cts" / P. 340 , 341

[3] اليعقوبي، تاريخه، جـ 1، النجف 1964، تعليق محمد صادق بحر العلوم، ص 168

[4] لم يطلق على تلك المساحة الشاسعة، اسم صحراء، الا بعد دخول العرب، فقد كانت ارضا مجهولة يسميها الاغريق والرومان "ليبيا الداخلية" او"اثيوبيا" وهي ارض تقع إلى الداخل اكثر من المنطقة الاولى، اشتق اسمها من لون جلود سكانها. ب. سلامة، "الصحراء في التاريخ القديم" ، ص 528

[5] Mauny, OP.Cit, p 275 ;

يسرى الجوهري، شمال افريقيا ص 43 ؛ الادريسي،، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص 28

[6] T. Lewicky, "The Role of theSahara & Saharians in relations between North & South", General History of Africa, UNSCO, vol. III Sec. XI, P. 281

[7] البكري،المغرب، ص 15 – 17 ؛ الادريسي، المصدر السابق، ص 27 ؛ ابن سعيد الجغرافيا، ص

محصنة عرفت عند العرب بالقصور. اهم الواحات في هذا الجزء واحة ورجلان في جهة الشرق، توات في الغرب، وفي الوسط المزاب[1]. الصحراء الوسطى تتميز بوقوع مرتفعات الحجار في وسطها، والى الجنوب منها مرتفعات ادرار الايفوغاس[2] تفصل الحجار عن منطقة تبستي منطقة أكثر انخفاضاً[3]. أما الصحراء الغربية فتمتد من غرب ادار الايفوغاس وحتى المحيط، وهي المنطقة جنوب المغرب الأقصى[4].

هناك العديد من الادلة الجيولوجية والاركيولوجية التي تشير إلى ان صحراء ما قبل التاريخ كانت تتمتع بجو اقل جفافا[5] . اتساع نطاق الصحراء دعا قاطنيها إلى الهجرة أما شمالا أو جنوبا[6]، غير ان القطيعة بين الشمال والجنوب لم تكن كاملة نتيجة لهذا التصحر، فالتجارة كانت دائما اهم دوافع الكشف الجغرافي[7].

<u>سكان الصحراء:</u>

لم تخل الصحراء من السكان على مر العصور. والصحراء عرقيا تقع تحت ثلاث تقسيمات: الي الشرق من تبستي وحتى حدود برنو، وداي وباغرمي، هناك الجرامانت، ينتشرون شمالا حتى فزان، وهم شديدو الصلة بالزغاوة[8]. تبستي يسكنها التيبو أو التدا دازا، وينتشرون في

---

[1] الإدريسي، وصف أفريقيا الشمالية و الصحراوية، ص5؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 269؛ ليون الافريقي، وصف افريقيا، ص 136

Lewicky , "The Role of theSahara & Saharians in relations between North & South", P. 295 - 297

[2] يسرى الجوهري،شمال افريقيا، ص 47 – 48 ؛

Lewicky, OP. Cit, P. 275

[3] البكري، المغرب، ص 183

[4] Lewicky, OP. Cit, P. 307

[5] Mauny, "The Trans-Saharan Contacts", P. 272 ؛

دونالد وايدنر، افريقيا جنوب الصحراء، ص 15؛ ريمون فيرون، الصحراء الكبرى، ترجمة جمال الدين الدناصوري، القاهرة 1963 ص 70؛ زاهر رياض الممالك الاسلامية في غرب افريقيا واثرها في تجارة الذهب عبرالصحراء القاهرة 1968 ص19 – 20

[6] دونالد وايدنر، المرجع السابق، ص 16؛ فرانسوا دي ميديروس، "شعوب السودان" ص 151 – 154

[7] ابن حوقل، صورة الأرض، ص 100

[8] Murdock , Africa , its people & their cultural history , P. 127 – 129 ,Mauny, OP.Cit P. 276

باذل ديفيدسن، افريقيا تحت اضواء جديدة، ص 55 –56

منطقة واسعة[1]. أما الزغاوة فيعيشون على حدود تشاد وجمهورية السودان، في شمال دارفور، وهم اقدم عناصر الصحراء[2] . القسم الثاني هم الطوارق الذين يغلبون على الصحراء الوسطى[3]. ثالثا الصحراء الغربية التي يغلب عليها بربر صنهاجة[4]. كما ضمت عناصر اخرى مثل البفور والباربر[5].

العلاقات بين بلاد المغرب وبلاد السودان قبل الفتح الإسلامي للشمال الأفريقي:

العلاقات بين المناطق شمال الصحراء وجنوبها سبقت الفتح الإسلامي، والدليل عليها، وهو قليل يتمثل في ملاحظات قليلة اوردها الكتاب القدماء، ومعلومات اثرية تستخلص من الرسوم الصخرية الصحراوية. كل المادة المتاحة ذات اصل روماني، لذلك فهي مفيدة في تتبع العلاقات بين المناطق الساحلية والصحراوية، اكثر منها مفيدة لتتبع العلاقات بين الصحراء والمناطق شمالها وبلاد السودان. تركز المعلومات القليلة المتاحة على العلاقات بين وسط الصحراء التي يسهل الوصول إليها، وطرابلس، اكثر من تركيزها على المناطق الغربية المحجوبة بجبال اطلس[6].

كانت العلاقة في البداية عبارة عن تداخل إقليمي قبلي، قوامه اقتصاد بدائي، الهجرات يقوم بها الرعاة لتتبع الأمطار الموسمية ومواقع الملح في نقاط المياه الجنوبية. الرحالة الكبار كانوا هم الصيادون[7].

---

[1] ليون الافريقي،وصف افريقيا، ص 154؛

Palmer , Bornu Sahara and Sudan, P. 4 , 126 , 146; Bovill, Golden Trade of the Moors , P. 46

[2] اليعقوبي، تاريخه، جـ 1، ص 191؛ المسعودي، مروج الذهب، جـ 2، ص 4 ؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص 97؛ ابن خلدون، العبر، ص 241

[3] السعدي، تاريخ السودان، ص 25 – 26 ؛

Palmer , OP.Cit, P. 59 ; Murdock , Africa , its people & their cultural history, P. 131 , Bovill, Op.Cit, P. 45 – 46

[4] البكري، المغرب [illegible]، ص 164؛لسان الدين الخطيب تاريخ المغرب (العربي) في العصر الوسيط ص 225 ؛

Cooley , The Negro land of the Arabs, P. 72

[5] Lewicky, "The Role of the Sahara" , P. 312 , 313 ; Trimingham, A history of Islam in west Africa, P. 13

[6] R.C.C. Law, "The Garamant & Trans- Saharan Enterprise in classical times", J.A.H., vol. VII no.2, 1967 , P. 181

[7] Mauny, "Trans – Saharan contacts" , P. 277

العلاقات في العصر الفينيقي[1]:

وصول الفينيقيين إلى الشمال الأفريقي، وطردهم للإغريق والرومان من المنطقة، اعتبر دليلا على وجود تجارة على جانب من الأهمية مع الداخل. والدليل على هذه التجارة حددته المصادر الأدبية في سلعة واحدة، هي الأحجار الكريمة، المسماة بالكاربنكل[2]. وقد ورد ان قرطاج كانت تستورد ذهب غرب إفريقيا عن طريق الجرامانت، غير ان الحفريات في منطقة فزان لم تسفر عن وجود أدوات ذهبية[3] كما لم تسفر عن وجود أدوات منسوبة إلى القرطاجيين[4].

هناك إشارات لبعض محاولات تمت في العصر ألبوني لعبور الصحراء عبر فزان والـهوجار حتى النيجر غير ان بعض المؤرخين يشكك كثيرا في امكانية مثل ذلك العبور. أما من الجهة الغربية فقد كانت محاولات الفينيقيين للوصول للمناطق الجنوبية عبر المحيط[5]. والسبب الظاهر لرحلاتهم تلك كان إنشاء مستعمرات على الساحل، أما ما يرجحه المؤرخون هو البحث عن

---

[1] امة عربية قديمة، من الاصل السامي، مواطنهم فلسطين والشام، ما بين جبال لبنان والبحر الابيض المتوسط. طبيعة المنطقة جعلتهم يشتهرون بالملاحة وركوب البحر خاصة المساحلة. ظهرت مملكتهم لاول مرة في التاريخ 1600 ق.م.لضيق منطقتهم بسكانها، ولاسباب سياسية اخرى، خرجوا للشمال الافريقي، وبنوا مدينة قرطاجنة في سنة 846 ق.م. أو 880ق.م. احمد صقر، مدنية المغرب العربي، ص 78 – 79 ؛الظاهر احمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ص 23 – 24، وارمنجتون "العصر القرطاجي" ،ص 454

[2] ب.هـ. وارمنجتون، المرجع السابق، تاريخ افريقيا العام، يونسكو، مجلد 2، فصل 18، ص 459؛ م. بوستانسكي، "المجتمعات الافريقية جنوب الصحراء"، ص 734

Bovill, Golden Trade of the Moors P. 20 – 21;

[3] Mauny, “Trans-Saharan Contracts”, P. 295 ; R.C.C. Law," The Garamants and Trans -Saharian Enterprise in classical times"., P.188 – 189 ; Fage, A history of west Africa, P. 14

[4] وارمنجتون، المرجع السابق ص 462 ؛

Mauny, OP. Cit., P. 284 ; R.C.C, Law. , OP. Cit., P. 188

[5] اورد المؤرخون في هذا الخصوص رحلة هانو اوحنون انظر نص الرحلة في

M. Cary & E.H. Warmington, , The Ancient explorers 1963 , P. 63.– 68.

احمد صقر مدنية المغرب، العربي ص 127 – 130 ؛ م. بوسنانسكي، "مقدمة لافريقيا المجاورة للصحراء في عصر ما قبل التاريخ المتاخر"، تاريخ افريقيا العام، مجلد 2، فصل 21، ص 564

الذهب[1]. وبغياب الادلة الاركيولوجية فان الوجود القرطاجي في غرب أفريقيا يصبح تخمينا[2].

العلاقات في العصر الروماني:-

قضاء الرومان على قرطاجنه واحتلالهم للامبوريا[3] يجعلهم على اتصال بالجرامانت، سكان الصحراء. حرص الرومان على فرض الامن والنظام جعلهم يشنون عدة حملات لتأديب الجرامانت. قال البعض انهم توغلوا فيها حتى نهر النيجر[4] نتيجة لدخول الجمل الصحراء فان تقاربا بين الرومان والجرامانت. قد وقع، وكان من نتيجته حملة مشتركة توغلت اكثر من سابقاتها جنوبا، حتى اقسميبا، حيث يوجد الكركدن[5]. تجارة الرومان مع الجرامانت لم تكن كبيرة الحجم غير انه هناك ادلة اثرية على وجودها بفزان[6]. تجارة الكاربنكل استمرت، ولكن تجارة العاج أصبحت اكثر اهمية[7] . كما برزت اهمية استيراد الحيوانات من اجل الملاهي[8].

البضائع التي اتجر فيها الفينيقيين والرومان مع الجرامانت كانت لا تأتى جميعها من منطقة فزان. السن، الرقيق والكارنبكل، كان يجب البحث عنها في أراضى الجنوب[9]. فالتعامل بين الجرامانت والجنوب لا ينكر، ولكن في نفس الوقت، لا يمكن ادعاء انه كان جوهريا أو هاما، خاصة من الناحية التجارية[10]. كل ما يمكن قوله ان الجرامانت كانوا روادا للتجارة

---

[1] وارمنجلون "العصر القرطاجي" ص 460؛ ب. سلامة، "الصحراء في التاريخ القديم"، ص 528 ؛ R.C.C. Law, " The Garamants and Trans -Saharan Enterprise in classical times", P. 188;

[2] Mauny , “Trans-Saharan Contracts”, P 292 – 295 – 300; R.C.C. Law "North Africa" in the period of the Phoencian & Greek Colonization (800 – 323 B.c." Cambridge History of Africa , vol. II , P. 134 - 136

[3] هي المستعمرات البونية على ساحل شمال افريقيا، وتعني الاسواق أو المحطات ؛ وارمنجتون، المرجع السابق، ص 458

R.C.C. Law " The Garamants and Trans -Saharan Enterprise" , P. 187

[4] ب. سلامة،"المصدر السابق"، ص 529 ؛ع. محجوبي، "العصر الروماني وما بعده في الشمال الافريقي" ، تاريخ افريقيا العام، مجلد 2 ، فصل 19، ص 502

[5] ب. سلامة، المرجع السابق، ص 529 Mauny , OP.Cit, P. 286

[6] ع. مججوبي، المرجع السابق، ص 503 ؛ R.C.C. Law “North Africa” , P. 194 – 195

[7] ب. سلامة، المرجع السابق، ص 541، حاشية 31

[8] Mauny, OP.Cit, P. 290; R.C.C. Law “North Africa “, P. 197

زاهر رياض، الممالك الاسلامية في غرب افريقيا ص 16

[9] R.C.C. Law "The Garamants & Trans – Saharan Enterprise", P. 187 , 188

[10] ج. دفيس، "التجارة والطرق التجارية في غرب افريقيا" ، ص 412 – 415

العابرة للصحراء غير ان وجودهم كمملكة كان مؤكدا حتى دخول العرب المســلمين للشمــال الأفريقي واحتلالهم لفزان[1].

لم تسعفنا كتابات المؤرخين بتفاصيل عن العلاقة بين الشمال والجنوب في الفترة ما بين رومــا والإسلام. وعلى الرغم من ان الصورة قد تبدو حالكة في العــهدين الوندالــي (429 - 533م) والبيزنطي (533م - 647م) الا ان بعض الكتاب يشير إلى ان ما كان قائما من مبادلات تجارية لم يعان تدهورا ملحوظا[2].

علاقة العرب والمسلمين ببلاد المغرب وبلاد السودان قبل الفتح الإسلامي:

وردت الكثير من الإشارات إلى صلة العرب بالشمال الأفريقي قبل بداية الفتح الإسلامي، منذ عهد التبابعة ملوك اليمن[3]، وربما قبل ذلك، واليهم مع قبائل زناته يعزى استخدام الجمل إلى الشمال الأفريقي[4]. يعزى بعض المؤرخين سرعة الفتح الإسلامي للشمال الأفريقــي إلــى ان المنطقة هي أصلا منطقة لتحركات المجموعة السامية، العربية منها على وجه الخصــوص[5]، الشئ الذي أهل العرب لان يكونوا المصدر الرئيــس لمعرفــة الكلاسـيكيين بــأمم أفريقيــا ومسالكها[6].

---

[1] ب. سلامة ،من روما الى الاسلام، ص 536؛

Habib wada a El Hesnawi , Fezzan under the rule of A wlad Muhammad, Study in Political , Economic, Social & intellectual history, Sebha, 1990 , P. 27

[2] ب. سلامة، "المصدر السابق"،تاريخ افريقيا العام، يونسكو، مجلد 2 ، فصل 19، قســم 2 ، ص 514 - 518

R.C.C. Law, "The Garamants & Trans- Saharan Enterprise", P. 199;

[3] المسعودي، مروج الذهب، جـ 2، ص 4 - 20 - 144 اليعقوبي، تاريخه، جـ 1 ،ط 1960 ،ص 194 ؛ ابن الاثير الكامل،جـ 1، ص 156؛ ابن خلدون، العبر، جـ 1 ،ص 79، جـ 2، ص 59؛ ادم عبد الله الالوري، موجز تاريخ نيجريا، ص 163 - 164

Palmer, Bornu Sahara & Sudan, , P.252

[4] Palmer ,OP.Cit , P. 170 , Bovill, The Golden Trade of the Moors, P. 38

عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، جـ 1 ،ص 159

[5] عثمان سيد احمد "الاصول، التاريخية للعلاقات العربية الافريقية" ،ص 32 - 33؛ عز الديــن عمــر موسى، "الاسلام وافريقيا"، الندوة الفكرية، مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكــر العربي، ط1 ،1984، فصل 2 ،ص 80 ؛غوستاف لوبون، حضارة العرب، تعريب عادل زعيتر، ط 2 1948، ص 664 - 666

[6] بشير ابراهيم بشير، "نشأة الدراسات الافريقية ودور العرب المسلمين" ،مجلة دراسات افريقية ،مركز البحوث والترجمة، عدد 10 ،1993، ص 65

بظهور الإسلام لم تنقطع هجرة العرب إلى بلاد أفريقيا، فضلا عن

الحديث إفريقيا والافريقيين وفضل السودان عامة[1]،

العاكفين على التفسير للبحث والتنقيب في تاريخ السودان ولغات أهل السودان[2]. وخير ما نستشهد به على معرفة المسلمين للأحوال في منطقة الشمال الأفريقي رفض الخليفة عمر بن الخطاب (رض) لقائده عمرو بن العاص المضي لفتح أفريقية بعد فتح برقة[3].

الفتوحات الإسلامية، وما صاحبها من توسع إسلامي، قدما دفعا جديدا للبحث عن بلاد وشعوب أفريقيا. أول ما نلمس من اسقاطات ذلك نبذ أسماء التعميم للامم السوداء التي كانت سمة غالبة على كتابات القدماء من إغريق ورومان. فشعراء وكتاب العصر الاموي اسبق من عدد أصناف أمم السودان[4]، واستنادا على تلك المعلومات دون المؤرخ اليعقوبي التواريخ القومية للأمم الأفريقية[5]

---

[1] حسن مكي "حوار رسول الاسلام مع افريقيا"، مجلة دراسات افريقية، عدد ،10 ص 45 – 58

[2] عبد الله بن عباس، اللغات في القرآن ،تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، 1978 ،ط3 ،ص 29 – 36 – 41 ؛ كارل بروكلمان، تاريخ الادب العربي، تعريب عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط 4 1977، جـ 2 ،ص 123

[3] إبن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 232 ؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص 266؛ الظاهر احمد الزاوي، الفتح العربي في ليبيا، ص 56

[4] بشيرابراهيم بشير، "نشأة الدراسات الافريقية" ،ص 68 ؛عمر بن بحر الجاحظ "،رسالة فخر السودان"، ضمن رسائل الجاحظ، تحقيق حسن السندوبي، القاهرة 1933، ص 72 – 76

[5] اليعقوبي، تاريخه ،جـ 1 ،ص 191 – 194

الباب الأول

العلاقات السياسية بين بلاد المغرب وبلاد السودان

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

العلاقات غير الرسمية: الهجرات القبلية والفردية:

تمثلت العلاقات السياسية بين بلاد المغرب وبلاد السودان قبل الفتح الإسلامي للمغرب بشكل رئيسي في الهجرات القبلية التي خرجت من الشمال الأفريقي مخترقة الصحراء جنوبا. وقد أدى البربر دوراً مهماً فيما يتعلق بتنقل السكان من غرب أفريقيا وكانوا في نشاط دائب في الصحراء حتى أطرافها الجنوبية. البربر الذين لعبوا دوراً مهماً في إقامة العلاقات بين الشمال الأفريقي وبلاد السودان ينتمون إلى فرعين رئيسين هما صنهاجة وزناتة وما ينتمي إليهما من قبائل فرعية[1].

تناول المصادر للعلاقات السياسية بين المنطقتين في تلك المرحلة الباكرة من تاريخها كان في حكم العدم، غير انه يمكننا ان نستنتج من الأحداث السياسية والبيئية والاقتصادية التي جرت في الشمال الأفريقي عوامل قد دفعت بالمزيد من القبائل البربرية إلى الصحراء والتي ربما وصل بعضها إلى حدود بلاد السودان الشمالية في القرون الأولى للألف الأول قبل الميلاد[2]. فالأحداث التي تعرض لها البربر على أطراف الحدود الرومانية[3] أدت إلى هجرتهم بأعداد كبيرة نحو الصحراء[4]. ومما زاد من سرعة تلك الهجرة، في غضون القرنين الثالث والرابع الميلاديين، استخدام قبائل البربر للجمال[5]. فاستقدام الجمل إلى أفريقيا أدى إلى ازدياد الحركة ودخول تكتيك وتسليح مختلف لعناصر الصحراء، مما أدى لتغييرات عميقة في المنطقة[6].

العمليات العسكرية التي صاحبت الفتح العربي الإسلامي للشمال الأفريقي زادت من حدة وكثافة هجرة القبائل البربرية نحو الصحراء والى الجنوب منها، وفي هذا المعنى أورد ابن

---

[1] البكري، المغرب، ص 164؛ ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص 36؛ الادريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 61.

[2] R. Maung, "Trans-Saharan Contacts & the Iron Age in W. A.," P. 274

[3] انظر في ذلك ع. محجوبي، "العصر الروماني"؛ فرانسوا دي ميديروس، "تنقل السكان"، ص 146

[4] جو ليان شارل اندرية، تاريخ أفريقيا الشمالية، ص 220 ؛ R. Maung , OP.Cit, P 291

[5] Levtzion , N., "the Sahara & Sudan" , P. 665

[6] R. Palmer , Bornu, Sahara and Sudan , P. 279

خلدون[1] قوله " الملثمون من صنهاجة مواطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب...... توحشا بالعز عن الغلبة والقهر، فنزلوا من ريف الحبشة جوارا وصاروا ما بين البربر وبلاد السودان حجزا .. تعددت قبائلهم من كزالة فلمتونة فمسوفة فوريكة فناوكا - اوتاركا - فزغاوة ثم لمطة، كلهم ما بين البحر المحيط بالمغرب إلى غدامس قبله طرابلس وبرقة".

يقول ابن خلدون[2] عن مواطن الجمهور من هوارة ومن دخل في نسبهم من البرانس والصمغر[3] : "ومنهم من قطع القفر وجاوز لمطة من قبائل الملثمين فيما يلي بلاد كوكو من السودان تجاه أفريقية". ومن قوله هذا نستخلص ان منطقة الحجار من الصحراء الوسطى قد غزيت بكل من قبائل لمطة و هوارة[4] البربرتيان. ساعد جفاف الصحراء على ازدياد هجرة هذه القبائل نحو الأراضي الأكثر رطوبة في حوض بحيرة تشاد، وقد استند المؤرخون[5] على أدلة لغوية لإثبات الروايات الشفهية التي تتحدث عن الهجرات القبلية من الشمال إلى الجنوب في منطقة السودان الأوسط.

غزو عقبة بن نافع[6] لمنطقة فزان في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي، قد دحر الكثير من العناصر البربرية ناحية الجنوب، واحدث تغييرا كبيرا في التركيبة العنصرية في الصحراء. فالقبائل التي كانت تسكن المنطقة، والتي اسماها الإغريق والرومان من بعدهم

---

[1] العبر، جـ 6 ، ص 241.

[2] نفس المصدر، ص 185.

[3] ورد في النسخة التونسية البتر

[4] قدمت هوارة أصلا من طرابلس وتفاديا للخضوع للفاتحين الجدد من العرب رحلت صوب المغرب وشاركت، بينما هم يعبرون ارض المغرب، في مختلف حركات التمرد على السلطة العربية. اعتنقت مذاهب الخوارج وبعد حركة أبي يزيد تشتت شملهم شرقا وغربا وفر بعضهم صوب الجنوب. ابن خلدون، المصدر السابق جـ 6، ص 185؛ فرانسوا دي ميديروس، "تنقل السكان"، ص 148.

[5] N. Levtzion, "The Sahara & Sudan", P. 680

[6] عقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط الفهري. ولد في عهد النبي (ص)، وقبل وفاته بسنة واحدة، فاعتبر صحابي المولد. كان لابن خالته عمرو بن العاص دور في هدايته للإسلام وفي بروزه في ميدان الفتوح. ابن عذارى، البيان المغرب، جـ1، ص 19؛ ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة (5ج) جـ 3 دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ، ص 420 / 421

الجرامانت[1] وذكرها البكري[2] باسم أنباط[3]، وهي العناصر التي يسميها العرب الزغـــاوة، أدت الأحداث السياسية في الشمال الأفريقي إلى هجرتها جنوبا. قبيلة لواتة[4] البربرية المنتشرة منـــذ عهد الرومان في إقليم باركة كان أفرادها اكبر الحمالين، واكثر العنـــاصر اختلاطـــا بزنـــوج السودان[5].

اصبح المغرب ميدانا للحركات القومية بحلول عام 122هـــ الموافـــق 739م[6] نتيجـــة ان العرب لم يستطيعوا قهر البربر في مواقع عسكرية حاسمة، الشيء الذي جعل سياستهم تتســـم بالمهادنة والمصانعة، فتلقفت القومية المغربية مبادئ الخوارج[7]، الثائرة على الإمامة العربيـــة.

---

[1] الجرامانت: موطنهم مجموعة واحات فزان في قلب الصحراء، عاصمتهم جرمة. تمتد منطقتهم مـــن ساحل السرت إلى النيل من جهة الجنوب الشرقي. مدينون بمركزهم الدائم في شـــرق الصحـــراء الوسطى لقوتهم العددية وللمنطقة الواسعة التي تسمح لهم بالحياة المستقرة، كما في فزان، وبحيـــاة البداوة في المنطقة الفاصلة بين فزان والساحل. احترمهم الرومان كتجـــار، فـــاصبحوا الوســـطاء الرئيسون لتجارة وسط الصحراء على الرغم مما عرفوا به من عناد ومشاكســـة مـــن الصعـــب تصنيفهم بين الأجناس. ظن البعض انهم زنوج بينما دلت أبحاث علماء الآثار الإيطـــاليون انـــهم اقرب إلى الطوارق وان مَدنيتهم ليبية. R.C.C. Law, "The garamants & Trans-Saharan Enterprise in classical Times, P 187; Bovill, The golden Trade of the Moors, P. 31-32 , Fage , A history of west Africa, P 14; احمد صقر، مدنية المغرب العربي، ص 124 .

[2] المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، ص 4

[3] ذكر بالمر انه ليس بالضرورة تصحيح أنباط إلى أقباط كما فعل دي سيلين، فالأنباط أو النوباتي هـــم سكان الواحات غرب مصر الذين سبقوا الطوارق والعرب Palmer, Bornu, Sahara & Sudan , P. 4

[4] لواتة وليبيا تستخدم بواسطة الكتاب العرب لتعني باركة وسكانها وبمفهوم أوسع تعنـــي الصحـــراء الشرقية وسكانها. يسميهم ليون الأفريقي شعب برداوة. ليون الأفريقي، وصف أفريقيـــا، ص 154 - 155 ؛

[5] Palmer , OP.Cit.

[6] ابن عذارى، البيان المغرب، جـــ 1، ص 22.

[7] هم الخارجون عن طاعة الأمام الحق، قصد بها بعض المتكلمين في أصول الدين والعقائد الخـــروج عن الدين. نشأت حركتهم في المشرق بعد استشهاد الخليفة عثمان (رض) ويقول المؤرخون أنـــها كانت النتيجة المباشرة لموقعة صفين (37هـــ/657م). لاتسام حركتهم بالعنف واجهوا ضغطا فـــي مركز الخلافة فالتجأوا إلى أطراف الدولة الإسلامية. تأريخ دخولهم بلاد المغرب مختلف فيه، لقي مذهبهم رواجا فيه، واكثر مذاهبهم رواجا الاباضية والصفرية لاعتدالهما. ليفي دالا فيـــلا، "مـــادة خوارج" دائرة المعارف الإسلامية، جـــ 8، ص 469؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ص 52 ؛ =

وعمت الثورة بلاد السوس الأدنى، ثم سائر بلاد المغرب، وبعث الخليفة العباسي أبــو جعفــر المنصور (136-157هـ/753 - 773م)[1]، قائده محمد بن الأشعث الخزاعي[2] (144هـ/761م) فتتبع الخوارج بالقتل حتى بلغ زويلة وودان[3]. ونتيجة لتلك الأحداث زحفت القبــائل البربريــة المعتنقة لمذاهب الخوارج نحو الداخل، إلى المناطق التي لم تكن قبضة السنيين قوية عليــها[4]،

وفي ذلك كتب الادريسي[5] قائلا: "أما ارض ودان فكانت جزائر نخل متصلة بين غرب وشمال إلى ناحية البحر، وكانت فيما سلف اكثر الأرض عمارة، وكان الملك في أهلها ناشئا متوارثــا إلى ان جاء الإسلام فخافوا من المسلمين فتوغلوا هربا في بلاد الصحراء فتفرقوا ولم يبق منها الا مدينة دواد، وهي الآن خراب ليس فيها الا بقايا من السودان.."

أيدت الدراسات الحديثة ما أورده الادريسي، معتمدة على أدلة بنيــت علــى فحوصــات أجريت بالكربون 14، حددت نهاية حضارة الجرامانت في الفترة ما بين القرنين الثاني والرابع الهجريين/الثامن والعاشر الميلاديين، ولذلك اعتقد الكتاب المحدثون ان حضـــارة الجرامـــانت القديمة قد اندثرت بعد الفتح العربي الإسلامي لبلاد المغرب، وان السبب المباشر لسقوطها كان حملات ابن الأشعث على منطقة زويلة فضلا عن الحروب التي كانت دائرة بين سكان المنطقة ومزاتة، سكان شرق طرابلس[6].

= ابن خلدون، العبر، ص 144. للمزيد انظر عبد الرحمن حسب الله، جماعات الخوارج في بلاد المغرب حتى القرن الرابع الهجري، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، 1987

[1] ابن عذارى البيان المغرب جـ 1 ص 66 - 79

[2] كان واليا على مصر حينما أرسله الخليفة لتهدئة الأحوال في المغرب بعد ان زال عنه نفوذ بيت عبد الرحمن بن حبيب. انظر في ذلك ابن عذارى، المصدر السابق ص 72؛ لسان الديــن الخطيــب، تاريخ المغرب في العصر الوسيط، ص 7، حاشية (1)؛ الطاهر احمد الزاوي تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ص 137.

[3] ودان اسم بلده ومدينة، تمتد أراضيها شرقا حتى فزان، واسم ودان يطلق على عدد من الأماكن. وقد ذكرها الجغرافيون العرب بهذا الاسم . ابــن حوقــل، صــورة الأرض، ص 70 ، ابــن ســعيد الجغرافيا، ص 127 وحاشية 125. الادريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 23؛ ابن عذارى، المصدر السابق، جـ 1، ص 73.

[4] Martin, B.G., "Kanem, Bornu & Fezzan , Notes on the Political history of A trade Route", J. A. H. , vol. X no 1 1969, P. 16

[5] المصدر السابق ص 23

[6] T. Lewicky, "The role of the Sahara & Saharians in the relations between North & South", P. 287, R.C.C. Law, "The Garamants & Trans-Saharan Enterprise", P. 199

لعب سكان زويلة[1]، خاصة الاباضية منهم، دورا بارزا في العلاقات مع بلاد السودان حتى عرفت باسم "زويلة السودان"[2] . وشدة الاختلاط بين سكان منطقة فزان بجيرانهم من أهل السودان يتضح في ألوان ابشارهم التي تميل الى السواد[3]. كما كان لاباضية جبل نفوسة[4] علاقات قوية ببلاد السودان، بلاد كانم على وجه الخصوص. المصادر الاباضية تشير إلى وجود مجموعة من السودان بجبل نفوسة، عرفت بالجناوة، كان لها دور في الأحداث السياسية بالمنطقة وأنجبت مشاهير مشائخ الاباضية منهم أبو عبيدة عبد الحميد الجنواني الذي عاش في بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وكان يتحدث العربية، البربرية ولغة كانم[5]، وقد حكم جبل نفوسة كممثل للإمام الرستمي في تاهرت[6].

تتعرض الروايات المحلية فضلا عن الجغرافيين العرب إلى الهجرات من بلاد المغرب إلى بلاد السودان، وترجعها إلى القرن الأول الهجري/السابع الميلادي. ذكر البكري[7] انه يوجد في كانم أمراء أمويون، وهذا يتماشى مع الحقيقة المعروفة التي تقول بهروب بعض صغار الأمراء الأمويون إلى بلاد السودان (133هـ/750م)[8]، وهذا ما تعكسه أيضا التواريخ البرنوية التي تحوي الخلفاء الإسلاميين، فكلها، تتوقف عند الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (101هـ/719م) لتقول: "وانتقل الملك بعده إلى برنو"[9].

---

[1] عرفت باسم زويلة بني الخطاب نسبة لحاكمها عبد الله بن الخطاب الهواري، ملتقى طرق ومنها يدخل الى جمل من بلاد السودان. اعتبرها البعض أول بلاد السودان. بنيت بالقرب منها مدينة المهدية. البكري، المغرب، ص 10 - 11 ؛ الادريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 24 - 99 ؛ القزويني آثار البلاد وأخبار العباد، ص 94 .

[2] ليون الأفريقي، وصف افريقيا، ص 147، حاشية 67

[3] نفس المرجع والصفحة، ابن حوقل، صورة الأرض، ص 101 .

[4] يبعد عن طرابلس مسيرة ثلاثة أيام وهو الامتداد الشرقي لجبل درن. ام قرى جبل نفوسة مدينة شروس كبيرة آهلة، اهلها اباضية. افتتحه بن العاص ومنه رجع بكتاب الخليفة عمر بن الخطاب (رض). البكري، المصدر السابق، ص 9-10 ؛ الادريسي، المصدر السابق، ص 40 - 76 .

[5] T.Lewicky , "The Role of the Sahara & the Saharians in relations between the North & South", P. 293; N. levtzion, "The Sahara & Sudan" , P. 643

[6] أبو زكريا، كتاب السير وأخبار الأئمة، مخطوط دار الكتب، رقم 9030 ج، ص 26-أ، عن سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، جـ 2 ، ص 336 .

[7] المصدر السابق، ص 11

[8] Palmer , Bornu, Sahara & Sudan , P. 6

[9] Ibid.

اقتران قيام إمبراطورية كانم بالخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز أوردته أيضا مخطوطة تمبكتو (1068 - 1080هـ/1657 - 1669م) التي عثر عليها م. بونل دي ماسيير، والتي تقــول "أربعة جنود من جيش عمر بن عبد العزيز خرجوا من اليمن وتوقفوا في برنو، قتلوا حــاكم برنو وأقام أحدهم وهو إدريس نفسه ملكا"[1].

الفترة التي أعقبت سقوط البيت الأموي (132هـ/749م) شهدت العديد من هجرات القبائل البربرية نحو الجنوب. هذه الهجرات أشارت إليها العديد من الروايات المحلية. فحســب هــذه الروايات نجد ان جنود عمر بن عبد العزيز قد توزعوا على مختلف مناطق السودان: الثــاني منهم اصبح ملكا في كوكيا[2] ومنه انحدرت أسرة الازواء التي حكمت سونغي[3] . الثــالث تقــدم حتى بيرو (ولاته)، واليه يرجع السراكي، حكام بلاد الهوسا، نسبهم. رابعهم تزوج امرأة مــن الفولاني واليه ينسب سكان ماسينا[4]. وسواء ان صحت هذه الروايات أو لم تصح ففيها إشــارة إلى الدور الذي لعبه المهاجرون في الشئون السياسية السودانية.

قام سكان الواحات الصحراوية من البربر بالعبء الأكبر في الاتصالات بيــن الجــانبين المغربي والسوداني[5]. فواحات الجزء الشرقي من الصحراء فزان/كوار، وواحات الصحــــراء الوسطى ورجلان غدامس / تاد مكة، أدت إلى وصول أعداد كبيرة من المهاجرين إلى منطقة بحيرة تشاد. ونسبة لارتباط حوض النيجر الأوسط بهذه المنطقة فقد اســتقبلت منطقتــه نفــس العناصر المهاجرة.

---

[1] اليمن عند البرنو حسبما ورد في ديوان سلاطينهم لا تعني بلاد اليمن ولكن تعني كل إقليــم شمــال شرق أفريقيا والسودان الشرقي. Palmer, Bornu, Sahara & Sudan, P. 97

[2] كتب المؤرخون والجغرافيون العرب اسم هذه المدينة برسوم مختلفة: كوكيا، كوكو، كوغا، كركــــر وغيرها، كما اختلف في موقعها. هناك احتمال أنها عدة أسماء لمدينة واحدة، أو أنها عـــدة مــدن بأسماء متشابهة. وقد رجح ان كوكيا هي العاصمة الأولى لمملكة سونغي. الادريســـي، وصــف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 10 ، 11؛ البكــري، المغــرب، ص 179 - 183؛ مجــهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، الإســكندرية 1958، ص 222 ، 225 لمناقشة الآراء المختلفة حول هذه المدينة انظر : احمد الياس حسين، الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة 1977.

[3] السعدي، تاريخ السودان، ص 4 ؛ Trimingham, A history of Islam in W.A. ,P. 84 , 90

[4] Palmer , OP.Cit., P. 6 ,7

[5] ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص 36.

أورد اليعقوبي[1] ان العنصر الحاكم في كاوكاو هم الزغاوة، وهم الذين عمروها كوحدة سياسية. هؤلاء ربما يقابلون من ذكرهم البكري[2] من سكان شمال أفريقيا الذين يعيشون في كاوكاو على النيجر. ولذلك نجد ان الروايات الشفهية المتداولة في كل منطقة السودان الأوسط هي واحدة وتتكرر قصة الانتساب إلى اليمن[3].

مد المهاجرون من الاباضية نفوذهم التجاري والديني على طول الطريق المؤدية إلى جاو وشرق منحنى النيجر عبر تاد مكة، وإلى بحيرة تشاد عبر زويلة. هذه الصلات أدت إلى وصول أعداد كبيرة من سكان شمال الصحراء إلى بلاد السودان، واستقر بعضهم بها وتزاوجوا مع السكان الأصليين وتناسلوا، ومن هؤلاء جاء أبو يزيد مخلد بن كيداد[4] الذي ولد من أم سودانية في مدينة كوكو، أبوه بربري خارجي من توزر، وشب أبو يزيد ليقود حركة الخوارج ضد الفاطميين[5] في شمال أفريقيا سنة 322هـ الموافق 943م[6].

---

[1] تاريخه، جـ 1، ص 168 ؛ Palmer, Bornu, Sahara & Sudan, P. 61

[2] المصدر السابق، ص 183.

[3] ورد ان قبائل هوارة ومزاتة ولواتة تزعم أنها من اليمن. اليعقوبي، البلدان، ص 345 / 346 .

[4] أبوه من بني يفرن وأمه سودانية تسمى سيكة، نشأ في توزر من بلاد الجريد، اعتنق مذهب النكارية الصفرية. ظهر بجبال أوراس واشتهر بصاحب الحمار. أخفى على الناس مذهبه فتبعه الكثير من البربر في ثورته على محمد بن عبيد الله، كما انضم إليه العديد من علماء القيروان. استفحل أمره حتى تسمى بأمير المؤمنين، وهاجم رقاده. تمكن إسماعيل بن أبي القاسم محمد من هزيمته وقتله في 336هـ الموافق 947م. مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 205 ، 206 ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ص 216 – 218 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ 8 ، ص 165 ، 173.

[5] الدولة الفاطمية الشيعية العلوية. ينسبون إلى فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) وزوج على بن أبي طالب ومن اسمها اتخذوا. لقبهم تسمى أيضا الدولة العبيدية نسبة إلى أول خلفائهم عبيد الله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر. وقد اختلف المؤرخون حول نسبه. يقصر البعض تسمية الدولة بالعبيدية على فترتها بالمغرب. تحول مركز حكمهم إلى مصر في 361هـ الموافق 971م في عهد معد بن إسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله، كنيته أبو تميم، ولقبه المعز لدين الله. ابن عذارى، المصدر السابق، ص 149 وما بعدها، مجهول، المصدر السابق، ص 202 – 206؛ لسان الدين الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ص 46 وما بعدها؛ سعد زغلول، تاريخ المغرب الكبير، جـ 2، ص 533 وما بعدها؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص 507 وما بعدها.

[6] مجهول المصدر السابق، ص 205

الفترة ما بين سنة 287هـ / 900م و سنة 391هـ/1000م كانت فترة تغييرات عميقة في بلاد المغرب، فقد شهدت تيار خصومة جارفة بين المستقرين من البرانس والقبائل البدوية من البتر الذين كان غالبيتهم من الخوارج المسيطرين منذ القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي على مراكز هامة مثل سجلماسة، تلمسان وتاهرت. كانت اعنف ثورات بدو البربر الخوارج تلك التي كان على رأسها أبو يزيد والتي عاونته وعاضدته فيها الفروع الرئيسة من هوارة وزناتة[1]. وكان من نتيجة انتصار الفاطميين والبربر الحضر، البرانس، على أبي يزيد والبدو من البربر البتر، هروب أعداد كبيرة من البدو إلى الصحراء، ووصل بعضهم إلى بلاد السودان، فقد ورد ذكر هوارة في بلاد فزان في ذلك الوقت[2]، كما تواجدوا في المنطقة جنوب تبستي[3]. ونقل الخوارج نشاطهم إلى بلاد السودان في تاد مكة وغانة، ثم مالي فيما بعد، حيث نشروا الإسلام وجمعوا الثروات[4].

عكست روايات وأساطير بلاد السودان الأحداث السياسية التي كانت جارية في الشمال، والتي أدت إلى هروب القبائل المهزومة ناحية الجنوب. فهناك رواية مشتركة بين برنو، بلاد الهوسا واسبن تقول ان ابن ملك بغداد (بياجيدة) مكث في برنو بعض الوقت ثم رحل غربا، مخلفا زوجته وابنه، إلى دورا حيث قتل الثعبان، حارس مصدر الماء[5]، وتزوج الملكة[6]. يرى بالمر[7] ان بياجيده هو أبو يزيد الذي أخمدت ثورته في بلاد المغرب وتفرق اتباعه في بلاد السودان، مستندا إلى العبارة الواردة في أسطورة دورا والتي تقول : انه أراد ان يصبح ملكا في طرابلس ولكن رفضه الناس. كما وردت عبارة أخرى تقول انه: خرج من بغداد بسبب أحد الملاحدة.

---

[1] ابن خلدون، العبر، جـ 6 ، ص 146 ، 383؛ Palmer , Bornu, Sahara & Sudan , P. 273.

[2] فرانسوا دي ميديروس، "تنقل السكان" ، ص 148.

[3] T. Lewicky, "The Role of the Sahara & the Saharians in the relations between North & South", P. 304

[4] الوسياني أبو الربيع سليمان بن عبد السلام، كتاب السير، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ح/9113 ص 26-أ ، عن سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ص 406 .

[5] نجد أيضا أسطورة البطل قاتل الأفعى عند الماندنجو عند الحديث عن أصول واجادو أنظرها في De Moreas Farias, P.F., "Great States revisited" Review Article, J.A.H. vol. XV, 3, 1974 , P. 484

[6] مهدي ادامو، "الهوسا وجيرانهم بالسودان الأوسط، ص 276 – 277. Palmer , Op. Cit., Sudan, P. 273

[7] Ibid. , P. 273 , 274

رواية قاتل التنين الذي اصبح ملكا شائعة في أجزاء مختلفة من غرب أفريقيـــا، ويمكــن تأويلها على أنها تغيير في أسس السلطة، وعليه فان هذه الروايات المتداولة ربما تحوي إشارة إلى التأثير السياسي الذي ينتج عن الاتصال ببدو الصحراء من البربر.

هزم بنو هلال وسليم[1]، الذين غزوا شمال أفريقيا سنة 441هـ الموافق 1049م[2]، وقـــدر عددهم ما بين المائتين وأربعمائة الف تقريبا، قبائل لواتة وهوارة البربرية، واستقر معظمهم في الأراضي الداخلية لباركة وتونس. أما هوارة ولواتة ونفزاوة فقد اعتصموا بالجبـــال أو دفعـــوا ناحية الجنوب[3]. عناصر التذا أو الجرامانت، دفعت بواسطة الأعراب نحو الجنوب إلى منطقة كانم، وكان ان اصبحوا عناصر القرعان الحالية[4] . وسرعان ما اندمجوا في قبائل ملكية كـــانم النامية، واستطاعوا السيطرة على ملك الماغومي[5] بعد ان أنشئت عاصمة ســـلطة كـــانم فـــي انجمي[6] . ويبدو واضحا من المخطوطات البرنوية ان رواية أبو زيد الهلالي، التي مـــا زالـــت متداولة بين العرب البقارة في منطقة تشاد، كانت نتيجة تعاون بين عناصر العرب البقارة مـــن جهينة وجذام مع عرب هلال وسليم، وان الأخيرين فـــي هجرتـــهم منـــذ القـــرن الخـــامس

---

[1] من إشباع القرامطة، فلما اخذ الفاطميون الشام نزلوا صعيد مصر، في العدوة الشرقية مـــن النيـــل. استجابوا لدعوة الفاطميين لهم بالهجرة إلى بلاد المغرب فاقتسموها واستقروا بها. ابـــن عـــذارى، البيان المغرب، جـــ 1، ص 288 وما يليها؛ ابن خلدون، العبر، جـــــ 6 ، ص 19 ، 211 ومـــا يليها؛ أبو محمد عبد الله بن محمد بن احمد التجاني، رحلة التجاني، تقديـــم حســـن حســـني عبـــد الوهاب، تونس 1378 هـــ/1958م، ص 18.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 20.

[3] Palmer , Bornu, Sahara & Sudan, P. 71

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، جـــ 6 ، ص 21.

[5] نبلاء إمبراطورية كانم – برنو سكنوا في فترة ما حوالي 133هـــ الموافق 750م واحـــة العوينـــات ولهذا قيل انهم أرستقراطية بدو الطوارق. يتجولون ما بين فزان والنيل وبحيرة تشاد. هم ســـلالة الأب التي ينحدر منها سيفيو كانم – برنو. ويعتبرون أساس شعب الكـــانوري. ديـــرك لانجـــي، "ممالك تشاد وشعوبها"، ص 254؛ Palmer, OP.Cit., P. 3 , 6

[6] Palmer , OP.Cit. , P. 146.

الهجري/الحادي عشر الميلادي فصاعدا، مرورا بباركه إلى بلاد السودان، قد اتحدوا مع بولالا كانم[1]، وقلصوا سلطة الماغومي لدرجة العجز فرحلوا ناحية الغرب[2].

تنقلات السكان في الجزء الغربي من بلاد المغرب وبلاد السودان، لعب فيها الحدث الجغرافي الهام المتمثل في جفاف تلك المنطقة وتصحرها دوراً كبيراً. فنتيجة لذلك مارس البربر ضغطا أدى إلى نشوء حركة انتقال تدريجي نحو الجنوب، وخير مثال لذلك هجرة قبائل الفولاني[3]. بالإضافة إلى هذا العامل فان عملية الفتح العربي الإسلامي للشمال الأفريقي وما تلاه من أحداث وحروب، مثلت عاملا آخر لتكثيف هجرة القبائل البربرية البدوية نحو الصحراء، ومن ثم عبورها إلى بلاد السودان.

تيار اندفاع العرب في الشمال الأفريقي اتجه سريعا نحو الغرب منذ سنة 62هـ الموافق 681م[4]. وقد كانت المرتفعات جنوب نول الأقصى، أي الجزء الشمالي من الصحراء الغربية،

---

[1] ما يؤيد تعاون العرب مع البولالا ضد مايات برنو الخطاب الذي أرسله الماي رقم 33 عثمان بيري بن إدريس (795–828هـ/1392–1424م) إلى سلطان مصر الظاهر أبو سعيد برقوق يشتكي فيه من عرب جذام الذين يقومون بمساعدة البولالا. والبولالا قوم من الرعاة يقيمون في منطقة بحيرة فتري ولا زالوا. زحفوا على كانم نتيجة ما أصابها من ضعف، وربما كان لزحفهم هذا صلة بهجرة القبائل العربية ناحية الغرب على اثر تفكك مملكة النوبة المسيحية في القرن التاسع الهجري/ الرابع عشر الميلادي. القلقشندي، صبح الأعشى، جـ 5 ، ص 269 ؛ جـ 8، ص 116؛ Palmer , Bornu , Sahara and Sudan, P. 218.; Muidock, Africa, its people & their Cultural history, P. 411, ؛ ديرك لانجي، "ممالك التشاد وشعوبها"، ص 264 .

[2] رحل الماغومي ناحية الغرب إلى برنو في عهد الماي رقم 30 عمر بن إدريس (784 – 789هـ/1382–1387م) ديرك لانجي، المرجع السابق، نفس الصفحة؛ Palmer, OP. Cit. , P. 216

[3] هناك افتراض انهم من سلالة رعاة الماشية الذين توجد أدلة لغوية على انهم عاشوا في موريتانيا خلال القرن الثالث والثاني قبل الميلاد. أما الكتاب الأوربيون فيقولون انهم من الساميين الذين نزحوا من آسيا إلى الشمال الأفريقي ومنه إلى بلاد السودان. في الفترة ما بين القرن الأول والخامس الهجري/ السابع والحادي عشر الميلادي، كانوا قد وصلوا إلى منطقة السنغال ولعبوا دورا في تكوين بعض الممالك مثل تكرور. القول بأنهم مزيج من الروم والعرب رواه عبد الله بن فودي عن أجداده. من كتب باللغة الإنجليزية اسماهم فولاني وهو بلغة الهوسا. من كتب بالفرنسية اسماهم بيول وهو الاسم الذي يطلقه الفولاني على أنفسهم/الماندنجو الفولا، واسماهم الكانوري وعرب السودان الفلاتة. فرانسوا دي ميديروس، "تنقل السكان"، ص 151 – 153؛ آدم عبد الله الالوري، موجز تاريخ نيجريا، ص 129 – 132 .

[4] ابن عذارى، البيان المغرب، ص 23 – 26 .

محتلة بقبائل صنهاجة لمتونة، مسوفة وجدالة[1]. ضغطت الجيوش الإسلامية قبائل البربر التـي كانت تقطن المناطق الخصبة من هذا النطاق الجبلي، ودارت سلسلة من الحروب، كان الفريق المهزوم أثنائها، يهرب إلى الصحراء حيث يتجولون إلى حدود بـلاد السـودان[2]. وقـد أورد البكري[3] ان لمتونة وجدالة وبعض الأفرع الصغيرة مثل جزولـة ووارث قـد وصلـت أدار الموريتانية ومنها إلى تاجنت والحوض، حيث اتصلوا بمملكة غانا. وبالنسبة لليـون الأفريقي[4] فان صنهاجة قد زحفت جنوبا حتى والاتا وتمبكتو.

كانت سنغى على اتصال ببني جدالة في عهد البكري[5] وكان هذا الاتصال يرتكـز علـى مقومات طبيعية إذ ان فرع من الصحراء كان يتعمق ناحية الجنوب الشرقي حتى شواطئ نهر النيجر، في ممر لا نعرف عرضه تماما، هذا الممر فتحته الطبيعة وكان له تأثير كبـير علـى تاريخ بلاد السودان. فقبائل الصحراء وجدت ي ذلك الممر شيئاً متجانساً مع طبيعتها فسـلكته حتى اصبح البربر هم الملاك الفعليين للمنطقة جنوب غانا[6]، وفي هذا المعنى يورد الادريسي[7] قوله: "ارض قمنورية كانت لها مدن للسودان مشهورة وقواعد مذكـورة لكـن أهـل زغـاوة ولمتونة الصحراء الساكنون من جهتي هذه الأرض قد طلبوا هذه الأرض (قمنورية) حتى افنوا اكثر أهلها وقطعوا دابرهم وبددوا شملهم على البلاد"

من وصف الادريسي[8] للصحراء الغربية في القرن السادس الهجري نجد ان لمتونة قـد تحركت شمالا نحو المغرب الأقصى. أما بنو جدالة فلم يعودوا مسيطرين على الجزء الجنوبي الغربي من الصحراء الذي اسماه الادريسي[9] مقزارة أو مغراوة. الأحداث السياسية فـي بـلاد المغرب هي التي أدت إلى مثل هذا التغيير في أماكن سكني القبائل البربرية فـي الصحـراء.

---

[1] لما اقترب عقبة بن نافع من طنجة خرج إليه ملكها يليان الرومي، الذي سالم عقبة وأمـده ببعـض المعلومات ومنها قوله "لقد تركت الروم وراء ظهرك وما أمامك الا البربر". ابن عذارى، البيـان المغرب، ص 26؛ البكري، المغرب، ص 161.

[2] Cooley, The Negro Land of the Arabs, P. 2; Trimingham, A history of Islam in West Africa, P. 40

[3] المصدر السابق، ص 164.

[4] وصف أفريقيا، جـ 1، ص 60، جـ 2، قسم 8 ، ص 161.

[5] المصدر السابق، ص 172، انظر أعلاه في هذا الفصل ص 23-24؛ Palmer, Bornu, Sahara & Sudan, P. 6-7

[6] Cooley , OP.Cit.,P.42, footnote no. 80

[7] وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 17.

[8] نفس المصدر، ص 16.

[9] نفس المصدر السابق والصفحة

احتلال المرابطون لمدينة فاس أدى إلى نزوح قبائل مغراوة إلى الصحراء[1] فاحتلت مكان بني جدالة في صحراء قمنورية[2]، التغيير في اسم المكان إلى مقزارة أو مغراوة ربما نشأ عن التغيير في أماكن سكن القبائل ومن ثم النسبة إليها[3] .

بسقوط دولة المرابطين رجعت كل قبائل الملثمين إلى الصحراء كما بقى معظم قبائل زناتة بها أيضا، يدفعون الجزية لملوك السودان ويعملون في جيوشهم[4].

كان لعناصر اليهود المهاجرة من الشمال الأفريقي[5] دور في العلاقات ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان. بدأت هجرتهم نحو الصحراء وبلاد السودان في فترة الحكم الروماني[6]. اتجهت مجموعة منهم نحو ادرار حيث أسسوا لهم عاصمة في تامننت[7]، وقد سجل الادريسي[8] وجود اليهود من ارض قمنورية. أشار بعض المؤرخين[9] إلى امتصاص العناصر

---

[1] حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 222

Cooley, The Negro Land of the Arabs, P. 58;

[2] ارض قمنورية هو الاسم الذي أطلقه الادريسي على الممر غير المأهول بين صحراء نيسر والمحيط الاطنلطي. الادريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 17 ؛

Cooley, OP.Cit., P. 57

[3] يعتبر مقزارة أجداد لكل من السرير والولوف والنكلور ويفرق الادريسي بينهم وبين الغانيين. الادريسي، المصدر السابق، ص 5 ؛ Trimingham, A history of Islam in west Africa, P. 40

[4] ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 263؛ Cooley , OP.Cit,, P. 72

[5] يبدو ان هجرتهم الحقيقية لشمال الأفريقي كانت في أواخر القرن السادس قبل الميلاد حيث تواجدوا أولا في سيرانيكا (برقة) واستزجوا في بحر البربر الذين اعتنقوا اليهودية. ابن خلدون، المصدر السابق، ص 108؛ أبي بكر عبد الله المالكي، رياض النفوس، تحقيق حسين مؤنس، ط أولى، مكتبة النهضة مصر، 1951م، ص 35؛ Palmer, Bornu, Sahara & Sudan, P. 17; Briggs, Tribes of the Sahara, P. 90

[6] كانت هذه الهجرة بعد ثورة قام بها اليهود ضد الحكم الروماني في سيرانيكا وبعد القضاء عليها هرب العديد منهم إلى الغرب ثم الى الصحراء حيث سجل وجودهم في واحات الصحراء في القرون الوسطى. البكري، المغرب، ص 9 – 15 – 85 – 115 ؛ الادريسي، المصدر السابق، ص 99.

[7] من اقدم قصور واحة توات. وقد أثبتت الحفريات وجود مجموعات اليهود بها الا ان المغيلي قد عمل على إنهاء وجودهم بتوات Trimingham, OP.Cit., P. 14, footnote 2; N. Levtzion, "The Western Magrib & Sudan" , Camb. History of Africa, Vol. III , P. 450 .

[8] المصدر السابق، ص 17.

[9] H. Barth, Travels & Discoveries in Northern & Central Africa, (1849 – 1855) vol. I, New York 1957 , P. 64 ; Palmer, Bornu, Sahara & Sudan, P. 61

اليهودية للعديد من المجموعات الزناتية الصحراوية التي كانت تعتنق مذاهب الخوارج وتخلت عنها لتصبح يهودية. واصل اليهود زحفهم حتى بلغوا منطقة انحناءة النيجر الكبرى حيث استقروا لبعض الوقت ثم تحركوا غربا نحو منطقة الحوض وأوكار واختلطوا بالسكان المحليين. يرى بعض المؤرخين أمثال دي لافوس[1] ان اليهود قد شاركوا في تكوين أسلاف الفولاني كما شاركوا في تكوين بعض الأسر الحاكمة في بلاد السودان[2].

كان لهذه الفئات اليهودية نشاطها الاقتصادي الملحوظ في بلاد السودان، كما كان لانتشار اليهود من بلاد المغرب في واحات الصحراء وتواجدهم في ملاحات البربر، التي تعتبر مراكز تجميع للمعلومات عن المناطق الداخلية، دور كبير في مد الأوربيين في العصور الوسطى بالكثير من المعلومات عن بلاد السودان[3]. وقد عاش يهود توات العديدين آمنين تحت حماية المشائخ المحليين، كما كانوا يسافرون مع القوافل التي تعبر الصحراء إلى بلاد السودان[4].

تعددت العوامل التي أدت إلى الهجرات الإنسانية بين بلاد المغرب وبلاد السودان حتى كاد السودان ان يمثل جزءا من بلاد المغرب لكثرة ارتياد القبائل البربرية لكل مناطقه ما بين بحيرة تشاد والمحيط الأطلنطي. القادمون من الشمال كانوا على درجة من الحضارة والتقدم التقني من أسلحة حديدية وركوبة سريعة متمثلة في الخيل والإبل لذلك نجدهم في معظم الأحيان قد كونوا الطبقة الحاكمة[5]، مستحدثين فكرة جديدة للملك لا تعتمد على الحق الإلهي، ونظام وراثة جديد له ينحدر من جهة الأب[6].

أبدى ملوك السودان براعة سياسية فائقة في الاستفادة من تلك العناصر والقبائل النازحة من بلاد المغرب فقد استغلوا قدرات وكفاءة من كانوا يترددون على بلادهم. أورد البكري[7] ان

---

[1] M. De Lafose, Haut – Senegal – Niger, (3vol.) Paris , 1912, vol.II, P 219; Bovill, The Golden Trade of the Moors , P. 50

[2] دي ميديروس، "تنقل السكان"، ص 53؛ Encyclopedia of Islam, vol. II , P. 130 ; إبراهيم طرخان، إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة العامة للتأليف، 1970، ص 22.

[3] نتيجة لهذه المعلومات ظهرت بلاد السودان ف خريطة مدرسة ميورقة وخريطة دلكرت عام 1339م والخريطة القطا لونية عام 1375م ،.Bovill, OP. Cit ؛ إبراهيم طرخان، إمبراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة العامة للكتاب، 1975 ص 9 .

[4] Levtzion, "The Western Magrib & Sudan", P. 450

[5] حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، ص 94 .

[6] القلقشندي، صبح الأعشى، جـ 5، ص 294 ؛ S.J. Hagben, An Introduction to the history of Islamic states of Nigeria, P. 5 -6

[7] المغرب، ص 174؛ باذل ديفوسن، أفريقيا تحت أضواء جديدة، ص 89.

ملك غانا كان يختار تراجمته وصاحب بيت ماله ووزرائه من مسلمي بلاد المغـــرب. وهكـــذا كان يعهد ببعض قطاعات إدارته لمسلمين متعلمين متوقعا منهم قدرا من الكفاءة في الأداء.

تمتع مهاجري بلاد المغرب في كل الممالك السودانية بذات المكانة السامية والاحـــترام وهذا ما يعبر عنه البكري[1] بقوله: "عندما يدخل المسلم بلادهم يعامله الناس باحترام ويفسحون له الطريق". ففضلا عن غانا التي كانت تفرد حيا خاصا للمسلمين في عاصمتـــها[2] نجـد مـــن مشيخات المالنك، دو وملال، اللتين كانتا بداية تماسك سياسي كبير بين المـــالنك فيمـــا وراء السنغال[3]، ان لمهاجري شمال أفريقيا مكانة خاصة في البـــلاط الملكـــي[4] . ونجـد ذات الـــود والاحترام والمكانة العالية في كاوكاو، عاصمة السونغي، وهي، مثل غانة، تتكون من مدينتين: إحداهما لسكنى المسلمين والأخرى محل سكن الملك، ولا يملكون غير المسلمين[5].

وفي منطقة السودان الأوسط كان للمهاجرين من بلاد المغرب اثر ملموس فـــي الناحيـــة السياسية. فقيام دولة كانم كان نتيجة انصهار عناصر الزغاوة البدوية البربرية المهاجرة مـــن الشمال بالعناصر المحلية المستقرة[6].

هذه الهجرات القبلية وضعت بصماتها الثقيلة على الوضع السياسي في بلاد السودان، إذا لم يكن مباشرة في إنشاء وتطور الممالك السودانية لتصبح دولا وإمبراطوريات واســـعة لـــها دورها وسمعتها في عالم العصر الوسيط، كما يذهب من يقولون بنظرية الانتشار الحضاري[7]، فبطريق غير مباشر لجلبهم أسلحتهم ونظمهم وتقنياتهم وثقافتهم التي مكنت من امتلكوا ناصيتها من السودانيين من فرض سيطرتهم وحكمهم على المجموعـــات الصغـــيرة مـــن المزارعيـــن والرعاة، وإنشاء الحكومات ذات السلطان العريض، كما يذهب أصحاب الرأي الآخـــر ممـــن

---

[1] البكري، المغرب، ص 77.

[2] نفس المصدر، ص 174.

[3] الادريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 5 ؛ Levtzion , "The Sahara & Sudan", P. 671

[4] البكري، المصدر السابق، ص 178.

[5] نفس المصدر، ص 183؛ ياقوت، معجم البلدان، جـ 2 ، ص 263.

[6] Palmer , Bornu, Sahara & Sudan, P. 5 ; Levtzion , OP.Cit. ; P. 683

[7] يرى هذا الرأي م. دي لافوس و هـ.ر. بالمر و ي. ارفـــوي. فـــي هـــذا الموضـــوع انظـــر دي ميديروس، "تنقل السكان"، ص 144؛ حسن احمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار النهضة العربية، 1963، جـ 1، ص 225 ؛ إبراهيم طرخان، إمبراطورية غانة الإســـلامية، ص 22؛ Fage, A history of west Africa , P. 7 - 13

يقولون بان قيام الممالك والإمبراطوريات في الحزام السوداني هو تطور ذاتـــــي للمجتمعـــات السوداء[1].

وفي ظل النظام المركزي الذي كان ثورة على القبلية الصرفة ازدهرت ممالك السودان الواحدة تلو الأخرى على امتداد نطاق حزام السافنا، وبالرغم من ان لهذه الدول أصول وثنيـــة غير أنها بلغت القوة والذروة في عهدها الإسلامي[2].

---

[1] Mauny, "Trans – Saharan contacts & the Iron Age in west Africa", P. 337 – 341 ; Bovill, the golden Trade of the Moors, P. 52;

م. يوسنانسكي، "المجتمعات الأفريقية جنوب الصحراء في العصر الحديدي المبكر"، ص 742.

[2] إبراهيم طرخان، إمبراطورية غانة الاسلامية، ص 8.

الفصل الثاني

الجهد الرسمي في العلاقات السياسية بين بلاد المغرب وبلاد السودان

الفتح العربي الإسلامي لبلاد المغرب ودور الفاتحين الأوائل في التوغل في بلاد السودان:

أرسل عمرو بن العاص سرية صغيرة لاستطلاع أخبار برقة[1] بقيادة عقبة بن نافع وهو ما زال منشغلا بفتح مصر[2] ويبدو ان عمرا اطمأن بتقرير عقبة عن بلاد برقة فعجل بتسيير جيوشه إليها بعد فتح الإسكندرية في سنة 21هـ الموافق 641م[3].

سار عمرو بن العاص في الخيل حتى بلغ برقة فصالح أهلها على ثلاثة عشر الف دينار يؤدونها إليه جزية[4] وكان فتح برقة في سنة 22هـ الموافق 642م[5]. وكانت من الأسباب التي أدت بتعجيل عمرو بن العاص فتح برقة، ان برقة وطرابلس كانتا ولاية واحدة تحت إشراف مصر[6]، فرأى ان يتتبع الروم ويستأصلهم حتى يؤمن حدود مصر، خاصة وان أهل البلاد كانوا قد كرهوا حكم الروم وتاقوا لمن يخلصهم منه.

لما سار العرب إلى برقة لم يستهدفوا فتح الأقاليم الساحلية العامرة فقط بل توجهوا في نفس الوقت لفتح أقاليم الجنوب الصحراوية. فخطتهم استهدفت تسيير قوتين، إحداهما نحو إقليم برقة، والأخرى نحو إقليم فزان. فالروايات التي يرويها الواقدي ويوردها البلاذري[7]، والتي

---

[1] هو الاسم العربي لولاية سيرنيكا القديمة، اسمها بالرومية بنطابلس يعني الخمسة مدن، تقع شرق ليبيا وهي هضبة الإقليم. البكري، المغرب، ص 4؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 230؛ الناصري، الاستقصاء، جـ 1، ص 65.

[2] ابن عذارى، البيان المغرب، ص 8؛ ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، طبعة 3، تونس 1967، ص 26.

[3] البلاذري، أبو الحسن احمد، فتوح البلدان، نشر غوبة، طبعة ليدن، 1968 ، ص 264.

[4] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 229 ؛ البلاذري، المصدر السابق، ص 265.

[5] اختلف المؤرخون حول هذا التاريخ لمناقشة هذا الاختلاف انظر عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص 161؛ الظاهر احمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ص 31 – 32؛ محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، جـ 2، ص 3؛ محمد علي نايف، جهود عقبة بن نافع الفهري في فتح بلاد المغرب، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية 1989، ص 79 – 81.

[6] ذكر ان المقوقس كان صاحب الإسكندرية وبرقة ، ابن عذارى، المصدر السابق، ص 17.

[7] [illegible]، ص 265.

ترجع إلى ابن لهيعة والليث بن سعد ويوردها ابن عبد الحكم[1] ويتفق معها الجغرافيون العرب[2] تقول ان "عمرو وجه عقبه بن نافع حتى بلغ زويلة".

سار عقبة في اتجاه الجنوب الغربي متتبعا طريق الواحات الذي تجتازه القوافل[3] حتى بلغ زويلة وتم فتحها على يديه سنة 22هـ الموافق 642م[4]، وفرض على أهلها ثلاثمائة رأس من العبيد[5]. ونفهم من النصوص ان فتح صحراوات برقة كان سهلا . كتب عمرو بن العاص إلى الخليفة يخبره "ان من بين زويلة وبرقة سلم كلهم حسنة طاعتهم قد أدى مسلمهم الصدقة واقر معاهدهم بالجزية"[6].

عندما استكمل عمرو فتح إقليم برقة تابع مسيره غربا لفتح مدينة طرابلس[7] التي تم فتحها عنوة في سنة 23هـ الموافق 643م[8]. أثناء حصار طرابلس أرسل القائد بسر بن ارطأة[9] لفتح منطقة ودان، من أعمال برقة، فافتتحها في سنة 23هـ الموافق 643م[10] . كان هدف عمرو بن العاص من هذه الفتوحات الداخلية تأمين فتوحاته الساحلية وتطهير المنطقة من جيوب المقاومة

---

[1] فتوح مصر والمغرب، ص 229.

[2] البكري، المغرب، ص 10؛ الاصطخري، المسالك والممالك، ص 40.

[3] سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، جـ 1، ص 135.

[4] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 230 ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ص 8.

[5] قيل أنها لم تكن جزية ولا خراج. الظاهر احمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ص 35.

[6] البكري، المصدر السابق، ص 10؛ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 230؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص 265.

[7] مدينة فنيقية كانت تسمى "اويا" ثم سميت تريبو ليتانوس وتعني المدن الثلاث واختصرت لـ تريبولي يقال ان أول من اسماهاطرابلس عمرو بن العاص. البكري، المصدر السابق، ص 7؛ الادريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 89 – 90؛ اليعقوبي، البلدان، ص 346.

[8] البكري / المصدر السابق، ص 8؛ [illegible] البلاذري، المصدر السابق، نفس الصفحة، وهناك من قال ان فتحها كان سنة 22هـ، أمثال ابن عذارى، المصدر السابق، ص 8؛ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 230؛ للمزيد عن فتح طرابلس انظر أيضا الناصري، الاستقصاء، جـ 1 ، ص 73 .

[9] وقيل بسر العامري، اسم أبي ارطأة عمير ، كان من المتحمسين لنصرة معاوية بن أبي سفيان حضر موقعة صفين، قاد المعركة التي انتهت بتنازل الحسن بن علي عن الخلافة. أوقع بآل البيت الكثير من القتل. الظاهر احمد الزاوي، المرجع السابق، ص 61.

[10] البكري، المصدر السابق، ص 12؛ اليعقوبي، المصدر السابق، ص 346؛ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 262.

وردع سكانها، خاصة قبائل نفوسة، التي استنجد بها أهل طرابلس عندما حاصرهم المسلمون[1].

كتب عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر (رض) يعلمه بفتوحاته ويستأذنه في فتح أفريقية[2]، وقد كان عمرو يرسل إليها جرائد الخيل فيصيبون الغنائم ويرجعون[3]. غير ان عمر كتب إليه ينهاه عن فتحها[4] ويأمره بالعودة إلى مصر[5]. بعد عوده عمرو إلى مصر استشهد الخليفة عمر في 23هـ الموافق 643م[6] وتولى الخلافة بعده عثمان بن عفان (رض).

أرسل والي مصر، من قبل الخليفة عثمان، عبد الله سعد بن آبي سرح[7] يستأذنه في فتح أفريقية[8] فأذن له بعد استشارة الصحابة[9] في المدينة. والتقى المسلمون بالروم قرب سبيطلة[10] وكان النصر حليفهم غير انهم خرجوا عنها بعد ان عقدوا حلفا دفع الأفارقة بمقتضاه فدية مقدارها ثلاثمائة قنطار ذهب[11]. لم يستخلف ابن أبى السرح أحدا ولم يبق بها معسكرا[12].

مرت ست سنوات على خروج ابن أبي السرح عن أفريقية نقض فيها الروم عهودهم كعادتهم فارسل الخليفة عثمان حملة بقيادة معاوية بن حديج[13] في سنة 34هـ الموافق

---

[1] ابن عذارى، البيان المغرب، جـ 1 ، ص 8.

[2] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 232 ؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص 265.

[3] ... نفس المصدر والصفحة؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ص 8 ؛ المالكي، رياض النفوس، ص 8.

[4] انظر نص خطاب عمرو ورد الخليفة عمر عند ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 232.

[5] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 8.

[6] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 233.

[7] هو أبو يحي القرشي العامري أخ عثمان بن عفان في الرضاع. كان يكتب الوحي للنبي (ص) ثم ارتد عن الإسلام. استأمن له عثمان عند فتح مكة فقبل النبي (ص) إسلامه. له صحبة . لم يبايع لعلي ولا لمعاوية مات سنة 36هـ. ابن عذارى، المصدر السابق، ص 8-9؛ البكري، المسالك والممالك، تحقيق ادريان فان ليو، جـ 2، 1992 ص 644 ؛ المالكي، المصدر السابق، ص 8.

[8] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 9.

[9] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 246 ؛ البلاذري ، المصدر السابق، ص 267.

[10] البلاذري ، المصدر السابق، ص 226؛ الناصري، الاستقصاء، جـ 1، ص 67.

[11] نفس المصدر، ص 268؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6 ، ص 141؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 27.

[12] نفس المصدر والصفحة؛ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 246 - 247 .

[13] معاوية بن حديج بن جفنة بن قتيرة الكندي صحابي على قول الاكثرين.

- مات بمصر وهو وال عليها من قبل معاوية بن أبي سفيان سنة 52هـ الموافق 672م جاء اسمه عند بعض المؤرخين خديج. ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ص 108 حاشية 2؛ الطاهر احمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ص 74.

654م[1]. وبعدها انشغل المسلمون بالفتنة التي أعقبت مقتل عثمان (رض) في سنة 35هـ الموافق 654م وبحروب معاوية وعلي ابن أبى طالب (رض) عشر سنوات.

بقى عقبة ابن نافع معتزلا الفتنة مع بعض قواته في برقة، التي أصبحت موقعا متقدما للقوات الإسلامية في غرب مصر، إذ انحسر سلطان المسلمين بخروج طرابلس عن طاعتهم. اتخذ عقبة سرت قاعدة لقواته وغزواته، وصرف همه لغزو الواحات، فزان، ودان، زويلة والسودان، حتى ذكر البكري[2] ان البربر والروم قد لجأوا إلى باغاية وتحصنوا بها من عقبة بن نافع.

ما كادت الأمور تفضي إلى معاوية بن أبي سفيان بعد تنازل الحسن بن علي بن طالب (رضي عنهما) عن الخلافة، حتى ولى عمرو بن العاص مصر مرة أخرى[3]، فواصل غزواته السابقة على برقة وطرابلس. ذكر ابن الأثير[4] ان عمرا استعمل عقبة بن نافع على المغرب "فانتهى عقبة إلى لواتة ومزاتة فأطاعوا ثم كفروا فغزاهم من سنته (41هـ) وقتل وسبى ثم افتتح في سنة 42هـ الموافق 662م غدامس فقتل وسبى وفتح في سنة 43هـ الموافق 663م كوراً من كور السودان وافتتح ودان وهي من برقة". ويشير ابن تغري بردي[5] كذلك إلى افتتاح عقبة في سنة 43هـ الموافق 663م كورا من كور السودان وودان من برقة.

اضطربت الأحوال في بلاد المغرب بسبب ما دفعه أهل أفريقية للمسلمين من مال[6]، وبدأ البربر يتطلعون إلى المسلمين لإنقاذهم مما يلاقونه من الروم[7]، فاخرج معاوية بن أبي سفيان معاوية بن حديج إلى بلاد المغرب في سنة 45هـ الموافق 665م[8] فحقق بعض الفتوح

---

[1] أخبار هذه الغزوة مقتضبة ولا يذكرها الكثير من المؤرخين. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 260 – 261 ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، جـ 1، ص 16 ؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6 ، ص 141 ، لمزيد من التفاصيل انظر : الطاهر احمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ص 74–75؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص 92.

[2] المغرب، ص 145؛ السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 66 – 67.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 15.

[4] الكامل في التاريخ، جـ 3 ، ص 419.

[5] أبو المحاسن بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جـ 1، المؤسسة المصرية للكتاب، 1963، طبعة أخرى سنة 1929 ، ص 124.

[6] ابن عذارى، المصدر السابق، جـ 1، ص 17.

[7] نفس المصدر والصفحة؛ سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، جـ 1 ، ص 169.

[8] ابن خلدون، العبر، جـ 6 ، ص 141؛ ابن عذارى، المصدر السابق، جـ 1 ، ص 16؛ المالكي، رياض النفوس، ص 17؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 27.

والانتصار وشرع في إقامة مركز للمسلمين في أفريقية[1]، غير انه لم يتح له إكمال ما بـدأه إذ تم عزله، فخرج عن المغرب ولم يعقد اتفاقا ولم يترك نائبا له . تعتبر حملته هذه آخر الحملات السريعة لفتح بلاد المغرب، إذ تم الفتح الحقيقي على يدي عقبة بن نافع الذي جاءه قرار توليـه المغرب من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان وهو بين ظهراني البربر في برقـة فـي سـنة 49هـ الموافق 669م[2].

قبل ان يتوجه عقبة إلى أفريقية قضى فترة خمسة اشهر[3] في جولة صحراويـة بعـد ان نزل مغمداس من سرت[4] . ثم هبط جنوبا ليسير في طريق داخلية ليفتتح الواحات الصحراويـة متجنبا الطريق الساحلية غير المأمونة التي تكثر فيها المدن والحاميات البيزنطية[5]. قصد عقبـة الواحات الصحراوية والمناطق الداخلية لتناهي الأخبار إليه أنها قد ارتدت ومنعت ما كان قـد فرض عليها من قبل[6] .

خرج عقبة ومعه مائة فارس ومائة بعير وثمانمائة قربة ماء[7]. تدل هـذه الاستعدادات، لاسيما عدد قرب الماء، على صعوبة الحملة ومشاقها، كما تدل على ان عقبة ينـوي التوغـل جنوبا في الصحرآء على قدرما يستطيع . وصل عقبة ودان افتتحها وجدع أذن ملكها تأديبا له حتى لا يحارب العرب، واستخرج منهم ما كان قد فرض عليهم قبلا وهو ثلاثمائـة وسـتون عبدا، ثم سألهم عمن ورائهم فقالوا جرمة، وهي مدينة فزان العظمى، فسار إليها ثمان ليال من ودان فأجابوه للإسلام، وأمشى ملكهم راجلا حتى أتى عقبة ففرض عليه ثلاثمائة وستين عبدا[8].

---

[1] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 260 – 261؛ البكري، المغرب، ص 32 ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ص 16؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص 242.

[2] هذا التاريخ مختلف فيه انظر: البكري، المصدر السابق، ص 12؛ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 262 ؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ص 19 .

[3] البكري، المصدر السابق، ص 14.

[4] نفس المصدر، ص 12.

[5] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 264.

[6] البكري، المصدر السابق، ص 13.

[7] نفس المصدر نفس الصفحة؛ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 262.

[8] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 262؛ البكري، المصدر السابق، ص 13.

مضى عقبة وافتتح قصور فزان إلى ان انتهى إلى جاوان[1] فحاصرها ولما لم يستطع منها شيئا تركها إلى قصور كوار فافتتحها حتى وصل إلى أقصاها وفيه ملكهم فعاقبه بقطع إصبعه وفرض عليه ثلاثمائة وستين عبدا[2]، وسألهم عمن ورائهم فلم يعلموا من ورائهم أحد . انصرف عقبة راجعا وافتتح جاوان بعد ان رجع إليها بغير الطريق التي اقبل منها، ثم رجع إلى زويلة[3] فقدم عسكره وسار إلى المغرب، وجانب الجادة واخذ ارض مزاتة فافتتح كل قصر بها[4]. ثم بعث خيلا إلى غدامس فافتتحها، ومن بعدها افتتح قفصة وقسطيلية ثم انصرف إلى القيروان[5].

حملات عقبة الصحراوية هذه تدلنا على انه في بداية العصر الإسلامي كانت العلاقات بين منطقة فزان وبحيرة تشاد قد تقلصت، ونسى السكان الطريق الذي كان يقود إلى الجنوب عبر واحات فزان، والذي كان مسلوكا حتى عهد الرومان بواسطة قبائل الجرامانت[6] بدليل عدم معرفة سكان كوار لمن ورائهم عندما سألهم عقبة[7].

شرع عقبة في بناء مدينة القيروان سنة 50هـ[8]، لأنه رأى ان فتح بلاد المغرب لا يتم ولا ينتشر الإسلام في ربوعها ما لم يستقر المسلمون بها. اكتملت عمارة القيروان سنة 55هـ الموافق 670م[9] وهو نفس العام الذي عزل فيه عقبة عن ولاية المغرب.

---

[1] وردت جاوان وخاوار وواجان. هي قصبة إقليم كوار وكوار، ناحية من بلاد السودان. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 263. مجهول، الاستبصار، ص 146؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص 59.

[2] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 263.

[3] مجهول، المصدر السابق، ص 146.

[4] نفس المصدر، ص 147.

[5] ابن عبد الحكم ، المصدر السابق، ص 264؛ البكري، المغرب، ص 14.

[6] انظر أعلاه ص 17، 18

[7] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 263؛ R.C.C. Law, "The Garamants & Trans-Saharan Enterprise in Classical Times", P. 197

[8] ياقوت، شهاب الدين بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار صادر بيروت، 1957 ، جـ 7، ص 194 لتفاصيل بناء القيروان انظر ابن عذارى، البيان المغرب، جـ 1، ص 19، ولوصف المدينة انظر الادريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 80 ، البكري، المصدر السابق، ص 24 ؛ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 264.

[9] نفس المصدر، ص 265 ؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 3 ، ص 466.

تتحدث المصادر عن عزل عقبة دون تعليل[1]. ولايته كانت ذات تأثير كبير في تحويل مسيرة الفتح العربي الإسلامي للشمال الأفريقي ونقلها من مرحلة الغارات والحملات المؤقتة إلى الفتح والاستقرار الدائم، فكانت بذلك خطوة موفقة، وكأن المغرب اصبح بذلك ولاية مستقلة بعض الشيء عن مصر منذ ذلك الحين[2].

تميزت ولاية أبو المهاجر دينار بكسر التحالف البربري، بزعامة قبيلة اوربه، والروم ضد العرب، وذلك بكسبه كسيلة[3] إلى جانبه. وبمؤازرة كسيلة اصبح أبو المهاجر أول من دخل المغرب الأوسط من القادة العرب[4]. ولوقوع ولاية أبي المهاجر بين ولايتي عقبة بن نافع الأولى والثانية نجد المراجع تمر عليها مرا سريعا، الا انه أول من عمل على تثبيت قدم العرب المسلمين ببلاد المغرب، وذلك بعقده معاهدة مع الروم تنازلوا بمقتضاها له عن جزيرة شريك[5] فهو لم يطلب إذاً الغنم والعودة، فضلا عن انه كان أول من أقام بأفريقية من الفاتحين العرب[6].

أعمال أبي المهاجر الحربية في بلاد المغرب كانت قد مهدت الطريق أمام عقبة بن نافع[7] في ولايته الثانية التي بدأت في سنة 62هـ الموافق 681م[8] فكان هدفه متابعة فتح أقاليم المغرب التي لم تطأها خيل المسلمين من قبل[9] فتوجه مباشرة نحو المغرب الأوسط والأقصى[10].

---

[1] للتعليلات التي أوردها المؤرخون المحدثون انظر: السيد سالم عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص 122-123.

[2] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص 168.

[3] ابن عذارى، البيان المغرب، جـ 1، ص 29؛ المالكي، رياض النفوس، ص 21؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 142.

[4] المالكي، المصدر السابق، ص 21؛ الناصري، الاستقصاء، جـ 1 ، ص 72.

[5] هي جزيرة باشو، وسميت شريك نسبة إلى شريك العبسي، تقع بين مدينة تونس شمالا وسوسة جنوبا. ابن حوقل، صورة الأرض، ص 73؛ البكري، المسالك والممالك، جـ 2 ، ص 704 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، جـ 1 ، ص 152؛ الناصري، المصدر السابق، جـ 1 ، ص 72.

[6] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 266.

[7] المالكي، المصدر السابق، ص 21 ؛ الناصري، المصدر السابق، جـ 1 ، ص 72.

[8] ابن الأثير، الكامل، جـ 4 ، ص 105 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 30.

[9] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 23؛ الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقيا المغرب، تحقيق المنجي الكعبي، تونس 1967، ص 40؛ المالكي، المصدر السابق، ص 22.

[10] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 267 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 30؛ الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 41.

عمل عقبة على رفع الروح المعنوية لجنده وألقى، فيهم خطبة حثهم فيها على الاستبسال والاستماتة[1] وتمكن من القضاء على كل مقاومة للبربر والروم في المغرب الأوسط. وبناء على نصيحة حاكم طنجة الرومي[2] انحدر عقبة جنوبا قاصدا السوس الأدنى. تتفق المصادر[3] على ان عقبة فتح السوس الأدنى ثم الأقصى، وانه وصل البحر المحيط. تغلغل عقبة في بلاد السوس وتجول في تلك النواحي، ففتح درعة[4] ونزل منها إلى بلاد صنهاجة ونزل منها على وادي نغيس[5]. لم يقف عقبة عند حدود بلاد السوس بل انتهى جنوبا إلى بلاد لمتونة في الصحراء المؤدية إلى بلاد السودان. قال ابن عذاري[6] قال ابن عبد البر "فتح عقبة عامة بلاد المغرب وجال هناك لا يقاتله أحد ولا يعارضه حتى فتح كورة من كور السودان".

كانت فتوحات عقبة بن نافع أسطورة في تاريخ الفتوح الإسلامية، من حيث سرعة الزحف وعنف الهجوم وسعة الآفاق. فقد تجاوز أفريقية غربا حتى وصل طنجة، ودار حول ساحل المحيط إلى السوس الأدنى والأقصى حتى وصل الحدود الجنوبية للمغرب الأقصى. ورد في بعض الروايات انه لم يقف عند هذا الحد بل توغل حتى وصل بلاد غانا[7] والتكرور[8].

---

[1] لنص الخطبة انظر: المالكي، رياض النفوس، ص 23-24؛ الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقيا والمغرب، ص 43-44.

[2] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 44-45 ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، جـ 1 ، ص 26 ؛ الناصري، الاستقصاء، جـ 1 ، ص 73.

[3] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 267 ؛ المالكي، المصدر السابق، ص 24 ؛ ابن عذارى، المصدر السابق، نفس الصفحة؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 31 ؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 4 ، ص 106.

[4] جنوبي المغرب الأقصى وراء جبال أطلس يخترقها نهر يعرف بوادي درعة يصب في المحيط قرب راس نون، تسمى بالبربرية تيومتين، سكانها من بربر صنهاجة، وليس لمسوفة منزل يأوون إليه سواها. البكري، المغرب، ص 149 – 152 – 154؛ لسان الدين الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ص 142 حاشية 2 .

[5] تقع على واد متفرع من نهر تانسفيت. ابن عذارى، المصدر السابق، ص 27 ؛ لسان الدين الخطيب، المصدر السابق، ص 204 حاشية 2 ؛ البكري، المصدر السابق، ص 159.

[6] المصدر السابق، ص 28.

[7] نفس المصدر

[8] Levtzion, "The Sahara & Sudan" , P. 637 ؛ حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 61، عن Dela Chapelle, Hespeic, vol. XI , 1930, P. 24

وورد في إحدى الروايات المحلية في بلاد السودان ان عقبة قد بنى بغانة مسجدا حيث كانت توجد جالية إسلامية منذ سنة 60 هـ الموافق 679م[1].

يشك بعض المؤرخين[2] في إمكانية توغل عقبة بن نافع إلى بلاد السودان، ويتحفظون في قبول الرواية التي تقول بذلك، ويجدون العذر لمن قال بهذا الرأي .أن ديار السود كانت اكثر امتدادا ناحية الشمال، وان قبائل الملثمين لم تكن قد أوغلت بعد في ساحل المحيط، ولذلك فليس ببعيد ان تكون مملكة غانا قد بسطت نفوذها شمالا حتى وادي نون. فإذا ما أدرك عقبة وادي نون يكون بذلك قد وصل الحدود الشمالية لمملكة غانا. الروايات الشفاهية في بلاد غرب أفريقيا تتضمن ما يفيد بتوغل عقبة في الصحراء حتى بلاد السودان. روايات الفولاني تصف عقبة بأنه قائد هجرتهم وتصل نسبها به وتدعى انه هو الذي فتح بيرو (ولاته) وتكرور[3]. يورد محمد بللو[4] ان ام الفولاني من "تورد"، من قبائل الروم، وأبوهم هو عقبة بن نافع الذي تزوج "بج مغ" ابنه الملك وانجب منها أربعة أولاد، فلما قتل ببلاد المغرب بقى بنوه عند أمهم. ويذهب عبد الله بن فودي[5] إلى نفس المعنى. وقد ورد عند ابن أبي زرع[6] ان بني وارث ، قبيلة صنهاجية بالقرب من ادرار، قد دخلت الإسلام على يدي عقبة بن نافع. ومهما يكن من شيء فإن عقبة هو أول من ارتاد هذه البلاد النائية من العرب، وأول من حمل الإسلام الى قبائل صنهاجة الصحراء، وأول من فتح طريق الصحراء أمام البربر والعرب الذين اخذوا في التدفق نحو تلك الديار . ولقد اصبح لهذه المنطقة من بلاد المغرب شأن في العلاقات مع بلاد السودان.

استشهد عقبة في طريق عودته من غزوته تلك في تهودا[7] في احواز نهر الزاب جنوبي

---

[1] Barth, Travels & Discoveries in North & Central Africa, vol. IV P. 570

[2] حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 62؛ حسن احمد إبراهيم، انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، ص 88.

[3] Levtzion, "The Sahara & Sudan", P. 637

[4] آدم محمد عبد الله الالوري، موجز تاريخ نيجريا، ص 129.

[5] نفس المرجع، ص 132 ؛ Palmer, Bornu, Sahara &Sudan, P. 275.

[6] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق س.ج. تومبرج، 1843، عن Levtzion , "The Sahara & Sudan", P. 637

[7] ابن عذارى، البيان المغرب، ص 29؛ المالكي، رياض النفوس، ص 25؛ الناصري، الاستقصاء، ص 74.

جبال اوراس[1] في سنة 63هـ الموافق 682م[2] . لم تنته حملة عقبة عن كسب حربي إيجابي ولكنها نبهت سكان المغرب الأقصى إلى الدين الجديد كما مهدت الطريق أمام خلفائه من قادة المسلمين فسلكوه من بعده حتى أدرك الإسلام أواسط أفريقيا.

عز على عبد الملك بن مروان الذي تولى الخلافة في سنة 65هـ الموافق 684 م[3] ان يضيع المغرب بعد جهاد واستشهاد، فاجتمع الرأي على اختيار رجل يماثل عقبة دينا وعقلا وهو زهير بن قيس البلوي، وأمر بالخروج إلى المغرب في سنة 69هـ الموافق 688م[4] فانتصر على كسيلة وطوردت فلول جيشه حتى نهر ملوية، وأوغل المسلمون حتى طنجة وفتحوا الطريق إلى المغرب الأقصى[5].

استشهد زهير' وهو في طريق عودته إلى المشرق[6] فبعث عبد الملك بن مروان بحملة أخرى تحت قيادة حسان بن النعمان في سنة 73هـ الموافق 692م[7]. وكان فتح حسان للمغرب حربيا ومعنويا. فقد كان على راس جيشه المتقدم نحو قرطاجنة رجل بربري، هو هلال بن ثروان اللواتي[8]. وبانتصاره على الكاهنة[9] استقامت له أفريقية والمغرب الأوسط وتركزت مقاومة البربر في المغرب الأقصى. بعد سحقه جيش الكاهنة عاد إلى القيروان فدون الدواوين

---

[1] مجهول، الاستبصار، ص 147؛ ابن الخطيب، تاريخ المغرب ~~في~~ العربي في العصر الوسيط، ص 2 حاشية 2.

[2] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 269؛ ياقوت، معجم البلدان، جـ 7 ، ص 194.

[3] ابن أبي دينار ، المؤنس، ص 32، المالكي، رياض النفوس، ص 29؛ الناصري، الاستقصاء، جـ 1، ص 75.

[4] ابن عذارى، البيان المغرب، جـ 1 ، ص 31-33 ؛ المالكي، المصدر السابق، ص 29-30 ؛ الناصري، المصدر السابق، ص 81 . وردت تواريخ مختلفة في بعض المصادر فابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 269؛ يقول ان مقتل كسيلة كان سنة 64هـ، أما ابن خلدون، العبر ، جـ 6، ص 142 – 194؛ فيقول ان خروج زهير للثأر بمقتل عقبة كان سنة 67هـ.

[5] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 17 ؛ المالكي، المصدر السابق، ص 30.

[6] نفس المصدر ص 33؛ المالكي، المصدر السابق، ص 30 – 31؛ الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقيا والمغرب، ص 49 – 50. يخالف ابن عبد الحكم فيقول ان زهيرا خرج في جيش حسان بن النعمان وان مقتله كان سنة 76هـ ، المصدر السابق، ص 272.

[7] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 269 ، وقد اختلف المؤرخون حول هذا التاريخ.

[8] نفس المصدر، ص 270.

[9] هي دهيا بنت ماثيا بن تيفان، من قبيلة جراوة الزناتية، تقيم بجبال اوارس. احترفت السحر والكهانة وكانت ذات حول وسلطان على البربر. ابن عذارى، المصدر السابق، ص 35 ؛ المالكي، المصدر

ووضع الخراج على عجم أفريقية ومن أقام معهم على النصرانية من البربر.[1] يمكن القول ان أعمال حسان في بلاد المغرب كان بداية لنهاية فتحه.

استكمل موسى بن نصير، والي المغرب الجديد، الخطوات التي كان قد بدأها حسان بن النعمان. خرج في سنة 88هـ الموافق 706م[2] من أفريقية غازيا إلى طنجة مترسما خطى عقبة بن نافع، سالكا نفس طريقه[3]، ومنها إلى السوس الأدنى لا يدافعه أحد، فقد استأمن البربر وأدوا الطاعة[4]. وفي عهده أصبحت بلاد المغرب ولاية إسلامية مستقلة عن مصر ولم يبق فيها أي اثر للمقاومة البربرية والبيزنطية على السواء[5] ومنها انطلق موسى لفتح بلاد الأندلس[6].

إسراف موسى بن نصير في حروبه في السبي وجمع الغنائم إرضاء للخلافة، تعكسه العبارة التي أوردها ابن عذاري[7] عن الليث بن سعد "لم يسمع قط بمثل سبايا موسى بن نصير في الإسلام" . وقد غرست سياسته تلك في نفوس البربر الحقد والكراهية، الشيء الذي أدى إلى إقامة الحواجز بين العرب والبربر، والى انحراف كثير من السكان لتقبل مذاهب انقلابية ثورية خارجية وشيعية . لم يستطع خلفاء موسى، محمد بن يزيد وأبو المهاجر دينار، محو آثار هذه السياسة من نفوس البربر[8].

بوفاة الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز سنة (100-101 هـ/718-719م) انتهت فترة الإصلاح التي انتهجت لإزالة التضارب بين السياسة المالية والسياسة الدينية. ولما عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (105- 125هـ/723 - 742هـ) بولاية المغرب الي عبيدة بن عبد الرحمن

---

[1] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 271 ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، جـ 1 ، ص 38 ؛ المالكي، رياض النفوس، ص 36 ، ابن خلدون، العبر، جـ 6 ، ص 144.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 46 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 35؛ الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقيا والمغرب، ص 68 حاشية 1 .

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 42 ؛ حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 63.

[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 42؛ الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 69، ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 35.

[5] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 41.

[6] نفس المصدر، ص 43

[7] نفس المصدر، نفس الصفحة؛ البكري، المغرب، ص 118.

[8] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 287؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ص 47 - 48.

السلمي (110 - 114هـ/ 728 - 732م) بدأت نذر مشكلة جديدة بين عرب المغرب، هي مشكلة العصبية القيسية المضرية، والكلبية اليمنية[1].

انشغال حكام بلاد المغرب العرب بمشاكلهم الداخلية، فضلا عن انتهاجهم سياسة استغلال موارد البلاد رغبة منهم في إرسال المزيد من الأموال والسبي إلى الخلافة، دون النظر في مصالح البلاد أو مطالبها، كان الصخرة التي تحطمت عليها فكرة الإخاء والمساواة بين العرب وغيرهم من مسلمي بلاد المغرب كما كان سببا في اتجاه البربر نحو اعتناق مذاهب الخوارج[2].

شق بربر المغرب عصا الطاعة على والي أفريقية عبيد الله بن الحجاب بن الحارث القيسي (116 - 123هـ/ 734 - 740م)[3] بقيادة الخارجي ميسرة المضغري سنة 122هـ الموافق 739م[4] بعد ان يئسوا من الإصلاح ولم يجدوا اهتماما من الخليفة هشام بن عبد الملك[5]. بايع البربر ميسرة إماما وخاطبوه بأمير المؤمنين[6]. اضطرم المغرب على اثر ذلك نارا فانتقض أمره على خلفاء بني أمية فلم يراجع طاعتهم بعد[7].

---

[1] ابن عذاري، البيان المغرب، جـ 1 ، ص 51/50 ؛ ابن الخطيب، **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ص 5 حاشية (3)؛ سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ص 275/274.**

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 52 ؛ الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقيا والمغرب، ص 109 ؛ **الناصري، الاستقصاء، جـ 1، ص 95 ؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6 ، ص 56 ؛ سعد زغلول،** تاريخ المغرب العربي، ص 266.

[3] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 294/293 ؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ص 54/51 ؛ الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص110/109 .

[4] يسمى ميسرة الفقير أو المذغري أو المدغري أو الخفير أو الحقير. ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 293؛ ابن عذارى، المصدر السابق نفسه، ص 52 ؛ الرقيق القيرواني، المصدر السابق نفسه، ص 109؛ الناصري ، المصدر السابق، جـ 1 ، ص 79 ؛ محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ص 254 .

[5] ابن الأثير، الكامل، جـ 3، ص 35؛ محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 248؛ سعد زغلول، المرجع السابق، ص 248.

[6] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 53؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ص 144.

[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 156.

في هذه الفترة التي عمت فيها فتنة الخوارج بلاد المغرب الأدنى، نجـد ان العـرب لـم يغفلوا أمر التوسع الحربي. فقد أرسل عبيد الله بن الحبحاب قائده حبيب ابن أبـي عبيدة[1] فـي حملة إلى السوس الأقصى. فابن الحبحاب كان قد انتهج سياسة داخلية صارمة تجاه المنـاطق التي لم تخضع تماما لسلطان القيروان خاصة بلاد المغـرب الأقصـى ومـا وراءهـا مـن الصحراوات الغربية في طريق بلاد السودان.

تمثل هذه الحملة أهمية خاصة للباحث في أمر العلاقات السياسية بين بلاد المغرب وبلاد السودان في تلك الفترة الزمنية الباكرة. بالرغم من ان المعلومات التي أمدتنا بها المصادر[2] عن هذه الحملة قد جاءت مقتضبة تتلخص في بلوغها ارض السوس الأقصـى وارض السـودان وأصابتها من الذهب والسبي أمرا عظيما، الا ان أهميتها تكمن في أنها أول إشارة لعمل رسمي في صدر الإسلام لغزو بلاد السودان وذلك اعتمادا على قول البكري[3] "ان ببـلاد غانـا قـوم يسمون بالهنيهيين من ذرية الجيش الذي كان بنو أمية قد أنفذوه إلى غانا في صدر الإسـلام".

هذه العبارة تؤكد ما ذهب إليه ابن عبد الحكم[4] من ان الحملة في سيرها قد اصطدمت بعناصر أخرى غير البربر حيث يقول: "وكان فيما أصاب جارية أو جاريتان من جنس تسمية الـبربر اجان، ليس لكل واحدة منهن إلا ثدي واحد" واغلب الاحتمال أنهن من رعايا غانا.

يشكك المؤرخون المحدثون[5] في إمكانية بلوغ تلك الحملة إلى ارض السـودان أو علـى الأقل الأطراف الشمالية لها. ولكن إذا ما تمعنا الأسباب التي أوردها المؤرخون لتلك الحملـة توصلنا إلى احتمال توغلها إلى تلك المنطقة. فافتراض أنها خرجت لإدخـال بربـر المغـرب الأقصى والسوس في الإسلام احتمال ضعيف لان ذلك العمل كان قد بدأه عقبة بن نافع وعمل

---

[1] اختلف المؤرخون حول اسم قائد هذه الحملة فمنهم من رأي ان قائدها هو عبد الرحمن بـن حبيـب بحجة إنه هو الذي دخل المغرب الأقصى بعد عقبة بن نافع، ابن عبـد الحكـم، فتـوح مصـر والمغرب، ص 293؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص 233؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 40؛ الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقيا والمغرب، ص 108 ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ص 51؛ البكـري، المغرب، ص 161 - 163.

[2] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 108؛ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 293؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 5 ، ص 191.

[3] المصدر السابق، ص 179.

[4] المصدر السابق، ص 293.

[5] سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ص 282؛ احمد الياس حسين، "العلاقات بيـن مملكـة غانـة والمغرب العربي فيما بين القرنين الثاني والخامس الهجريين"، رسالة دكتوراه، جامعـة القـاهرة، 1982 ، ص 55.

خلفاؤه على إكماله لدرجة ان بربر المغرب الأقصى قد خرجوا في جيش موسى بن نصير لفتح بلاد الأندلس[1]. ما هو اقرب للتصور هو محاولة قواد ابن الحيحاب إخماد حركـات الخـوارج التي كانت قد بدأت في النشاط في السوس الأدنى، وكما هو معروف فان بربر تلك المنـاطق كلما تعرضوا للضغط من قبل السلطات الحاكمة اتجهوا نحو الصحراء[2] وربما تعقبهم قواد تلك الحملة حتى دخلوا مناطق الزنوج التي كانت تمتد إلى الشمال حتى اوداغست.

النصوص[3] الواردة في وصف هذه الحملة توحي بان قائدها قد اعتبر غزوته تلك في "دار حرب" لوفرة ما رجع به من سبي. تذهب النصوص[4] إلى ما يفهم منه ذلك حين تصف والـي طنجة، عمر بن عبد الله المرادي، فتقول "أساء السيرة وتعدى الصدقات والعشر وأراد تخميس البربر وزعم انهم فئ للمسلمين". هذه المعاملة توحي لنا بالاعتقاد أنها كانت لمـن لـم يدخـل الإسلام من سكان الصحراء.

يؤيد اعتقادنا السابق ما تذكره المراجع الحديثة من ان سبب هذه الحملة ربما كان محاولة حبيب بن أبي عبيدة إرضاء الخلفاء في المشرق بالسبي، الذي كان قد انقطع بسبب إسلام أهـل بلاد المغرب. في هذه الحالة كان من الطبيعي ان تتجه الحملة إلى مناطق ابعـد، لـم يدخلـها الإسلام بعد. ويعني هذا تجاوز حبيب لبلاد المغرب الأقصى والدخول في الصحراوات جنوبها، المؤدية إلى اوداغست "منزل ملك السودان المسمى بغانه قبل ان تدخل العرب غانة"[5]. وليـس هذا بمستغرب والطريق مسلوك من قبله في عهد عقبة[6]، وفي أزمان سبقت عهد عقبة، بواسطة قبائل صنهاجة[7]، فقد ورد ان لمتونة قد تخطت ادرار الموريتانية جنوبا ووصلـت اوداغسـت والى الجنوب منها[8].

---

[1] ابن عذارى، البيان المغرب، جـ 1، ص 42؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 276.

[2] البكري، المغرب، ص 161، ابن عذارى، المصدر السابق، ص 26؛ Cooley, the Negro Land of the Arabs, P.2

[3] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 293؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ص 51.

[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 52/51؛ الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية و المغرب، ص 109.

[5] البكري، المصدر السابق، ص 168.

[6] انظر أعلاه في ص 37 – 38

[7] انظر أعلاه في ص 22 – 23

[8] البكري، المصدر السابق، ص 164؛ ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، جـ 1 ، ص 60 ، جـ 2 ، قسم 8 ، ص 161 . Trimingham, A history of Islam in West Africa , P. 21 - 40

الأحمال الكبيرة من الذهب التي عادت بها الحملة تعتبر أيضا مؤشرا إلى وصولها ان لم يكن مباشرة إلى ارض السودان، ارض الذهب، فعلى الأقل إلى من يتعاملون مع مناطق تعدينه من بلاد السنغال[1].

ليس هناك من الأسباب ما يجعلنا نشكك في مسالة توغل عقبة بن نافع في الصحراء الليبية ولا في مسالة توغل حبيب بن أبي عبيدة في جنوب المغرب الأقصى، علما بان الحملتين المذكورتين على جانبي الصحراء الشرقي والغربي، قد سلكتا ممرين كانا مستعملين من قبل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب واصبحا، فيما بعده، من اكثر طرق التجارة العابرة للصحراء أهمية.

---

[1] محمد على دبوز، تاريخ المغرب الكبير، جـ 2، ص 216.

الفصل الثالث

العلاقات بين بلاد المغرب وبلاد السودان
بعد اكتمال عملية الفتح العربي الإسلامي للشمال الأفريقي

العلاقات في فترة دويلات المغرب المستقلة:

بوفاة الخليفة هشام بن عبد الملك في سنة 125 هـ الموافق 742م بدأت الدولة الأموية في التدهور، ونشطت الدعوة العباسية، وانشغل الأمويون بأمور المشرق وتركوا أمر المغرب[1]. استقل عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بأفريقية (129 - 137هـ/746 - 754م)[2]. كان فعله هذا حسما للصراع بين عرب المغرب، ولكنه مثل بداية لازدياد ثورات الخوارج، التي لم يكن انتصار الخلافة عليها في موقعتي القرن والأصنام[3] قد قضى عليها بل اكتفى بتشتيت شملها. اصبح البربر بالمغرب لا يقيمون وزنا للخلافة الأموية بعد ان فقدت هيبتها باستقلال عبد الرحمن بن حبيب عنها، الشيء الذي اتخذه البربر أنموذجا، فقاموا باقتطاع أجزاء من أملاك الخلافة وكونوا إمارات مستقلة عن سلطانها[4]، ففقدت السلطة المركزية سيطرتها على البلاد، وظل الأمر كذلك إلى ما بعد سقوط الدولة الأموية في سنة 132هـ الموافق 749م[5] وقيام الدولة العباسية على أنقاضها في نفس العام[6].

بالرغم من ان ولاة القيروان كانوا قد فقدوا نفوذهم على المغرب الأقصى، ظل عبد الرحمن بن حبيب يهتم بشئونه ويبقى على الصلات التي تربطه به. عمل على حفر سلسلة من الآبار لتصل بين الواحات وبين اوداغست بصحراء المغرب الأقصى[7] كما عمل على شق الطرق في الجبال الصلدة[8].

---

[1] الناصري، الاستقصاء، جـ 1، ص 102.

[2] ابن عذارى، البيان المغرب، جـ1، ص 60 ، وردت مغايرة في بعض المصادر أنظرها في : ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 301 ؛ الناصري، المصدر السابق، ص 102؛ الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية والمغرب، ص 125.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 58 - 59 ؛ الناصري، المصدر السابق، ص 101؛ الرقيق، المصدر السابق، ص 116 ؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6 ، ص 144.

[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 64.

[5] نفس المصدر، ص 63.

[6] نفس المصدر، ص 64 ؛ الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 134/133.

[7] البكري، المغرب، ص 163 ؛ حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 68.

[8] البكري، المصدر السابق، ص 163 ؛ مجهول، الاستبصار، ص 213.

بمقتل عبد الرحمن بن حبيب في سنة 137هـ الموافق 754م ومقتل ابنه حبيب في سنة 140هـ الموافق 757م. اصبح المغرب كله في يد الخوارج. تغلب الخوارج الصفرية بقيادة ورفجومة[1] على أفريقية ودخلوا القيروان في سنة 138هـ الموافق 755م[2]. بايع البربر الاباضية أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري[3] إماما عليهم وضمت إمامته طرابلس وقسما كبيرا من المغرب الأوسط. أما المغرب الأقصى فقد كان في أيدي الهراطقة البرغواطيين[4].

قام أبو الخطاب عبد الأعلى – الزعيم الاباضي، بإخراج الصفرية عن القيروان وتغلب على أفريقية سنة 141هـ الموافق 758م[5]. اضطرب أمر الصفرية في المغرب الأقصى بعد تغلب عبد الأعلى عليهم، فاجتمع بربر مكناسة منهم في الموضع الذي قامت فيه مدينة سجلماسة وشرعوا في بناء المدينة ثم قدموا على أنفسهم عيسى بن يزيد الأسود[6].

عندما استعدت الخلافة العباسية للتدخل في أمر المغرب كان عليها ان تواجه أبا الخطاب الاباضي في طرابلس وتمكن محمد بن الأشعث، أول قائد للعباسيين في أفريقية، من هزيمته

---

[1] بطن من بطون نفزة من غلاة الصفرية، ثاروا على حبيب بن عبد الرحمن بقيادة زعيمهم عاصم بن جميل.ابن عذارى، البيان المغرب، جـ1، ص 70.

[2] نفس المصدر، نفس الصفحة

[3] من اشد خصوم سياسة العرب في أفريقية، من مشاهير العرب، ومن حملة العلم الخمسة من الاباضية. ابن عذارى، المصدر السابق، ص 70؛ الظاهر احمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ص 133.

[4] قيل ان صوابها بلغواطة، وقيل برناطي نسبة إلى برناط، وهو حصن من أعمال الأندلس أتى منه زعيمهم صالح بن طريف. هم أخلاط من عدة قبائل بربرية يسكنون ساحل تامسنا بالمغرب الأقصى، الممتد من سلا إلى نهر ام الربيع. لا دين لهم وهم بالمجوسية أشبه. ادعى فيهم صالح النبوة في عهد هشام بن عبد الملك وقال انه صالح المؤمنين المذكور في القرآن الكريم، وجاءهم بقرآن من ثمانين سورة. قيل انه يهودي الأصل. قاتلهم ابن ياسين داعية المرابطين حتى قتل في حربهم. ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 280. ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ص 182 وما بعدها؛ الظاهر احمد الزاوي، المرجع السابق، ص 226.

[5] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 71؛ ابن خلدون، العبر، ص 146 ؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 4، ص 281.

[6] البكري، المصدر السابق، ص 149 ؛ الناصري، الاستقصاء، جـ 1، ص 111 ؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 139.

وقتله في سنة 142هـ الموافق 759م[1] فلما علم عبد الرحمن بن رستم[2]، وكان عاملا لعبد الأعلى في القيروان، ما انتهى إليه الأمر، خرج إلى المغرب الأوسط، فبايعه الاباضية بالخلافة. رأي ان يقيم مدينة تكون قاعدة له على نحو ما فعل الصفرية في سجلماسة، فشرع في بنا تاهرت في سنة 144هـ الموافق 761م واستقر بها في سنة 145هـ الموافق 762م[3] .

انعدام الأمن الناشئ عن الصراعات السياسية في أفريقية في القرن الثاني الهجري أدى إلى انتشار الخوارج، خاصة الاباضية منهم، جنوبا نحو فزان، وأصبحت زويلة مركزا هاما للاباضية. رغم هزيمة الاباضية في طرابلس وإرسال ابن الأشعث أحد قواده لضرب معاقلهم في فزان[4]، فان زويلة استمرت لعدة قرون مدينة اباضية ذات أهمية وقاعدة لإمارة بني الخطاب التي قامت في نهاية القرن الثالث الهجري واستمرت حتى القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي[5].

أقنعت أحداث أفريقية المتوالية الخليفة العباسي هارون بن محمد الرشيد (170 - 193هـ / 786 - 808م) بان انفصال المغرب عن الخلافة اصبح أمرا واقعا. فالهدوء الذي أعقب حملات ابن الأشعث كان في القيروان وحدها، أما الخوارج فما زالوا ثائرين متغلغلين بين القبائل وأصبحت لهم مراكزهم. فولى على أفريقية إبراهيم بن الأغلب بن سالم في سنة 184هـ الموافق 800 م[6] واكتفى بتبعيته الاسمية للخلافة. دفع الخليفة لهذا التصرف قيام الدولة

---

[1] ابن عذارى، البيان المغرب، ص 72 ؛ ابن أبى دينار، المؤنس، ص 46 ؛ الناصري، الاستقصاء، ص 115.

[2] هو عبد الرحمن بن رستم بن بهرام/وبهرام هذا كان مولى لعثمان بن عفان (رضي). استمرت الدولة التي أسسها حتى سنة 296هـ وكان يسلم عليه بالخلافة. البكري، المغرب، ص 66 ؛ ابن عذارى المصدر السابق، جـ1، ص 196.

[3] نفس المصدر، ص 72 ؛ ابن خلدون، العبر، ج6 ص 147 . لوصف مدينة تاهرت انظر: الادريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 60 ؛ البكري، المصدر السابق، ص 66-69 ؛ ابن حوقل،، صورة الأرض، ص 86؛ ابن الخطيب، تاريخ المغرب/العربي في العصر الوسيط، ص 62 حاشية (1).

[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 71؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 4 ، ص 281.

[5] تمثل زويلة جزء من شرق إقليم فزان الذي قامت فيه المملكة. ابن حوقل، المصدر السابق، ص 102؛ اليعقوبي، البلدان، ص 345 – 346 ؛ الادريسي، المصدر السابق، ص 24 ؛ Lewicki "The role of the Sahara & Saharians in relations between North & South", P. 288 , 289 .

[6] ابن عذارى، المصدر السابق، جـ 1، ص 93 ؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6 ، ص 149 ؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 63؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 48 .

الادريسيه العلوية بالمغرب الأقصى في سنة 172هـ الموافق 788 م[1] فخشي ان يحقق الادارسة هدفهم بتوحيد المغرب والمشرق تحت قيادتهم[2] فأقام دولة الاغالبة في المغرب الأدنى لتكون حاجزا بينهم وبين أملاك الخلافة.

شهدت بلاد المغرب في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي هدوءا عاما تحت حكم دويلات المغرب المستقلة وتنافست كل من القيروان وتاهرت وسجلماسة وفاس[3] في شتى مجالات العلم والعمران وتنمية موارد الدخل. بالرغم من قيام تلك الدول على أسس مذهبية فان حسن الجوار كان طابع العلاقات فيما بينها[4].

مثلت التجارة العابرة للصحراء مصدرا اقتصاديا هاما لتلك الدويلات لذلك فقد بادرت إلى تقوية صلاتها ببلاد السودان، ولعبت المدن الصحراوية دورا بارزا في توثيق علاقات بلاد المغرب ببلاد السودان. فشهد ذلك القرن تطوراً ملحوظا في العلاقات السياسية بين الجانبين . وبما ان الغرض الأساسي لتلك العلاقات كان تنمية الموارد الاقتصادية بتهيئة الجو لازدهار التجارة بتامين طرقها وإقامة مراكزها وأسواقها، فقد تمثلت العلاقات السياسية بين الشمال والجنوب في العلاقات الدبلوماسية في شكل سفارات وتبادل هدايا بين الجانبين اكثر منها علاقات عسكرية ترمي لفرض الهيمنة السياسية، الشيء الذي يؤدي إلى اضطراب الأحوال وعدم تامين الطرق المؤدية إلى بلاد السودان وبالتالي اضمحلال التجارة.

الطرق إلى ارض السودان من بلاد المغرب أخضعت لأغراض التجارة بالتامين على النفس والممتلكات. إمامه تاهرت الاباضية وإمامه سجلماسة الصفرية تم التنسيق فيما بينها فيما

---

[1] أنشأها إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي عنهم) بعد ان نجا من موقعه فخ في سنة 169 هـ وتمكن من الهرب إلى بلاد المغرب فأقام دولته بالمغرب الأقصى. ابن خلدون، العبر، ص 195 ؛ ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ص 189 – 190 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 45 – 102 ؛ مجهول، الاستبصار، ص 194.

[2] ابن عذارى، البيان المغرب ، ص 210 ؛ البكري، المغرب، ص 120 – 122 ؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 17 حاشية 2 ، ص 191 – 192.

[3] القيروان عاصمة دولة الاغالبة في المغرب الأدنى؛ تاهرت قاعدة الدولة الرستمية في المغرب الأوسط واتسعت لتشمل أمارة بني الخطاب في زويلة. فاس حاضرة دولة الادارسة في شمال المغرب الأقصى. وفي سجلماسة كانت دولة بني مدرار. انظر الخريطة الملحقة ص 201

[4] ظهر التعاون بينهم عندما غزا العباس بن احمد بن طولون بلاد المغرب سنة 267هـ الموافق 881م ابن عذارى،المصدر السابق، جـ 1، ص 118 – 119 .

يختص بعلاقاتهما الخارجية مع بلاد السودان[1]. فالطريق من تاهرت إلى غانة يمر عبر سجلماسة. طريق ورجلة، أهم مراكز الدولة الرستمية التجارية، يربط تاهرت بجاو[2]، ويمتد شرقا ليربط ورجلة بأرض كانم عبر فزان وكوار[3].

دولة الاغالبة، في أقصى الشمال، كانت تحتاج لعبور أراضي الدولة الرستمية في علاقاتها التجارية مع بلاد السودان، فدفعها ذلك لتحسين علاقتها بها، ويتضح ذلك من الاتفاق الذي وقع بين الدولتين في سنة 196هـ الموافق 811م[4] . أما حادثة القبض على عبيد الله المهدي في سجلماسة[5] ففيه إشارة إلى التعاون فيما بينها وبين دولة الاغالبة إذا ما اقتضى الحال.

العلاقات بين منطقة السودان الأوسط ومناطق طرابلس وبرقة وفزان، من أفريقية، علاقة حتمية فرضتها المصالح المشتركة. فموانئ أفريقية هي المخارج الأقرب والأسهل بالنسبة لتجارة السودان الأوسط[6] . أما أفريقية فان مواردها الطبيعية ضعيفة لذلك مثلت التجارة موردا هاما للكسب بالنسبة لسكانها. ولقد مثلت فزان مركزا متقدما ناحية الجنوب ارتكزت عليه هذه العلاقات. فالتجارة هي الأساس الذي بنيت عليه العلاقات السياسية بين الجانبين وطبعتها بالطابع الودي[7]. ومما يؤخذ كدليل على حسن التعامل بين مملكة كانم وجيرانها في الشمال ان

---

[1] بلغ التقارب بين سجلماسة وتاهرت إلى حد تصاهر الأسرتين الحاكمتين؛ ابن عذارى، البيان المغرب ص 157 ؛ البكري، المغرب، ص 149.

[2] Lewichi, "The role of the Sahara & Saharian in relations between the North & South," P. 299 – 301 Levtzion , "the Sahara & Sudan", P. 642

[3] الادريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 25 ؛ البكري، المصدر السابق، ص 182.

[4] كان قد وقع اتفاق سابق بين الدولتين في عهد روح بن حاتم والي أفريقيا العباس (171 – 174 هـ/ 787 – 790م) ابن عذارى، المصدر السابق، ص 95 ؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6 ، ص 185 ؛ الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية والمغرب، ص 173.

[5] مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 202 – 204 ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 55.

[6] Mantin , "Kanem , Bornu & Fezzan," , P. 15P; Habib Wada`a , Fezan undr the Rule of Awlad Muhammad , P.230.614 احمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، جـ 6 ، ص

[7] السيطرة السياسية الفعلية على أي من الجانبين على الآخر لم تمارس الا في وقت متأخر خارج النطاق الزمني لهذا البحث، عندما سيطرت كانم على فزان في عهد الماى دونما دبالمي (221هـ– 1259م) لإقرار الأمن الذي زعزعه ابن قراقوش، رغبة من كانم في الحفاظ على الطرق التجارية عاملة في يسر . مجهول، المصدر السابق، ص 110 حاشية (2) ؛ ابن خلدون، المصدر السابق، جـ 6، ص 257 ؛ Mantin, Op. Cit. , P. 19; Barth, Travels & Discoveries in Central Africa, Vol. II , P. 622 .

الماي اركو بن بولو (414 – 459هـ/ 1023 – 1066م) والذي اشتهر بكثرة ما يملك من رقيق، كان يحتفظ بجزء منهم في الواحات شمال كانم، وفي جرمة في فـــزان. وقــد أبــدت الأدلـــة الاركيولوجية وجود شعوب سودانية في تلك المنطقة[1]. يبدو ان دافع اركو لذلك التصرف هــو مد سلطانه على جماعات البربر في كوار وفرض سيطرته على نشاطهم التجاري والتبشيري، علما ان في ذات الفترة كان ملك غانة في الجهة الغربية من بلاد السودان قـــد قــام بفــرض سيطرته على اوداغست[2].

تتحدث المصادر كثيرا عن العلاقات بين مملكة كانم وطرابلس خاصة في العهد البرنوي، ولكنها لا تعطي تفاصيل عن العلاقات السياسية . مما ورد عن العلاقات الدبلوماسية وصـــول سفارة من السودان إلى ابن الخطاب حاكم زويلة في سنة 389هـ الموافق 992م[3] تحمل هدية. لم يذكر اسم البلد القادمة منه ولكن الاحتمال الأكبر أنها كانت من كانم. وهنـــاك أدلـــة غـــير مباشرة على اتصال ملك كانم بأفريقية مثل ما أورده المهلبي[4] من ان ملك كانم كـــان يرتـــدي ملابس مصنوعة من حرير سوس.

أورد ابن عذارى،[5] خبر وصول سفارة من أحد ملوك السودان، لم يحدد اسم البلد، إلـــى الأسرة الصنهاجية الزيبرية في عهد أبو الفتح المنصور بن أبي الفتوح يوسف بن زيري (374 – 386هـ/ 984 – 996م) وكان تاريخ وصولها سنة 382هـ الموافق 992م . كما ذكر ســـفارة أخرى من ملك السودان إلى المعز بن بأديس (406 – 453هـ / 1015– 1062م) وصلته فـــي سنة 423هـ الموافق 1041م تحمل هدية فيها كثير من الرقيق وحيوانات غريبة[6].

اعتناق ملوك كانم للإسلام جعلها في مصاف الدول السودانية الكبرى فدخلت في علاقات مباشرة وقوية ووثيقة مع جيرانها في الشمال خاصة بنو حفص في تونس فيما بعد[7].

إمامه تاهرة اكثر دويلات المغرب التي حظيت بإشارة بعض المصـــادر إلـــى علاقاتـــها السياسية المتمثلة في سفاراتها الدبلوماسية إلى بلاد السودان. فقد كان الافلح بن الإمام الثـــاني

---

[1] طرخان، البرنو الإسلامية، ص 55 . Palmer , Bornu , Sahara & Sudan , P. 90

[2] ديرك لانجي، "منطقة التشاد عند مفترق الطرق" تاريخ أفريقيا العام، يونسكو، مجلد 3، فصـــل 15، ص 498، حاشية 65 .

[3] نفس المرجع، ص 497.

[4] ياقوت، معجم البلدان، جـ 2 ، ص 932 .

[5] البيان المغرب، جـ 1، ص 246.

[6] نفس المصدر، ص 275.

[7] ابن خلدون، العبر، جـ 6 ، ص 417 ؛ إبراهيم طرخان، إمبراطورية البرنو الإسلامية، ص 174 ؛ Barth, Travels & Discoveries in central Africa , Vol . ii p 22.

عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (168 - 208هـ/ 784 - 823م) يهتم بالشأن السـوداني لدرجة ان عبر عن رغبته في القيام برحلة إلى جاو[1]. اهتمام الافلح بالسودان اسـتمر عندمـا اصبح هو نفسه إماما (208 - 258هـ /823 - 871م) فقد أرسل محمد بن عرفة، أحد وجـهاء تاهرت، في سفارة إلى ملك السودان حاملا الهدايا لتوثيق الصداقة بينهما وتعبيرا عن شكره لما يجده تجار بلاده من حسن معاملة[2]. رجح بعض الكتاب ان السودان يقصد به مملكة كوكـو[3]، التي عرفت فيما بعد باسم جاو. وقد انبنى هذا الترجيح على كثرة ارتياد رعايا إمامه تـاهرت لتاد مكة التي تمثل المركز الأمامي لكوكو[4]. وقد كان لإعجاب ملك السودان بشخصيـة ابـن عرفة وثقافته وفروسيته اكبر الأثر في توثيق عرى الصداقة بينه وبين الإمام افلح[5].

في منطقة السوس الأقصى لعبت دولة الادارسة دورا في تأصيل العلاقات السياسية بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي، فقد بدأوا في هذا المجال ما أتمه المرابطون مـن بعـد، ولهذا كان المغرب الأقصى مضطلعا بالدور القيادي في هذا المجال. استطاع الادارسة نسـبة لانتمائهم إلى رسول الله (ص) ان يظفروا بتأييد السكان على اختلافهم، واستطاعوا لأول مرة، ان يوحدوا بين إقليم السهول وإقليم المراعي[6]، وامتدت دولتهم جنوبا لتتصل بأرض السودان[7]. سيطرة الادارسة على قبائل صنهاجة الصحراوية التي كانت تتولى أمر التجارة المتوجهة إلـى بلاد السودان تجعل احتمال علاقتهم بتلك البلاد واردا، ويبدو انه بسبب تلك العلاقة الباكرة كان ادعاء ملوك غانة[8] وسلاطين كانم[9] للنسب العلوي. وقد ورد عند ابن أبي زرع[10] فيما يختـص بنسب بعض ملوك السودان العلوي ان سليمان بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علـي بـن

---

[1] عن ابن صغير، تاريخ أئمة الدولة الرستمية Levtzion , "The Sahara & Sudan " p. 642

[2] محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، جـ 3، ص 346.

[3] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص 487 ، عن الباروني سليمان بـن الشيخ عبد الله، الأزهار الرياضية، جـ 2 ، بدون تاريخ، ص 174.

[4] البكري، المغرب، ص 183.

[5] محمد علي دبوز، المرجع السابق ، جـ 3 ، ص 246.

[6] ابن خلدون، العبر، جـ 6 ، ص 147 ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، جـ 1، ص 84/83 ؛ البكري، المسالك والممالك ، ص 806 ؛ ابن الخطيب، تاريخ المغرب (العربي) في العصر الوسيط، ص 191 .

[7] المسعودي، مروج الذهب، جـ 1، ص 164 .

[8] الادريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 7 ؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص 92 .

[9] القلقشندي، صبح الأعشى، جـ 5 ، ص 271.

[10] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، جـ 1، ص 8 – 9 ، عن احمد الياس حسين، الطـرق التجاريـة عبر الصحراء الكبرى، رسالة ماجستير، ص 182 .

أبي طالب (رضي عنهم) كان قد وصل في أواخر القرن الثاني الهجري إلى بلاد السودان قبل ان يدخل بلاد المغرب .

بسقوط دويلات المغرب المستقلة في أيدي الفاطميين، عمل الفاطميون على تنشيط العلاقات مع بلاد السودان. لم تتعرض المصادر صراحة لعلاقة الفاطميين السياسية ببلاد السودان غير انه أمر يمكن استنتاجه من اهتمامهم ببلاد السودان لأغراض اقتصادية[1]. ولعل اهتمامهم السياسي ببلاد السودان يكشف عنه كونهم اكثر ملوك الإسلام رعاية للكشوف الجغرافية في بلاد أفريقية[2]. ومن جهودهم في بلاد السودان رحلة ابن حوقل الذي زار اوداغست وقيل انه دخل كومبي صالح[3]. وقد سار الخليفة العزيز (365 - 386 هـ/٩٧٥-٩٩٦م) على خطى والده فأرسل رحلة علمية لاستكشاف بلاد السودان الأوسط والغربي بقيادة احمد بن محمد المهلبي والتي سجل أحداثها في كتابه المسالك والممالك المعروف بالعزيزي. ولم تقتصر أعمالهم الكشفية على ذلك بل كانت أيضا أعمال المسعودي الكشفية في أفريقية عملا فاطميا.

العلاقات السياسية بين بلاد السودان وحلف انبية[4] الصنهاجي:

بعد الفتح الإسلامي لمنطقة المغرب الأقصى وتوغله في الصحراء الغربية جنوب مراكش، اتضح ما تحويه تلك المنطقة من ثروات بسبب سيطرتها على طرق التجارة العابرة للصحراء نحو بلاد السودان. أصبحت المنطقة بعد ذلك منطقة نزاع بين مختلف الاتجاهات السياسية العقائدية فكانت الحملات تشن على من يحيون حياة البداوة في الصحراء الغربية. ففي إحدى المقالات التي نقلها ابن الفقيه[5] عن أبى الخطاب الازدي (ت 145 أو 147 هـ / 762 – 764م) أشار الأخير الى قول القائد العربي المشتري بن الأسود: "نظمت عشرين حملة ...

---

[1] انظر ... ص 83 وما بعده

[2] أرسل جوهر الصقلي، بإيعاز من الخليفة، الفاطمي السعز بعثه كشفية على رأسها الداعي الشيعي عبد الله بن احمد بن سليم الأسواني، التي كان من نتيجتها مصنفه أخبار النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل. يشير إبراهيم بشير، "نشأة الدراسات الأفريقية، دور العرب والمسلمين" ص 70.

[3] Bovill , The Golden Trade of the Mosor, p. 61

[4] اسم أطلقه العرب على قبائل صنهاجة التي تسكن ما بين سجلماسة وبلاد السودان من الصحراء الغربية. اسم صنهاجة حل محل اسم انبية في كتابات الجغرافيين في نهاية القرن الثالث الهجري / العاشر الميلادي اليعقوبي البلدان ص 360 ؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 293؛ Levtzion , "The Sahara & Sudan ", p. 651

[5] Lewichi, "The role of the Sahara & Saharians in relation between the Mortn & South" , p. 308. عن ابن الفقيه، 1885م، ص 64.

ضد أراضي انبية مبتدءا من السوس الأقصى رأيت النيل (يقصد السنغال). بين ذلك النهر والبحر المالح (يقصد المحيط) ينتصب تل رملي من سفحه ينبع ذلك النهر".

النص لم يشر إلى اسم الحاكم الذي تمت في عهده هذه الحملات ولكن بما ان المنطقة هي منطقة تمركز للعناصر الخارجية، وان تلك العناصر أصبحت هي المسيطر على تجارة الصحراء فانه ضد هذه القبائل بالذات نظمت الحملات بواسطة إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب كما يرى بعض المؤرخين[1] .

وضع لفتزيون[2] سنة 133هـ الموافق 750م تاريخا محتملا لحملات المشترى بن الأسود، وعزاها لعناصر الخوارج التي كانت منتشرة في المغرب الأقصى . دلل على ذلك بقيادة المشترى بن الأسود لتلك الحملات. ففي جنوب مراكش كما في جبل نفوسة كان السود بارزين بين الخوارج وشاركوا بفعالية في تأصيل مراكز الخوارج الناشئة. ففي ذلك الوقت يبدو ان المشترى، الذي هو خارجي واسود في نفس الوقت، قاد حملاته المتتالية من السوس على ارض انبية. يقول لفتز يون[3] ان المشترى نفسه نسب تلك الحملات إلى أبي الخطاب، أول أمام اباضي بالمغرب.

أهمية النص تكمن أيضا في انه أول إشارة إلى اسم انبية لتعني المناطق الواقعة بين السوس الأقصى ونهر السنغال. ورد الاسم مرة أخرى في أعمال الفزاري (172هـ / 788م) التي نقل جزءاً منها المسعودي[4] لتعيين المناطق الواقعة بين سجلماسة ومملكة غانا أو بصفة عامة كل الصحراء الغربية.

هذا الاسم - انبية - فيه إشارة إلى اقدم تحالف للبربر في الصحراء الغربية. اعتمادا على ابن خلدون[5] فان هذا الحلف تكون من قبائل مسوفة ولمتونة وجدالة. ويبدو ان هذه القبائل قد تحالفت بعد ان اعتنقت الإسلام. لم تتعرض المصادر إلى أسباب تكون هذا الحلف الصنهاجي

---

[1] قسم ابن الحبحاب المنطقة الغربية إداريا إلى ولايتين : السوس الأدنى وولى عليه ابنه إسماعيل قبل ان يعهد به إلى عمر بن عبد الله المرادي، وثانيهاالسوس الأقصى حيث بعث حبيب بن أبي عبيدة غازيا. يرى لويكي ان إسماعيل واصل تلك الحملات بعد حبيب . ابن عذارى، البيان المغرب، جـ 1، ص 51؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 293 ؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 5 ، ص 90 – 91 ؛ Lewicki, (The Role of the Sahara & Saharians in relations between North & South", P. 308 .

[2] Levtzion , "The Sahara & Sudan', p. 645

[3] Ibid. Levtzion. Op.Cit., p. 645

[4] مروج الذهب، جـ 1، ص 64 .

[5] العبر، جـ 6 ، ص 241 .

ولم تحدد تاريخا لقيامه. البعض يجعل حملة حبيب بن أبي عبيدة سببا في قيامه[1] بينمـــا يـــرى آخرون[2] ان اكتمال إسلام صنهاجة اللثام[3] هو الذي تمخض عنه قيام حلف قوي بقيادة تيولوتان بن تيكلان[4] . وان الدين الجديد هو الذي اكسبه القوة التي مكنته من إتمام هذا التوحيد وفرض سيطرته على الصحراء حتى "دوخوا تلك البلاد الصحراوية وجاهدوا بها من أمـــم الســودان وحملوهم على الإسلام فدان به كثيرهم واتقاهم آخرون بالجزية"[5]. فانتشار الإسلام إذن بيـــن قبائل صنهاجة الصحراء كان ذا اثر بالغ في تاريخ العلاقات السياسية بين بلاد المغرب وبـــلاد السودان خاصة بعد قيام حلف الملثمين، فمن أهداف هذا الحلف كان التوسع جنوبا لمدافعة ملك غانا ونشر الإسلام بين السودانيين والسيطرة على طرق التجارة.

توسع دولة انبية ناحية الجنوب أدى لاصطدامها بدولة غانة التي كانت بحـــوال القـــرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي قد بلغت أوج مجدها وتوسعها، وكانت تمثل اكـــبر الممـــالك الزنجية في بلاد السودان[6] وفي هذا المعنى يقول ابن خلدون[7] "لما فتحت أفريقية المغرب دخل التجار بلا المغرب من ارض السودان ولم يجدوا فيهم أعظم من ملوك غانيـــة". فـــهي كـــانت

---

[1] محمد علي دبور، تاريخ المغرب الكبير، جـ 2 ، ص 216 .

[2] حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 72 .

[3] يطلق هذا الاسم على صنهاجة الجنوب التي من اشهرها قبائل لمتونة، جدالة لمطة، مسوفة وجزولة. اللثام هو شعارهم الذي عرفوا به بين الأمم وهو عبارة عن عمامة تغطي جميـــع الوجـــه تحـــت العينين حماية من الشمس والرمال. وقيل انه صمم تقليدا لخوذة فرسان العصور الوسطى. يبدو انه استخدم ما بين سنة 600 – 1000م لان الكتاب القدامى لم يشيروا إليه عند وصفهم القبائل الليبية . وقد ذكر ان كل قبائل الصحراء ترتدي اللثام. ابن حوقل، صور الأرض، ص 102 ؛ لسان الدين الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ص 225 ؛ ابن خلدون، العـــبر، ص 241؛ Briggs , Tribes of the Sahara , p. 151 – 155

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، جـ6 ، ص 241 ؛ ابـــن الخطيـــب، المصـــدر الســـابق، ص 225؛ القلقشندي، صبح الأعشى، جـ 5، ص 184/183 .

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 241.

[6] امتدت حدود مملكة غانا من منعطف النيجر جنوبا حتى مدينة اركي في الشمال ومن النيجر شرقـــا حتى السنغال غربا. زين العابدين ابن الوردي، تتمة المختصر في تاريخ البشر، إشـــراف احمـــد رفعت البدراوي، جـ 1، بـــيروت 1970، ص 135 ؛ إبراهيـــم طرخـــان، إمبراطوريـــة غانـــا الإسلامية، ص 30؛ عبد الرحمن زكي، تاريخ الدول الإسلامية السودانية، ص 79؛ Bovill The Golden Trade of the Moors, p. 70

[7] المصدر السابق، ص 266 .

صاحبة النفوذ في كل المساحات الواقعة بين النيجر والمحيط، وفي ناحية الشمال ربما وصلت غزواتها إلى منطقة أدرار[1].

بحكم الجوار والمصالح الاقتصادية المشتركة كان الجانبان مملكة غانا في الجنوب ودولة انبية في الشمال، على احتكاك دائم. وكانت الحدود بينهما غير ثابتة تتحـرك فـي الاتجـاهين الشمالي والجنوبي حسب ميزان القوى. فقبائل الملثمين المسلمة بعد ان حققـت اتحادهـا الأول بزعامة لمتونة نجحت في منازلة غانا وتمكنت من إخراج ملوكها من اوداغست. اعتمادا على ابن أبي زرع، أورد ابن خلدون[2] ان تَيلوتان الرئيس الصنهاجي في الصحراء الغربية، تمكـن من فرض سيطرته على كل الصحراء، وان اكثر من عشرين من ملوك السودان كانوا يؤدون له الجزية، وان عمله كان يمتد مسيرة شهرين في مثلها، وبلغ عدد جند جيشـه المائـة الف[3]. وكان هذا الملك الذي حكم لفترة طويلة امتدت حتى سنة 222هـ الموافق 846م[4] يتدخل فيمـا يطرأ من مشاكل داخلية بين ملوك السودان. ففي الخلاف الذي نشب بين ماسين واوغام[5] أتـى لنجده شيخ ماسين في خمسين الف نجيب فخرب اوغام وقتل ملكها[6]. ويتضح من هذا ان حلف انبية كان يمارس ضغطا سياسيا وحربيا على مملكة غانا.

في الوقت الذي فرضت فيه دولة انبية سيطرتها على جميـع الصحـراء واجلـت عـن اوداغست حكامها السود، كانت مملكة غانا تعاني من المشاكل الداخلية فقد كان هناك صـراع يدور بين الأسرة الأولى التي أنشأت المملكة وبين عناصر سوننكية من اجل السـيطرة علـى

---

[1] إبراهيم طرخان، إمبراطورية غانا الاسلامية، ص 3.

[2] العبر، ص 241 / 242 ؛ البكري، المغرب، ص 159.

[3] وصف الفزاري إقليم انبية الكبير الذي يمتد بين إقليم سجلماسة وغانـة بأنـه يبلـغ 2.500 × 600 فرسخ. عن Levtzion "The Sahara & Sudan", p. 651 ; Lewicki, "The Role of the Sahara & Saharians in relations between North & South p. 309 البكـري، المصـدر السابق ، ص 159 ؛ ايفر ج. دائرة المعارف الإسلامية، جـ 5 ، ص 114.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، جـ6 ص 241 Lewicki , op. Cit , p. 309

[5] مقاطعتين تابعتين لمملكة غانا أوردهما اليعقوبي برسم سامة وعام. يرى ترمنجهام ان عام التي لـم يرد ذكرها في غيره من المصادر ربما هي اوغام البكري، اليعقوبي، تاريخـه، جـ 1، طبعـة النجف، 1964 ص 168 ؛ البكري، المصدر السابق، ص 180 ؛ Trimingham , A history of Islam in west Africa, p. 22

[6] البكري، المصدر السابق، ص 178؛ مجهول، الاستبصار، ص 216؛ Levtzion , OP. Cit. , P. 653

الحكم. نجحت الأخيرة في تأسيس أسرة حاكمة جديدة وطردت الأولى التي اتجهت نحو بلاد التكرور[1] وساد الهدوء مملكة غانا داخليا.

في الوقت الذي تجاوزت فيه مملكة غانة متاعبها الداخلية نجد الملثمين في الجانب الآخر، بعد ان تعاقب الملك في خلفاء تيلوتان حتى سنة 306هـ الموافق 918م، قد ثار نبلاؤهم على تميم آخر خلفائه وقتلوه وتفرق الحلف[2]. انتهزت غانا فرصة ضعفهم وبدأت في استعادة ما فقدت من نفوذ وأملاك. وانقلب ميزان القوى لصالح المملكة السودانية وتمكنت من استعادة اوداغست. واستمرت لفترة الخمسين سنة التالية اعظم قوة في غرب أفريقيا[3].

لم يشرح المؤرخون الأسباب التي أدت لإيقاع اوداغست في أيدي حكام غانة غير ان ابن أبي زرع[4] قد أورد ان هناك فترة مائة وعشرين عاما من الاضطراب وعدم الوحدة بين صنهاجة. وافقت هذه الفترة قيام الدولة الفاطمية بالمغرب (قامت في سنة 296هـ الموافق 908م) وسرعان ما اتجهت الدولة الجديدة صوب المغرب الأقصى، الذي اصبح ميدانا للصراع بينها والدولة الأموية في الأندلس من اجل السيطرة على مسالك التجارة بين بلاد السودان وبلاد المغرب. كان هذا هو العامل الأساسي الذي كمن وراء الصراع بين صنهاجة وزناتة والذي ظهر في عالم الأحداث السياسية انه صراع كلاسيكي قبلي[5]. اضطربت الأحوال الاقتصادية كما اضطربت الأحوال السياسية الشيء الذي أدى إلى أضعاف اوداغست عاصمة دولة انبية فوقعت في أيدي ملوك غانا.

شعرت قبائل صنهاجة الجنوب أنها بين خطرين، من ناحية الشمال بسبب اصطراع القوى السياسية في بلاد المغرب، ومن الجنوب بسبب سيطرة غانة على الطرق التجارية، فعملت على الاتحاد مرة أخرى في سنة 350هـ الموافق 961م تحت قيادة تن يروتان بن

---

[1] Cornevin , R. ,Encyclopedia of Islam, New ed. , Vol. II , P. 1002; Hogben, An Introduction to the history of Islamic States of Northern Nigeria , p. 22 حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، ص 97؛ إبراهيم طرخان، إمبراطورية غانا الإسلامية، ص 27.

[2] ابن خلدون، العبر، جـ 6 ، ص 241.

[3] نفس المصدر، ص 166 ؛ البكري، المغرب، ص 177.

[4] الأنيس المطرب ص 66 عن ; Levtzion "The Sahara & Sudan", P. 654 القلقشندي، صبح الأعشى، جـ5 ، ص 184 ؛ الناصري، الاستقصاء، جـ 2 ، ص 5 ؛ ابن أبى دينار، المؤنس، ص 104.

[5] حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 77 وما بعدها؛ الحبيب الجنحاني " السياسة المالية للدولة الفاطمية بالمغرب" ، مجلة الأصالة، العدد 50/49، 1977، ص 58.

ونيسو (350 - 360 هـ / 961 - 971م)[1]، وكان الحلف قويا هذه المرة[2]، فابن حوقل[3] الذي زار اوداغست في ذلك الوقت ذكر ان يروتان كان يعتبر ملك جميع صنهاجة. أما البكري،[4] الذي استمد معلوماته عن محمد بن يوسف الوراق، فقد قال انه كان يعتبر حاكم اوداغست.

وكشيخ لصنهاجة الجنوب كان تن يروتان يتعامل مع جيرانه السودانيين "وملك اوداغست هذا يخالط غانة ... ويهادي ملك كوغة ... ويهادونه". ركز ابن حوقل[5] هنا على العلاقات الدبلوماسية بين ملوك اوداغست البربر وملوك السودان، ولكن يبدو ان الصراع بين الجانبين لم تهدأ ثائرته فقد استردت غانا اوداغست على اثر تفرق حلف الملثمين ثانية[6] في أوائل القرن الخامس الهجري[7]. لم ييأس الملثمون فقد شهد نفس القرن محاولة أخرى للتوحيد تمت في سنة 429هـ الموافق 1027م[8] بقيادة محمد المعروف بتارشني[9] وكان من أهل الفضل والدين والجهاد قام فيهم ثلاث سنوات ومات في قنقارا وهو يحارب السودان[10].

---

[1] البكري، المغرب، ص 159.

[2] ذكر ابن حوقل، ان اسمه هو تنيروتان بن اسفيشر. ابن حوقل، صورة الأرض، ص 91؛ مجهول، الاستبصار، ص 216.

[3] المصدر السابق، ص 97/96.

[4] المصدر السابق، ص 159.

[5] المصدر السابق، ص 99.

[6] البكري، المصدر السابق، ص 164 ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، جـ5، ص 184.

[7] حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 76؛ عبد الرحمن زكي، تاريخ الدول الإسلامية السودانية، ص 80.

[8] ورد هذا التاريخ عند بعض المؤرخين سنة 411هـ الموافق 1020م وبما ان هناك شبه اتفاق على ان نهاية الائتلاف الأول كانت سنة 306هـ الموافق 918م، وان الفرقة بين قبائل الملثمين استمرت مائة وعشرين عاما، وبذلك يصبح التاريخ المحتمل للائتلاف الجديد هو سنة 426هـ الموافق 1024م . ابن أبى دينار، المؤنس، ص 104 ؛ حسن احمد محمود، انتشار الإسلام والثقافة العربية في افريقيا، ص 231؛ Trimingham , A history of Islam in west Africa, P. 22

[9] أبو عبد الله محمد بن تيفاوت، ذكر في المصادر انه عرف بتاسرت أو تارشت أو تارشنا. القلقشندي، صبح الأعشى، ص 184؛ لسان الدين الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ص 226 حاشية (2)؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 104 ؛ الناصري، الاستقصاء، جـ 2، ص 5.

[10] البكري، المصدر السابق، ص 164.

العرض السابق اظهر النظام المعقد للعلاقات السياسية بين بلاد المغرب وبلاد السودان، التي تتأرجح ما بين العلاقات الدبلوماسية الودية التي تمليها المصالح الاقتصادية، والعسكرية التي قد تصل إلى حد تدخل أحد الطرفين عسكريا في الشئون الداخلية للطرف الآخر. فالعلاقات السياسية بينهما تسيرها عدة عوامل لا تنفصل عن بعضها البعض أهما العامل الاقتصادي والديني.

العلاقات في فترة الدور الصحراوي للمرابطين[1]:

شهد القرن الخامس الهجري/ النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي مولد حركة المرابطين[2] التي قامت بها قبيلتا لمتونة وجدالة. في هذه المرة برز عامل جديد للتحالف بين قبائل الصحراء. فقامت هذه الحركة السياسية الدينية تحت قيادة السلطة الروحية والسياسية للقبيلتين. انتقلت الزعامة إلى قبيلة جدالة[3]، التي رأي زعماؤها ان الوحدة الحقيقية والجهاد المنشود لا يتحقق الا في ظل إسلام جديد. لقد دخل الإسلام مناطق الملثمين منذ القرن الأول الهجري الا ان الانحلال والاهمال كان السمة المميزة لإسلام أهل الصحراء. فاليعقوبي[4] عندما يتحدث عن "غسط" يقول: "وفيه ملك لهم لا دين له ولا شريعة يغزو بلاد السودان". وتبدو بشائر هذا التوجه الإسلامي القويم منذ عهد آخر اتحاد قبلي تم تحت محمد تارشني وهو من أوائل مشائخ صنهاجة الذين وصفوا بأنهم مسلمون.

خرج الملثمون من رباطهم لتنفيذ سياستهم التي رسموها لأنفسهم، وكان من أول أعمالهم التوجه نحو اوداغست لتخليصها من أيدي ملوك غانا، فدخلوها سنة 446هـ الموافق 1054م[5] عقابا لها على خضوعها لحكام غانا الوثنيين[6].

---

[1] الرباط، وجمعها ربط: دار يسكنها أهل طريق الله. والرباط والمرابطة في الأصل ملازمة ثغر العدو، وهو من الخيل الخمس فما فوقها. وأطلق على كل ثغر يدفع أهله عمن ورائهم رباط. وقد خرج الربط عن وظيفته الأولى فاخذ الناس يقصدونها لا للجهاد فقط بل لتلقي العلم أيضا. المقريزي، تقي الدين احمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار والأمصار، مطبعة النيل مصر، 1325هـ، جـ 4، ص 292؛ حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 130.

[2] لنشأة وقيام حركة المرابطين انظر: ابن عذارى، البيان المغرب، جـ 4، تعليق إحسان عباس، بيروت، 1967، ص 12/8/7؛ حسن احمد محمود، المرجع السابق، ص 104 وما بعدها؛ الناصري، الاستقصاء، جـ 2، ص 7 وما بعدها.

[3] البكري، المغرب، ص 164؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 242.

[4] اليعقوبي، البلدان، ص 360.

[5] البكري، المصدر السابق، ص 168؛ حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 150.

[6] نفس المصدر، ص 168؛ فرانسوا دي ميديروس، "تنقل السكان"، ص 161.

حتى تاريخ سقوط اوداغست في أيدي المرابطين فان الإشارات الجغرافية تقول ان معظم حروب قادة صنهاجة التي سجلتها المصادر العربية تكاد تكون ضد السود في الصحراء نفسها، وهذا ما يسميه المؤرخون بالدور الصحراوي لدولة المرابطين[1].

ما ان بدأت جموع المرابطين تتجه شمالا لفتح بلاد المغرب في سنة 446هـ الموافق 1054م[2] حتى انتهز سكان الصحراء الفرصة للخروج عن سلطانهم[3]، الشيء الذي جعل أبو بكر بن عمر، الأمير الشرعي[4] للمرابطين، يسرع بالعودة إلى الصحراء في سنة 463هـ الموافق 1070م[5] ليقود الجهاد في الجنوب تأكيدا لسلطته. في هذه الفترة التي شغل فيها أمير المرابطين بتهدئة الأحوال في الصحراء عين ابن عمه يوسف بن تاشفين ليقود مسيرة الفتح في بلاد المغرب[6] وما لبث ان اقره على السلطة ليتفرغ هو لأمر الصحراء[7].

في تلك الفترة كان المرابطون يتنقلون بين السوس والصحراء، وفي نفس الوقت كان أبو بكر بن عمر يقوم ببعض الهجمات تجاه السودان. كان القضاء على مملكة غانا هو هدفه. وبعد عمل استمر أربعة عشر عاما في قيادة الجيش الجنوبي للمرابطين، استطاع إجلاء العديد من المجموعات السودانية من الصحراء[8]. الروايات الشفاهية في موريتانيا تدعى ان أبو بكر بن عمر هو الذي ابعد السودانيين عن الصحراء[9]. قد يكون حدث هذا نتيجة المواجهات الطويلة بين بدو الصحراء والسودانيين. وتحت الضغط المتزايد سقطت كومبي صالح، عاصمة غانا،

---

1 حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 186.

2 هناك اختلاف بين المؤرخين حول هذا التاريخ، انظر ابن عذارى، البيان المغرب، جـ 4، ص 13 ؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 243 ؛ ابن الخطيب، **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط**، ص 229 ؛ الناصري، الاستقصاء، جـ 2، ص 12.

3 ابن خلدون، المصدر السابق، طبعة بيروت، ص 184.

4 ابن عذارى، المصدر السابق، ص 14؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 230.

5 نفس المصدر، ص 20 . أورد بعض المؤرخين تواريخ مخالفة أنظرها في ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 232؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 106 ؛ الناصري، المصدر السابق، ص 21.

6 ابن خلدون، المصدر السابق، ص 245 ؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ص 21.

7 ابن عذارى، المصدر السابق، ص 24 ؛ الناصري، المصدر السابق، جـ 2، ص 22.

8 الادريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 17.

9 Levtzion "The western Magrib & Sudan", Cambridge African History, Vol III, P. 348 , 349.

في أيدي المرابطين سنة 469هـ الموافق 1076م، وأجزاء أخرى من السودان الغربي. اكتسح الملثمون السودانيين واستباحوا حماهم وبلادهم وفرضوا عليهم الجزية[1].

لا تمدنا المصادر بالكثير من المعلومات عن غزوات ابن عمر في بلاد السودان. يقول ابن أبي زرع[2] "خرج أبو بكر لغزو بلاد السودان. فجاهدهم حتى فتح من بلادهم مسيرة ثلاثة اشهر إلى ان استشهد بسهم مسموم بعد ان استقر له أمر الصحراء إلى جبل الذهب من بلاد السودان". ويرى بعض المؤرخين ان المرابطين قد أوغلوا في ديار غانا حتى اشرفوا على ديار التكرور[3] استنادا على ما أورده المؤرخون من تحالف التكرور معهم[4] .

لا نعرف الكثير عن احتلال المرابطين لغانة سوى ان ملكها وسكانها قد اصبحوا مسلمين[5]. ولا نعرف إذا ما كانوا قد أقاموا عليها ملكا ام ابقوا ملكها على عرشه[6]. ثم تذكر المصادر ان أبو بكر بن عمر قد استشهد في سنة 480 هـ الموافق 1087م[7] . تذكر الروايات الشفاهية[8] انه قد خلفه على قيادة جيش المرابطين الجنوبي ستة من أبنائه وأبناء أخيه يحي. ما افتتحه أبو بكر من بلاد السودان اعتبر جزءاً من إمبراطورية المرابطين، اعتمادا على ما ورد عند بعض المؤرخين[9] من ان أملاك ابن تاشفين[10] امتدت عبر الصحراء فوصلت جبال الذهب

---

[1] ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 266.

[2] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، جـ 2 ، ص 35 ، عن احمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص 327.

[3] حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 150.

[4] البَكري، المغرب، ص 167.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، نفس الصفحة ؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، نشر علوش، ص 7 ، عن احمد مختار العبادي، المرجع السابق، نفس الصفحة؛ Levtzion , "The Western Magrib & Sudan" , P. 349 عن الزهري، الجغرافيا، ص 126.

[6] Trimingham , A history of Islam in west Africa, P. 55

[7] لسان الدين الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ص 233؛ ابن خلدون، المصدر السابق، جـ 6 ، ص 245؛ الناصري، الاستقصاء، جـ 2 ، ص 22؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 107.

[8] Levtzion, OP.Cit. P. 349

[9] ابن الخطيب، [illegible] المغرب العربي [illegible]، ص 234؛ Ibid., P. 335

[10] يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن تومرت بن ورتاقط اللمتوني الصنهاجي، كان مرابطا ومجاهدا. ابن عم أبو بكر بن عمر فلما رجع أبو بكر إلى الصحراء عقد له على المغرب ففتح فاس واستولى على ارض المغرب يعتبر المؤسس الحقيقي لإمبراطورية المرابطين استدعاه المعتمد بن عباد

في بلاد السودان. الصلات الودية بين بلاد السودان ودولة المرابطين، الجناح الشمالي منـــها، كانت متصلة والتعاون بينهما كان قائما فقد أورد الزهري[1] ما يفهم منه ان هناك اتفاقا قد ابـــرم بين غانا والمرابطين بعد سبع سنوات من سقوط كومبي صالح، تعاون بمقتضاه الجانبان علـــى تاد مكة. كما أورد صاحب كتاب الاستبصار[2] ان هناك رسالة من غانة إلى ابن تاشفين وهـــو ما زال مقيما في اغمات قبل بناء مدينة مراكش وانتقال المرابطين إليها[3]

سيطرة المرابطين على بلاد السودان لم تستمر لفترة طويلة. استعادت غانا اســـتقلالها، وبالرغم من أنها لم تستعد قوتها السابقة الا انه لم يكن لسقوطها الآثار البعيدة المنتظــرة. فقــد وصفها الادريسي،[4] بأنها "اكبر بلاد السودان قطرا وأكثرها خلقا وأوســعها متجــرا". فقوتــها السياسية لم تتأثر كثيرا واستمرت قوة يحسب لها حساب في غرب أفريقيا[5].

تكرور التي تقع إلى الغرب من غانا دخلها الإسلام قبل مجيء ابن ياسين[6] إلى صنهاجــة وعند قيام حركة المرابطين اصبح ملك تكرور حليفا لهم[7] وحارب إلى جانبهم وَمَدَ أمد لبي بـــن

= للجهاد بالأندلس . تسمى بأمير المسلمين وناصر الدين. اعترف الخليفة العباسي المستظهر بسلطته على بلاد المغرب والأندلس. توفي بمراكش سنة 500هـ . ابن الخطيب،تالريخ المغرب العربـــي في العصر الوسيط، ص 233 وما بعدها؛ حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 219 وما بعدها.

[1] Levtzion , Ancient Ghana & Mali, London 1973, P. 45 , 186

[2] مجهول، الاستبصار ، ص 219.

[3] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 234 حاشية (1).

[4] وصف أفريقيا الشمالية، ص 7.

[5] ظلت غانة مملكة قائمة بذاتها تتبع إمبراطورية مالي يحمل حاكمها لقب ملك حتى ســـقطت نتيجــة عوامل سياسية داخلية في سنة 600 هـ الموافق 1203م ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، جـــ 5 ، ص 275؛ ابن خلدون، العبر ، جـ 6 ، ص 266؛
De Monaes Farias , "Great States revisited" p. 486

[6] البكري، المغرب ص 172 () عبد الله بن ياسين بن مكو الجزولي المصمودي من أهل الدين والفقـــه والتقوى خرج مع يحي بن إبراهيم إلى بلاد جدالة ليقوم فيهم بشعائر الله يعتـــبر الزعيـم الأول للمرابطين. البكري، المصدر السابق، ص 165؛ ابن خلدون، العبر ، طبعـــة بـيروت ص 182؛ 183؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 127 وما بعدها.

[7] البكري، المصدر السابق، ص 172؛ Levtzion "The Sahara &Sudan", P. 676

وأرجا بي أمير المرابطين بفصيل من الجند عندما كان يحارب قبيلة جدالة البربرية[1]. وكحلفاء للمرابطين، الذين انتصروا على مملكة غانا، زادت سلطة تكرور وثروتها. امتدت أملاكهم على نهر السنغال حتى بريسس[2] التي كانت من أملاك غانا[3]. وقد ذكر ابن سعيد[4] اتصال حاكم تكرور وأرستقراطيتها بالبيض.

إلى الشرق من منحنى النيجر، حيث قامت مملكة سونغي نجد ان المنطقة كانت محمية من تدخل المرابطين المباشر، غير ان هناك دليل، رغم انه متأخر بعض الشيء، يمكن ان يعتبر إشارة إلى وجود علاقة وثيقة بين المرابطين وملوك سونغي، فقد عثر على شواهد على قبور اثنين من الملوك وإحدى الملكات في جاو يرجع تاريخها إلى سنة (494 - 504هـ / 1100 - 1110 م) من المرجح أنها كانت تصنع وتنقش في أسبانيا وتحمل عبر الصحراء إلى جاو[5].

تكمن أهمية فترة المرابطين في تاريخ العلاقات السياسية بين بلاد المغرب وبلاد السودان، في ان السودان الغربي الذي كان متصلا في الماضي بالغرب بواسطة النشاط التجاري، اصبح بعد فترة المرابطين اكثر اتصالا به. فتدخل المرابطين السياسي في بلاد السودان، رغم قصر مدته، وطد العلاقات بين الجانبين ووحد ديار المسلمين، من السودان حتى أسبانيا.

الصراع التاريخي بين البربر والسود شئ لا يمكن إنكاره غير ان التعاون بين بدو الصحراء والمستقرين من السود لعب دورا اكبر في تاريخ أفريقيا الغربية . فالمصالح المشتركة بين الجانبين التي تبدو اقتصادية في معظم الأحوال، لعبت فيها السياسة دورا لا يمكن تجاهله. وعليه يبدو من المناسب استبعاد ما ذهب إليه البعض من المؤرخين المحدثين من ان العلاقات بين الجانبين كانت عدائية، الشيء الذي أدى إلى ترسيبه في الأذهان العمليات الحربية التي قام بها كل من حلف انبية والمرابطين، في بداية دولتهم على التوالي.

صور بعض الكتاب العلاقة بين الشمال والجنوب علاقة عداء وصراع مستمر بين الوثنية والإسلام[6]. غير انه هناك من الأدلة ما يؤكد وجود العلاقات الودية التي تقتضيها المصالح

---

[1] البكري، المغرب، ص 167؛ م. ديلافوس، مادة تكرور، دائرة المعارف الإسلامية، جـ 5، ص 429.

[2] الادريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 5؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص 91.

[3] البكري، المصدر السابق، ص 171.

[4] المصدر السابق، ص 91.

[5] Levtzion, "The Western Magrib & Sudan", P. 331

[6] الناصري، الاستقصاء، جـ 2، ص 11/5 ؛ حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 73.

الاقتصادية والسياسية بين المجتمعين[1]. فكجزء من النظام الحاكم لا يمكن للبربر المسلمين في بلاد السودان ان يقفوا ضد الأنظمة الحاكمة، لكن يمكننا تصورهم كمجموعة مستثمرة للوضع السياسي القائم هناك، والدليل على ذلك خضوع أهل اوداغست لملك غانا الوثني، مما استوجب معاقبة المرابطين لهم على ذلك السلوك[2]. فالتعامل الودي اذاً كان بين الزنوج والبربر مسلمين ووثنيين، ولم يكن بين زنوج وبربر يشتركون في نفس العقيدة. هذا التعاون لا يمكننا الادعاء بأنه كان بالكامل نتيجة دخول الإسلام في بلاد السودان، فالوصف الذي يقدمه المؤرخون لبلاط الملوك في بلاد السودان يعكس ازدواجية الطقوس التي كانت تقام فيها، بعضها خاص بالوثنين والآخر للمسلمين[3].

---

[1] البكري، المغرب، ص 174 – 176.

[2] نفس المصدر، ص 168.

[3] نفس المصدر، ص 179.

الباب الثاني

العلاقات الاقتصادية بين بلاد المغرب وبلاد السودان

أ

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول:

نمو وتطور العلاقات الاقتصادية

انتظام وتوسع تجارة القوافل في ظل الأنظمة السياسية المغربية المختلفة

لعبت الصحراء الأفريقية الكبرى ما لم يلعبه المحيط الأطلنطي في تاريخ أفريقيا الغربية فقد كان هنالك الكثير من مسالك الصحراء التي تعبر إلى إفريقيا جنوبها، وكانت الأسس الأولى لهذا الاتصال هي التجارة التي خدمت مصالح الطرفين وشكلت عاملا للتطور لكل من بلاد المغرب وبلاد السودان خلال العصور الوسطى.

كانت هذه التجارة على درجة من الأهمية بالنسبة لسكان شمال أفريقيا الساحلية، كما هي بالنسبة لسكان الصحراء وبلاد السودان. فعن طريقها أمن سكان الصحراء والسودان أنفسهم بإمداد مستمر من احتياجات الحياة التي لا تتوفر في مناطقهم. سكان بلاد المغرب في المناطق الساحلية كانت ظروفهم تمكنهم من العيش، ولكن دون تجارة الصحراء كان لا يمكن ان يصلوا إلى ما وصلوا إليه من رخاء ورفاهية.

مصالح الشمال الأفريقي الاقتصادية والسياسية أملت عليه توجيه وتنظيم العمل على استمرارية تجارة الصحراء. كتابات الرحالة والمؤرخين تشير إلى تجار مغاربة يقومون برحلات منتظمة إلى ارض السودان كما تشير إلى سلسلة من المدن تغطي ارض البربر من المحيط غربا إلى طرابلس شرقا، كانت تعمل في تجارة الصحراء.

ذلك النظام التجاري كان له أثره على أقاليم بلاد السودان المختلفة. فتلك التجارة وصلت دول إقليم السافنا بالعالم كله فهي لم تكن تقل عن تجارة أوربا المعاصرة لها وهناك شواهد مقنعة بان الاداة التجارية التي نمت هناك في ذلك الوقت هي التي أعانت الدول على النشوء والبقاء، وخلقت من بعد اسرا ظلت تحكم طوال القرون الوسطى.

الصحراء، التي من المفترض ان تكون اكبر الحواجز أمام الاتصال البشري، ربطت بين بلاد المغرب وبلاد السودان. الكثير من شعوبها التي كانت تحيا حياة البداوة والترحال كانت تقيم صلات وثيقة مع حواضر الشمال والجنوب. الكثير من المعطيات الأثرية تسمح بالاعتقاد ان الصحراء كانت مجالات يكثر التردد عليها وتؤكد حركة المد والجزر بين الشمال والجنوب.

الأبحاث التي تمت في منطقة بلاد السودان تجعلنا نعتقد ان العلاقات التجارية بينها وبين بلاد المغرب قد تطورت عما كانت عليه في الفترة التي سبقت الفتح الإسلامي للشمال

الأفريقي. فعلى الرغم من ازدياد الصعوبات الجغرافية التي تحول دون الاتصال بين الشمـــال والجنوب في القرنين السادس والسابع الميلاديين، ظهرت في المقابل وسيلة نقل بالغة الأهميـــة لعبور الصحراء[1] . فبفضل الانتشار السريع للجمل، كانت اتحادات البربر في القرنين الخامس والسادس الميلاديين، أول من أتيح لها إمكانية العبور الكامل للصحراء، ذلك لان الجمل هـــو الحيوان الوحيد الذي مكن الإنسان من القيام برحلات طولها يتراوح بين الألف والألفي كيلـــو متر، هي المسافة الفاصلة بين حافتي الصحراء[2] . وبذلك اصبح بدو البربر الرحل هم ســـادة الصحراء[3]، الذين تقوم على أكتافهم تجارة العبور . ففضلا عن امتلاكهم ســـفينة الصحـــراء، كانت القوافل تحتاجهم لامدادها بالادلاء العارفون بالمنافذ والمسالك[4].

هجرة البربر إلى الصحراء وبلاد السودان كانت من العوامل التي ساعدت على إنعـــاش التجارة عبر الصحراوية، فضلا عن هجرتهم الداخلية إلى المدن التجارية بالمغرب الأقصى، وبصفة خاصة هجرة جماعات من يهود قرطاجنة وبرقة، بقصد الاكتساب مـــن العمـــل فـــي التجارة[5]. خلو المنطقة جنوب إقليم الساحل من العوائق الطبيعية كان عاملا مساعدا آخر سهل عملية انسياب التجارة بين الجانبين إذا ما تجاوزنا بعد المسافة وصعوبة عبور الصحراء[6].

النشاط الاقتصادي الذي وحد بلاد المغرب والسودان كـــان يتوقـــف لحيـــن ويتعـــرض للفوضى، لكنه لا ينقطع، خاصة بعد الفتح الإسلامي فـــي القـــرن الأول الـــهجري/ الســـابع الميلادي . فالمسلمون كان لا يعوزهم طلب بضائع الجنوب[7] وحاستهم التجارية طورت التجارة العابرة للصحراء كثيرا. فبواسطتهم استخرجت بلاد المغرب، بطريق مباشر أو غير مبـــاشر، من بلاد السودان حتى مشارف منطقة الغابات، موارد ضخمة، بصورة بطيئة ما بين القرنين

---

[1] جان دفيس، "التجارة والطرق التجارية في غرب افريقيا، ص 419

[2] نفس المرجع، ص 407

[3] R. Mauny "Trans-Saharan Contacts & the Iron Age in West Africa", P. 291

[4] ابن بطوطة، ابو عبد الله محمد بن عبد الله، مهذب رحلة ابن بطوطة المسماة تحـفـة النظـــار فـــي غرائب الامصار وعجائب الاسفار، ضبط احمد العوامري بك، جـ 2 ،1934 القاهرة، ص 295 ؛ الادريسي، وصف افريقيا الشماليه والصحراويه، ص 37

[5] مجهول، الاستبصار، ص 201 ؛ابراهيم طرخان، دولة مالي الاسلامية، ص 138

[6] B.G. Martin, "Kanem Bornu & Fezzan", P. 15

[7] B.G Martin, OP.Cit, P. 16 ; R.Mauny, O P . Cit, P. 289 - 290

الأول - الثالث الهجريين/ السابع والعاشر الميلاديين، وبسرعة اكبر فيما القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي عشر و الثاني عشر الميلاديين[1].

حملة حبيب بن أبى عبيدة (112 أو 116 هـ/ 730 أو 734م) كانت فيما يبدو حمله رسميه أرسلها حاكم افريقيه الأموي لاستكشاف الصحراء. وكانت محاولة اكثر خطورة من الحملتين الرومانيتين بقيادة سبتموس فلاكوس ويوليوس ماترنوس[2] على طريق فزان الاكثر سهولة من الطريق الغربي. الذهب الذي كان يتدفق على المغرب الأقصى والاستيلاء على مصادره كان الهدف من تلك المحاولة. كمية الذهب التي أحضرت[3] تظهر دون شك احتمالات التجارة مع الأراضي جنوب الصحراء[4]

بعد اقل من عشرين سنة نظم حاكم إفريقية عبد الرحمن بن حبيب (127 - 137هـ/744 - 754م) طريق القوافل جنوب المغرب الأقصى واوادغست، بان أمر بحفر الآبار على طول الطريق المؤدية إلى بلاد السودان. آخر هذه الآبار كانت على بعد مسيرة ستة عشر يوما من وادي درعة[5].

فيما عدا شن الغارات الأولى هذه . التي كانت ملفتة للأنظار دون ترك اثر يذكر، فان النصف الأول من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي كان قد شهد اضطرابا في بلاد المغرب، ومحاولات مترددة في عبور الصحراء، لذلك من الممكن استبعاده إذا ما حاولنا ان نحدد تاريخا لبدء انتظام تجارة القوافل بين بلاد المغرب والسودان. فنشوء تجارة منتظمة بدأ جديا في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي[6]. وهي الفترة التي أسست فيها دويلة سجلماسه ومن بعدها تاهرت، وأخذت فيها تجارة الخوارج في النمو . وهي كما يبدو

---

[1] ج. دفيس، "افريقيا من خلال العلاقات بين القارات، تاريخ افريقيا العام، مجلد 4 ، فصل 26 ص 641 ؛ جبريل نياني "مالي والتوسع الثاني للماندانغ" تاريخ افريقيا العام، مجلد 4 ،فصل 6، ص 130

[2] بازل ديفيدسون، افريقيا تحت اضواء جديدة، ص 121/120

R.C.C. Law, "The Garamants & Trans-Saharan Enterprise in classical Times", P. 192

Bovill, The Golden Trade of the Moors, P. 35

Mauny. ; " Trans-Saharan Contracts The Iron Age in West Africa", P. 300

[3] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 293 ؛الرقيق القيرواني، تاريخ افريقيا والمغرب، ص 108

[4] Bovill, OP.Cit., P. 69; Levtzion, "The Sahara & Sudan", P. 638

محمد علي، دبوز تاريخ، المغرب الكبير، جـ2، ص 216

[5] البكري، المغرب، ص 163 ؛مجهول، الاستبصار، ص 213

[6] ج. دفيس، "التجارة والطرق التجارية في غرب افريقيا" ،ص 428

فترة التجارة الوجلة التي ورد ذكرها في نصوص اليعقوبي[1] أو حتى ابن حوقل[2] ، الذي ذكر انه سمع "تيروتان بن اسفشار، الذي كان أمير صنهاجة كلها يقول: ... وانه لا يزال في كل سنة يرد عليه قوم منهم زائرين له لم يعرفهم".

أسفرت عمليات التنقيب في اوداغست عن وجود أشياء نحاسية، مما يعني وجود تجارة ربيع منتوجات[3]. كما دل وجود كفة ميزان صغير واجزاء من ذهب مكسو بنحاس على وجود الذهب[4] . هذا الذهب بالضرورة كان يأتي من الجنوب. الكميات الكبيرة من المحار المستورد من ساحل المحيط الاطلنطي ينم عن وجود اتصالات منتظمة مع الساحل[5]

الأشياء المستوردة من الشمال الأفريقي، لم يوجد منها الكثير . تم العثور على أحجار كريمة وشبه كريمة وبعض الكسر الخزفية وبعض الأواني الزجاجية التي اثبت أنها أتت من إفريقية، عبر الصحراء[6]. هذه الأشياء نتج وجودها عن عملية بيع وشراء، أو بالأحرى عملية مقايضة. الطبقات التي اكتشفت فيها يرجع تاريخها إلى ما قبل سنة 287هـ الموافق 900م ، وهي على قلتها تقف شاهدا على قيام اتصالات عبر صحراوية وهي أول دليل مادي على حدوث مثل تلك التجارة في القرنين الثاني والثالث الهجري/ الثامن والتاسع الميلادي[7]. فمنذ الربع الأخير من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي سلك تجار تاهرت الاباضية الطرق المفضية إلى بلاد السودان، وفتحوها أمام تجارتهم واعمالهم. وبناء على ذلك يمكن اعتبار ان النصف الثاني من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي قد شهد أول تحرك نحو إقامة اتصالات مستمرة مع بلاد السودان[8].

في الفترة الأولى للفتح الإسلامي للشمال الأفريقي كان التدخل الرسمي في تنظيم تجارة السودان عبر الصحراء، قصير الأمد. عندما سقطت دولة بني امية سنة 133هـ الموافق 750م، استمر نشاط الخوارج في اطراف الصحراء وفي الواحات. وفي فترة نشاط الاباضية والصفرية السياسي والاقتصادي المتمركز في سجلماسة وتاهرت، في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، فان درجة الاستثمار والتوغل في الصحراء وما وراءها للخوارج كان

---

[1] البلدان، ص 345 – 359 – 360

[2] صورة الأرض، ص 100

[3] ج. دفيس، "التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا"، ص 429

[4] ج . دفيس، المصدر السابق، ص 429 حاشية 141

[5] نفس المرجع، نفس الصفحة، حاشية 143

[6] نفس المرجع، والصفحة

[7] نفس المرجع، ص 430

[8] نفس المرجع، ص 409

مدهشا. فقد وصلت رحلاتهم إلى غانا القديمة[1] ، واتجروا على طول نهر النيجر مع جـــاو[2] . ومن المؤكد انهم حملوا تجارتهم إلى ما حول بحيرة تشاد[3]. فقد ورث المجتمع الاباضي فـي المغرب النشاط التجاري من اباضية المشرق. ففي خلال النصف الأول مـن القـرن الثـالث الهجري/ التاسع الميلادي، كان نشاط الاباضية في شمال افريقيا يدار من الرئاسة في البصرة، جنوب العراق، وهناك ضم المجتمع الاباضية في عضويته تجار اثرياء ذوي علاقات تجارية واسعة. وعندما اضمحلت البصرة ووقع الاباضية تحت الضغط المتزايد مـن قبـل الخلافـة العباسية، هاجر التجار الاباضية إلى المغرب، وسجل القرن الثالث والرابع الهجري / التاسـع والعاشر الميلادي وجود تجار من البصرة والكوفة وخراسان في زويلة وتاهرت وسجلماسة[4]. احضروا معهم رؤوس الاموال والخبرة التي استخدموها بنجاح في السـيطرة علـى التجـارة العابرة للصحراء[5].

تعرض بربر الساحل، والذين يعيشون في الجبال من ورائهم، للهزيمة، مؤقتا، من قبـل القوات العربية الاسلامية من دمشق وبغداد في القرنين الأول والثاني الهجريين[6]، الا انه لـم يمر طويل وقت حتى استعادوا سيطرتهم على شبكة الطرق التي تعبر الصحراء. ومن قواعدهم الشمالية التي تنتهي عندها تلك الطرق، ومراكزهم الداخلية، واصلوا نشاطهم التجاري التقليـدي. تنظيم الحكام الاباضية لاتصالات عبر صحراوية منتظمة امر يشير إليه وجـود الذهـب فـي افريقية[7]. كما يشير إليه نص ابن حوقل[8] القائل " بين المغرب والبلدان التي قدمت ذكرها و بلد السودان مفاوز وبراري.. سالكها في حينه متصل السفر دائم الورود والصدور"

مشاركه الخوارج الصفرية في تجارة الصحراء بدأ مع إنشاء مدينة سجلماسة في واحـة تافيللت بواسطة مجموعة من بربر مكناسة[9]. قامت دولة بني مدرار منذ نشأتها (140هـ/757م)، ومن حاضرتها سجلماسه، بعبء تجارة العبور لقوافل الصحراء . واشتهرت كحلقة وصل بين

---

[1] البكري، المغرب، ص149 ؛ الادريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 16

[2] ابن سعيد الجغرافيا، ص 126 ؛ابن خلدون، العبر، جـ 6 ، ص 185

[3] اليعقوبي، البلدان، ص 345 ؛ B.G. Martin , "Kanem, Bornu, & Fezzan", P. 17

[4] نفس المصدر ، ص 345 ؛ابن حوقل، صورة الأرض، ص 61

[5] ابن الصغير المالكي، تاريخ ائمة الدولة الرسمية، باريس 1958 ، ص 12-13 ؛
Levtzion, "The Sahara & Sudan", P. 641

[6] ابن عذاري، البيان المغرب، جـ 1 ص 58 – 59 – 73 ؛الناصري، الاستقصاء، جـ 1 ص 115

[7] ج. دفيس، "التجارة والطرق التجارية في غرب افريقيا"، ص 418

[8] المصدر السابق، ص 103

[9] البكري، المصدر السابق ، ص 148 – 149؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ص 156

بلاد المغرب وبلاد السودان[1] ، تمر بها معظم قوافل التجارة القادمة من المراكز المختلفة المتجهة إلى بلاد السودان أو القادمة منها . حركة القوافل لا تنقطع عنها "مع تجارة غير منقطعة منها إلى بلاد السودان"[2]. واحتلت طبقة التجار فيها مكانة مرموقة لغناها، الشئ الذي اشار إليه معظم المؤرخين[3]. ولاهل سجلماسة جرأة على دخول بلاد السودان رغم صعوبة المسالك[4] ، وتعتبر سجلماسة هي المدخل إلى بلاد غانا/ارض الذهب[5] . وبسبب اتصالها الوثيق بتجارة الصحراء واستجلاب الذهب اصبحت مركزا لتجارته وبابا لمعدنه[6]. وصفها اليعقوبي[7] بقوله "يقال ان الذهب يوجد بها كالنبات ويقال ان الربح تسفيه". ذكر البكري[8] "إن من غرائبها ان الذهب عندهم جزاف عدد بلا وزن والكراث يتبايعونه وزنا لا عددا". كما وصف ياقوت[9] ذهاب تجارها إلى بلاد السودان حاملين العروض المختلفة.

وبفضل التجارة تحولت سجلماسه من قرية صحراوية إلى حاضرة في عهد حاكمها اليسع ابن أبي القاسم(170-208هـ/ 786 -823م) وواصلت ازدهارها في عهد ابنه مدرار ، بفضل نمو تجارتها الذي نجم عن مصاهرته للرستميين اصحاب تاهرت[10].

اعتمدت دولة بني مدرار في دخلها على الضرائب الموضوعة على القوافل الصادرة والواردة من بلاد السودان، وهو دخل قدره ابن حوقل[11] باربعمائة الف دينار، وهو مبلغ يساوي نصف دخل المغرب مجتمعا في ذلك الوقت. قصة الشيك الذي قيمته اثنان واربعون

---

[1] الاصطخري، مسالك الممالك، ص 39 ؛القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، ص 42

[2] ابن حوقل ، صورة الارض، ص 99؛ المقدس، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ،ص 231

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 61 ؛ ياقوت، معجم البلدان ،جـ 3 ص 92؛ القزويني، المصدر السابق، ص 42 ؛ليون الافريقي، وصف افريقيا ، جـ 2، قسم 6، ص 126 – 127

[4] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 103؛ الاصطخري، المصدر السابق، ص 39؛ البكري ، المغرب، ص 148- 149

[5] الادريسي، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص 16 ؛الشريش ا،حمد عبد المؤمن، شرح مقامات الحريري، عن الناصري، الاستقصاء، جـ 5 ،ص 99 – 100

[6] مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار، ص 202 ؛ المقدسي،المصدر السابق، ص 231 ؛لسان الدين الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ص 138 حاشية (2)

[7] البلدان، ص 359

[8] البكري، المصدر السابق، ص 151

[9] معجم البلدان، جـ 3، ص 192؛ ليون الافريقي، المرجع السابق، ص 126

[10] ابن عذاري، البيان المغرب، جـ 1، ص 157 .

[11] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 100

الف دينار[1] فيه توضيح لمدى حجم التجارة التي كانت تدار من سجلماسه وقد حافظ المدراريون على هذه العلاقات التجارية مع بلاد السودان حتى سقطت دولتهم على يـــد الفــاطميين ســنة 296هـ الموافق 908م[2].

الدولة الرستمية كان لها دور كبير في توسيع وتنشيط التجارة بين بلاد المغـــرب وبــلاد السودان . فمنذ تاسيسها على يدي عبد الرحمن بن رستم (161هـ/777م)[3] سيطرت على كل الحزام الجنوبي لافريقية[4]، من تلمسان في الغرب، إلى تونس في الشرق[5]. استثمرت الدولـــة موقعها الممتاز في تنمية التجارة مع بلاد السودان فقد كانت كل مداخل الصحراء تحت اشرافها. عمل امرؤها على تعبيد الطرق ، وحفر الآبار لتوفير المياه وارسلوا الجند صحبـــة القوافـل لاجتياز المراحل الصعبة داخل الصحراء[6].

جذب ثراء تاهرت الاباضية من كل اجزاء المغرب الأخرى ومن المشـــرق الإســلامي، كما جذب المسلمين من غير الاباضية واليهود "اقاموا بينهم لاداء إمامها الجدير بالثناء وعدلـــه بين رعاياه .. والأمن على النفس والممتلكات .. الطرق إلى ارض السودان ولكل بلدان الشرق والغرب اخضعت لاغراض التجارة وكل انواع البضائع"[7]. حتى الائمة انفسهم عملوا بالتجــارة مع بلاد السودان مثل الامام عبد الوهاب بن رستم وابنه افلح[8].

نشطت القوافل بين ورجلان[9] اكبر مراكز الدولة الرستمية، وتادمكة[10] ويظهر هــذا فـــي ثراء ورجلان بفضل ما كان يتدفق عليها من اموال بسبب تلك التجارة . ينعكس هــذا الـــثراء على سائر مدن الدولة الرستمية، خاصة حاضرتها تاهرت، التي نمت وازدهرت بصورة لفتت الانظار في القرنين الثاني والثالث الهجريين / الثامن والتاسع الميلاديين، حتى اطلق عليها اسم

---

[1] ابن حوقل، صورة الارض، ص 61 – 99

[2] البكري، المغرب، ص 150 ؛ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 173

[3] ابن عذاري، البيان المغرب، جـ 1 ص 196

[4] انظر الخريطة الملحقة، ص 201

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 185؛ سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، جـــ 2، ص 489

[6] محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، جـ 2 ،ص 347

[7] ابن الصغير المالكي، تاريخ ائمة الدولة الرستمية، ص 12 – 13

[8] انظر اعلاه، ص 58 ؛ سعد زغلول، المرجع السابق، ص 499

[9] انظر ادناه، ص138

[10] البكري، المصدر السابق، ص 182؛ ليون الافريقي، وصف افريقيا، ص 135 لتعريف تادمكة انظر ادناه، ص128

"عراق المغرب" لاحتلالها مكانا بارزا بين امصار المغرب واصطخابها بمختلف الملل والنحل والاجناس[1]. ومن اثريائها من ابتنى سوقا خاصا مثل ابن وردة الفارسي[2]. ادى ازدهار التجارة داخل المدينة لازدياد ارتباطها ببلاد السودان لدرجة ان ادارة المدينة استخدمت المترجمين من السودان تسهيلا لاعمال التجار وتوثيقا لعلاقاتها ببلاد السودان[3].

بسيطرة امامة تاهرت على الاماكن التي تقطنها قبائل هوارة ذات النشاط التجاري[4] امنت قوافلها إلى بلاد السودان، سواء ان عبر زويلة وجبل نفوسة إلى تادمكة عبر الصحراء الوسطى أو عبر سجلماسه التي ارتبطت مع حكامها بالمصاهرة على امل ان ينالها نصيب من تجارة الطريق الغربي المتنامية[5].

اعتمدت الدولة الرستمية في دخلها على تجارة السودان وبسبب تلك التجارة نما اقتصادها بسرعة ادهشت وفد البصرة الذي قدم على الامام الرستمي لتقديم العون له لدعم دولته الناشئة، فهالهم التطور والعمران الذي طرأ على المدينة "تنوعت الالبسة وتعددت اللغات والازياء ورأوا ما لم يخطر ببال ولا شاهدوه في مجيئهم الأول"[6] . فقد اصبحت تاهرت مدينة عالمية وسوقا دولية.

لم تتعرض المصادر كثيرا لدور دولة الادارسة (172هـ - 313 هـ / 788 - 925م)[7] في علاقات بلاد المغرب الاقتصادية مع بلاد السودان. غير انه يبدو انها كانت لها دور في إنعاش اقتصاد المغربيين الاوسط والاقصى حتى اصبحت مدينة فاس، حاضرة الدولة ، تسمى

---

[1] البكري، المغرب، ص 69 ؛ اليعقوبي، البلدان، ص 353؛ لسان الدين الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ص 62، حاشية 1

[2] ابن الصغير المالكي، تاريخ ائمة الدولة الرستمية، ص 27 ؛السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، ص 491؛ سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، جـ 2، ص 342

[3] محمد عبد الهادي شعيرة، المرابطون، تاريخهم السياسي، مكتبة القاهرة الحديثة 1969، طبعة اولى، ص 24 – 25 عن احمد الياس حسين، "العلاقات بين مملكة غانة والمغرب العربي"، ص 94

[4] ابن خلدون، العبر ،جـ 6، ص 185

[5] ابن عذارى، البيان المغرب، جـ 1، ص 57؛ ج. دفيس، "التجارة والطرق التجارية في غرب افريقيا"، ص 419

[6] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 13؛ السيد عبد العزيز سالم، المصدر السابق، ص 493/491

[7] البكري، المسالك والممالك، ص 811 ؛ابن عذاري المصدر السابق، ص 213 – 214 ؛ ابن خلدون المصدر السابق، جـ 6 ،طبعة بيروت، ص 135

"مدينة افريقية العظمى"[1] ، التي يختلف منها إلى جميع الافاق[2]. فموقع دولة الادارسة[3] الممتاز وسيطرتها على بعض الاماكن التي تعتبر مراكز تجارية هامة منذ القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي مثل اغمات ونفيس ودرعة[4] يجعلنا لا نستبعد اشتراك الادارسة الفعلي في تجارة الصحراء رغم اهمال المصادر التعرض لمثل ذلك النشاط.

بفضل نشاط الاغالبة (184 - 296هـ/800 - 908م) وعملهم على ازهار النشاط الاقتصادي في افريقية، اصبحت القيروان اهم مركز تجاري في الشمال الأفريقي على المستويين الداخلي والخارجي . فعبر اراضي الدولة الرستمية . قامت دولة الاغالبة بدورها في تطوير تجارة الصحراء ، فكانت القيروان هي المحطة الوسطى للطريق الشرقي[5]. وبتأمين الاغالبة لشبكة الطرق المارة بالقيروان زاد نشاط اسواقها[6]، بفضل ما كان ياتيها من خيرات بلاد السودان ، من ذهب وعاج ورقيق . وصفها الادريسي[7] بقوله "ام امصار وقاعدة اقطار كانت اعظم مدن المغرب قطرا واكثرها بشرا وايسرها اموالا واوسعها احوالا واتقنها بناء وانفسها همماً واربحها تجارة واكثرها جباية وانفقها سلعة وانماها ربحا.." كل ذلك بفضل اتجارها مع بلاد السودان وتوفر الذهب في ايدي حكامها، الشئ الذي ايدته الدلائل الاركيولوجية فقد عثر على دنانير اغلبية على درجة عالية من النقاوة[8]. الصلة الوثيقة ببلاد السودان يعكسها اهتمام حكامها بشئون تجارة السودان فعلى الرغم من انه كان متوقعا ان يشكل الاباضية حاجزا سياسيا وايديولوجيا أمام نُفاذ الاغالبة ناحية الجنوب، غير انه لم يثبت قط،على الرغم من احتكارهم التجارة على الطرق الصحراوية، ان عزلوا افريقية عن امدادات ذهب الجنوب[9].

---

[1] اليعقوبي، البلدان، ص 358

[2] البكري، المغرب، ص 115

[3] انظر الخريطة الملحقة ص201

[4] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 360؛ البكري، المصدر السابق، ص 153-154 ؛ لسان الدين الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ص 204

[5] الاصطخري، مسالك الممالك، ص 29

[6] ابن الاثير، الكامل، جـ 6 ،ص 5

[7] وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص 80 ، انظر أيضا ابن حوقل، صورة الأرض، ص 97/96

[8] ج. دفيس، "التجارة والطرق التجارية في غرب افريقيا" ص 417

[9] في سنة 225هـ الموافق 839 م استطاع امراء الاغالبة السيطرة على اقليمي قفصة والجريد فشطروا بذلك املاك الاباضية إلى قسمين إضافة إلى ماعقد بين الجانبين من هدنات. ابن =

تظهر الادلة الاركيولوجية المبنية على فحص ما عثر عليه من عملات اغلبية، ان صلة افريقية الاقتصادية ببلاد السودان كانت في تطور مستمر. فقد تبين من التصنيف الزمني لها ان اقلها نقاء كان في نهاية القرن الثاني الهجري/ بداية القرن التاسع الميلادي. واستمرت نسبة النقاء في الارتقاء حتى بلغت مائة بالمائة في بداية القرن الثالث الهجري / منتصف القرن التاسع الميلادي[1] وحافظت على جودتها وسلامة وزنها طوال فترة حكم الاغالبة فيماخلا فترة الاخير منهم، زيادة الله الثالث (290 - 296هـ/902-908م)[2] . وكان مجتمع القيروان مجتمعا تجاريا حتى ان قاضي القيروان، سحنون[3] ،لم يكن بأخذ شيئا من ايدي الحكام تورعا لان كسبه كان ياتي من بلاد السودان[4].

جنوب منطقة بلاد المغرب الساحلية، وفي الجهة الشرقية منها، ادى البربر الاباضية دورا كبيرا في تنمية وتطوير تجارة الصحراء عبر الطرق المؤدية إلى منافذ ولايتي افريقية وطرابلس. وبذلك كان البربر الاباضية المنشقون من وجهة النظر الدينية مندمجين تماما من الناحية الاقتصادية مع بقية سكان المغرب الإسلامي. ففصل السياسة عن التجارة كان شيئا مميزا لشمال افريقية وكانت تعقد الهدنات المنتظمة من اجل استمرار التجارة[5]. وقد مكنهم وضعهم المتميز في علاقاتهم مع بلاد السودان من الاضطلاع بدور حلقات الوصل داخل تجمع بربري - عربي كبير، امتد حتى الصحراء الجنوبية.

الاباضية في وادي ريغ، ورجلة، غدامس وزويلة قاموا بتنظيم رحلات بعيدة إلى مختلف نواحي السودان بالتعاون مع اباضية بلاد الجريد وتجار جبل نفوسة . فعبر واحة أو جيلة يمكن

= عذاري، البيان المغرب، جـ 1، ص 95 ؛ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 185 ؛الرقيق القيرواني، تاريخ افريقيا والمغرب، ص 173

[1] ج. دفيس، "التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا"، ص 417، حاشية 80

[2] ابن عذاري، البيان المغرب ص 134؛ لسان الدين الخطيب ،تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ،ص 37 ؛ سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ص 498

[3] ابو سعيد سحنون بن سعيد (160-240هـ) كان اسمه عبد السلام فغلب عليه اسم سحنون، انتشرت امامته بالمشرق والمغرب وسلم له الامامة اهل عصره واجمعوا كلهم على فضله ، المالكي، رياض النفوس، ص 249 وما بعدها ،ابن عذاري، المصدر السابق، ص 109 وما بعدها.

[4] القاضي عياض ، تراجم اغلبيه مستخرجه من مدارك القاضي عياض، تحقيق محمد الطالبي ، تونس 1968 ص 126 ، عن احمد الياس حسين "العلاقات بين مملكة غانة والمغرب العربي" ،ص 98 ، المالكي ، المصدر السابق، ص 257

[5] ليون الافريقي، وصف افريقيا، جـ 1 ،ص 144

الوصول إلى منطقة كوار وكوكو من بلاد السودان[1]. إلى الجنـــوب مـــن غدامـــس، المدينـــة الصحراوية التي لعبت دورا هاما في تجارة الصحراء، يقع مركزاين هامين لهما دور بارز في تطوير وتنظيم العلاقات الاقتصادية بين بلاد المغرب وبلاد السودان: الأول تمثلـــه مجموعـــة واحات فزان، تبستي وكوار. فزان، معروفة لدى المسلمين منذ القرن الأول الهجري / السابع الميلادي عندما دخلها عقبة بن نافع[2] وشهرتها التجارية تحدث عنها اليعقوبي[3]. منـــها اتجـــر البربر الاباضية مع الجنوب، في كوار، في الرقيق الذي كان يجلب من الزغاوة[4] وغيرهم. النشاط الرئيسي للفزانيين هو التجارة العابرة للصحراء، اذ تمثل هذه المنطقة، بعد النيل، اهـــم قناة للربط ببلاد جنوب الصحراء[5]. إلى الجنوب من جبال تمو التي تمثـــل الحـــدود الجنوبيـــة لفزان، هناك سلسلة من الواحات التي تسهل عملية الاتصال بكانم، ونسبة لان منطقـــة فـــزان تفتقر إلى الثروات القومية فهي تعتمد كلية في اقتصادها على تجارة الصحراء[6]. استقرار قبائل هواره بالمنطقة منذ 143هـ الموافق 760م واتخاذهم زويلة مركزا لهم[7] اثرى العمل التجاري.

المركز الثاني كان إلى الغرب من مجموعة فزان، وهو مرتفعات الاير[8]. يعتمد دخـــل سكان المنطقة على حيوانات الحمل كما اورد العمري[9] وفي هذا اشارة إلى اهمية الطوارق فى ترحيل تجارة الصحراء. تجارة النحاس، التي ازدهرت في القرن الخامس الهجري/ الحـــادي عشر الميلادي في تاكده قد نشطت التجارة بين منطقة الاير وبلاد السودان[10].

اكثر مواطن الاباضية عمرانا وازدهارا، خارج تاهرت، كان جبل نفوسة الـــذي اثـــرى تجاره ونافسوا تاهرت في النشاط الاقتصادي إلى قلب الصحراء وحتى بلاد السودان[11].

---

[1] الادريسي، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص 99

[2] ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص 229 ؛البكري، المغرب، ص 10؛ البـــلاذري، فتـــوح البلدان، ص 265

[3] البلدان، ص 345

[4] البكري، المصدر السابق، ص 11؛الاصطخري ، مسالك الممالك، ص 40

[5] T. Lewicki, "The Role of the Sahara & Saharians in relations between North & South", P. 290.

[6] Habib wadaa ElHesnawi, Fezzan under the Rule of Awlad Muhammed,, P. 25 - 26 Ibid;

[7] ابن خلدون، العبر، جـ 6 ،ص 185 – 187

[8] الاسم القديم لها ازبن (اسبن) كتبت بشكل اهير ،وهير، البكري، المصدر السابق، ص 183

[9] H.J.Fisher "The Eastern Magrib & Central Sudan", P. 262

[10] ابن بطوطة، مهذب رحلة ابن بطوطة، جـ 2 ص، 320

[11] اليعقوبي، المصدر السابق ، ص 345 ؛ سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ص 501

نستخلص مما سبق ان دول المغرب المستقلة الاربعة قد عملت على تطوير التجارة مـــع بلاد السودان، بعنايتها بشئون القوافل وتامينها لطرق الصحراء، مما ترتب عليه زيـــادة فـــي الدخل، نمو للمدن، اتساع للاسواق وانتعاش في الحـــرف والصناعـــات. كمـــا ان ازدهـــار جماعات البربر في صحراوات المغرب ما بين المحيط والنيل يؤكد ان العلاقات الاقتصاديـــة بين الجانبين كانت قد سارت في طريق التطور والنماء بنهاية القرن الثالث الـــهجري/ بدايـــة القرن العاشر الميلادي.

سقوط دويلات المغرب المستقلة في يد الفاطميين لم يؤثر سلبا على علاقات بلاد المغرب التجارية مع بلاد السودان. فقد عمل الفاطميون منذ بداية عهدهم (296هـ/909م) على تنشيـــط العلاقات الاقتصادية بين الجانبين. نظامهم المالي وضع لتحقيق اهداف ايديولوجيـــة سياســـية واقتصادية معينة[1] وسخرت السياسة المالية للفاطميين في الفترة المغربية لتحقيق تلك الاهـــداف فاستعملوا كل السبل والوسائل لجمع الاموال[2].

نسبة لبداية سلسلة من الانتفاضات ضد الحكم الفاطمي في المغرب[3] ،فقد اســـتلزم ذلـــك منهم إنشاء قوة مالية وعسكرية قادرة على تدعيم اسس النظام في بلاد المغـــرب مـــن جهـــة، والتجهيز للحملات العسكرية على المشرق من جهة اخرى. كل ذلك جعل النشاط التجاري اهم نقطة في السياسة المالية الفاطمية . ويرجع الفضل في نجاح سياستهم الماليـــة إلـــى توثيـــق علاقاتهم ببلاد السودان باعتباره موردا ثريا لجلب الاموال. فعملت الدولة على السيطرة علـــى المغربيين الاوسط والاقصى، فاستولت على تاهرت وسجلماسة نظرا لاهميتهما في التحكم فـــي تجارة الصحراء، تجارة الذهب بصفة خاصة. ومما يظهر اهتمامهم بالتجارة وشئونها تنظيمهم الحياة الاقتصادية في مدينة القيروان بانشاء حي القاسمية التجاري ثم بناء اسواق المهدية[4].

نظم الفاطميون التجارة العبر – صحراوية على اسس لم تعهد من قبل، وقد اكدت نتـــائج البحوث الاركيولوجية في اوداغست هذا الراي . فقد عثر فيها على اوزان زجاجية تعود كلـــها إلى العصر الفاطمي . وكان تاريخ وصولها إلى اوداغست متفقا مع تاريخ بلوغ تلـــك المدينـــة اوج نشاطها الاستيرادي وذروة نموها الحضري، وعليه فليس مما يثـــير الدهشـــة مـــا اورده

---

[1] كان هدف الفاطميين اخضاع العالم الاسلامي لرايه خلافتهم، ولم يكن حكم المغرب الا مرحلة اولى لتحقيق ذلك الهدف. الحبيب الجنحاني، "السياسية المالية للدولة الفاطمية في المغرب"، ص 46

[2] ابن عذاري ، البيان المغرب، جـ 1، ص 158

[3] نفس المصدر، ص 155 – 156 – 160 – 163

[4] ابن حوقل، صورة الأرض، ص 71 – 96 – 99 ؛الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص 58

المهلبي[1] في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي من ان اهل اوداغست قد اعتنقوا الاسلام في عهد المهدي عبيد الله.

بسقوط تاهرت في ايدي الفاطميين خرج اباضيتها إلى ورجلة[2] ، فكانت نهاية امامة الاباضية ، غير ان المجتمعات الاباضية ظلت قائمة تعمل. مارسوا نشاطهم التجاري علي كل الطرق الهامة في الصحراء، وبعلاقات مباشرة مع بلاد السودان استقر الاباضية في ثلاث مدن تجارية، زويلة، تادمكة واوداغست، ولهذا واجه الفاطميون صعوبة في شق طريقهم عبر ورجلة تادمكة - أي عبر طريق الاباضية إلى بلاد السودان. لذلك فقد جعلوا الطريق الغربي سجلماسة واوداغست - غانا هو طريقهم إلى تلك البلاد[3]. وسعى الفاطميون حثيثا لابعاد اموي الاندلس عن ذلك الطريق[4]. ووارد الربط بين سيطرة الفاطميين على الطريق الغربي بين سنتي 339هـ الموافق 950م و 361هـ الموافق 971م وبين تجميع تلك الثروة الضخمة في خزائن المعز. وتتبدي هذه الثروة في المبالغ الضخمة التي حملها قائده جوهر الصقلي في حملته لفتح مصر في سنة 358هـ الموافق 968م، والتي بلغت اربعة وعشرون الف دينار[5]. كما ان الثروة الذهبية التي حملها المعز إلى مصر (362هـ الموافق 972م) تقيم الدليل على ادراك الفاطميين لخطورة السيطرة على مسالك تجارة الذهب[6]. واستمرت سيطرة الفاطميين على الطريق الغربي حتى بعد انتصارهم على أبي يزيد، وطالما بقوا في افريقية[7].

---

[1] ج. دفيس، "التجارة والطرق التجارية في غرب افريقيا"، ص 437

[2] ابن عذاري، البيان المغرب، ص 154؛ محمد بن تاوت، "دولة الرستميين اصحاب تهرت"، صحيفة الدراسات، الاسلامية مدريد العدد 2/1مجلد5 ، 1957، ص 127 ؛ سعد زغلول / تاريخ المغرب العربي، جـ 2 ، ص 397

[3] انظر الخريطة الملحقة ص 205؛ الحبيب الجنحاني، "السياسة المالية للدولة الفاطمية في المغرب" ص 59؛ ج.دفيس، المرجع السابق ، ص 437

[4] حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 77؛ الحبيب الجنجاني، المصدر السابق، ص 58 - 59؛ ج. دفيس، المرجع السابق، ص 432

[5] الحبيب الجنجاني، المرجع السابق، ص 59

[6] المقريزي، الخطط، جـ 2 ،ص 205 ؛ لسان الدين الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ص 59

[7] ج. دفيس، المرجع السابق، ص 437، حاشية 167

الدليل المادي على استفادة الفاطميين من الذهب السوداني هـو ما اثبتته الفحوص المختبرية من ان نقودهم التي سكت في فترة بقائهم في المغرب قد سكت من ذهب سوداني[1] الشئ الذي لا ينطبق على دنانيرهم التي سكت في مصر[2].

تصدير ذهب السودان إلى الامويين في الاندلس كان احد اسباب المنافسة الحادة بين بلدان المغرب للسيطرة على المنافذ المؤدية لبلاد السودان. وقد كانت الحاجة إلى الذهب من الشدة بحيث بلغت نفاذية الحدود درجة كبيرة فقد شهد القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي استجلاب اموي الاندلس لمقادير كبيرة من الذهب السوداني بغرض سك النقود[3] حتى بلغ الامر بعبد الرحمن الأموي خليفة قرطبة ان يبعث في سنة 319هـ الموافق 931م باسطول لحماية الطرق التجارية المؤدية إلى بلاد السودان[4]. وشهد عام 378هـ الموافق 988م دنانير سكت في سجلماسة لحساب الامويين[5]. قصة الامويين مع الذهب كانت قصيرة الامد، ولكن اهميتها جاءت من مساهمتها في الابقاء على ضغط ارتفاع الطلب على الذهب السوداني وبالتالي في تطور وازدهار التجارة عبر الصحراوية[6].

الصراع بين الفاطميين واموي الاندلس على الطريق الغربي إلى بلاد السودان ادى إلى نشوب الحرب بين صنهاجة وزناتة الشئ الذي كان له اثره على تجارة السودان. وخسر المغرب الأقصى بتحول طرق التجارة عنه نحو الشرق، ناحية المغرب الاوسط، وسيطرت اسرة بني حماد[7] على النشاط التجاري عبر الصحراء الوسطى إلى بلاد السوان. ومما احكم

---

[1] ج دفيس، "التجارة والطرق التجارية في غرب افريقيا"، ص 438

[2] الدنانير التي سكت في مصر تحتوي على نسبة اعلى من النحاس تفوق التي تحتويها اذا ما سكت من ذهب سوداني. هذا التغيير حدث سنة 436 هـ الموافق 1047م بعد انشقاق بنوزيري عن الفاطميين؛ ج. دفيس، [illegible] ص 438 حاشية 170

[3] عرفت العملة المسكوكة من الذهب في قرطبة باسم (المنكوس) من المصدر نقش اسم المفعول منقوش ج. دفيس، "المرجع السابق" ،ص 439.

[4] ابراهيم طرخان، دولة مالي الاسلامية، ص 138

[5] ج. دفيس، المرجع السابق ص 439

[6] نفس المرجع ص 440 – 442 ؛ Levtzion, "The Sahara & Sudan", P. 647

[7] كان المنصور بن بلكين قد عقد لاخيه حماد على اشير والمسيله، فاستغل بها في 387هـ الموافق 997م واختط مدينة القلعة بجبل كتامة في سنة 398هـ الموافق 1007م التي اصبحت دار ملكهم وعرفوا بها. واصبحت قلعة بني حماد تمثل الجزء الغربي من الدولة الصنهاجية إلى ان سقطت على يدي الموحدين في سنة 558هـ الموافق 1162م . ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 210 – 227 – 236 ؛ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ص 76 – 85

سيطرتهم عليه استيلاؤهم على ورجلة[1].

في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي كانت الاسرة الصنهاجية بشقيها: الشرقي، تحت حكم بني زيري[2] ،والغربي تحت حكم بني حماد، هي المسيطر على تجارة السودان . وشهد النصف الثاني من نفس القرن تغييرا جذريا في احوال بلاد المغرب الاقتصادية، وذلك بسبب دخول القبائل البدوية إليه من جهتي المشرق والمغرب. فلما انساق ملك صنهاجة بالقيروان إلى المعز بن باديس بن المنصور (406 - 454 هـ/1015 - 1062م)[3] عمل على القضاء على مذهب الشيعة واعلن في سنة 440هـ الموافق 1048م[4] انضمامه للدولة العباسية فاوغر صدر الفاطميين عليه وحملهم على التفكير في الانتقام منه فاهتدوا لتسليط بداة العرب عليه[5]. وكان لدخول العرب من بني هلال وبني سليم إلى بلاد المغرب نتائج على الوضع السياسي والاقتصادي في افريقية والمغرب الاوسط.

يعتبر بعض المؤرخين دخول بني هلال وبني سليم بلاد المغرب كارثة اقتصادية عليه[6] ، بصفة عامة، وعلى افريقية بصفة خاصة. فهناك وجهة النظر التي تقول انه ادى إلى تحول افريقية من الغنى إلى الفقر، وذلك بقطعهم الطرق التجارية إلى بلاد السودان[7]، فحرموها بذلك من ذهب السودان، وساقوا دليلا على ذلك اختفاء العملة الزيرية في سنة 459هـ الموافق 1066م[8] . وفي هذا الراي اشارة إلى ان افريقية كانت تعتمد في اقتصادها على تجارة السودان، الذهب بصفة خاصة . وان وفرة الاحتياطي من الذهب بها فيما قبل سنة 442هـ الموافق

---

[1] ابن خلدون،العبر ، ص 231

[2] عندما رحل الفاطميون إلى مصر استخلفوا على المغرب بلكين بن زيري الصنهاجي وكنيته ابو الفتوح، لتكون مملكته في المغرب حصنا لمملكتهم في المشرق، ولتحول افريقية بينهم وبين زناتة الموالين لبني امية في الاندلس. وكانت الدولة الصنهاجية تمثل العبيديين (الفاطميين) في المغرب، الا انها كانت ذات النفوذ الفعلي والمباشر. ابن عذاري، البيان المغرب جـ 1 ص 238 ؛ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ص 61 فما بعد

[3] كنيته ابو تميم ولقبه شرف الدولة. تولى امر افريقية سنة 406هـ الموافق 1015م، ابن عذاري المصدر السابق، ص 267 – 295 ابن الخطيب المصدر السابق، ص 73

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، ص 277 ؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 73 حاشية (2)

[5] التجاني، الرحلة، ص 17 - 22

[6] ابن خلدون،المصدر السابق، جـ 6 ص 19 ،

Bovill, The Golden Trade of the Moors, P. 59

[7] ابن الاثير ، الكامل، جـ 9، ص 567

[8] M.,Brelt, "Africquia as a market for Saharan, Trade from the X to XII Centuries" J.A.H., vol X, 1969, P. 348

Scanned by CamScanner

1050م ادى إلى اهمال الزراعة وبالتالي إلى عدم الانتاجية الزراعية الوافية. وهذا شئ عكسته الفتاوي الواردة عند الونشريش[1] والتي يفهم منها انه منذ الربع الاخير من القرن العاشر الميلادي / النصف الثاني من القرن الرابع الهجري كانت افريقية تصدر ذهب السودان إلى صقلية وتستورد مقابله الحبوب. فافريقية كانت تعتمد على ذهب السودان لتموين سكان اكبر من امكاناتها الزراعية، وان التجارة اكثر من الزراعة هي سمة الاقتصاد فيها. وباضطراب الوضع وانعدام الامن بسبب القادمين الجدد خلت المدن من سكانها وحدث تغيير كبير في الوضع الاقتصادي[2].

اصحاب وجهة النظر الأخرى من المؤرخين لا يعزون التدهور الاقتصادي الذي اصاب افريقية في تلك الحقبة إلى غزو بني هلال وسليم بل يرون له اسباب اخرى، ولهم دليل مادي على ذلك، خطابات حررها تجار يهود في تونس تتحدث عن انحطاط التجارة بين سنتي 421هـ الموافق 1030م - 432هـ الموافق 1040م في بلاد المغرب[3]. فضلا عن انه ليس هناك دليل على ان منطقة بلاد الجريد لم تعد تعمل كبوابة لافريقية في طريق بلاد السودان. كما يرون ان جبل نفوسة قد استطاع استعادة رخائه ويستندون في ارائهم تلك على ان الصورة العامة التي قدمها الادريس في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي تعطي الانطباع بالحد الادنى للتدخل الهلالي في تنظيمات الحياة الاقتصادية. فالطرق التي هدد البدو آمنها، قد هجرت وسلكت القوافل إلى بلاد السودان الطريق الغربي المحاذي لساحل المحيط الاطلنطي، البعيد عن متناول ايديهم، وانتقلت التجارة بذلك إلى المغرب الأقصى[4] وسواء ان صح هذا الراي أو ذاك فهناك حقيقة لابد من اثباتها وهي انه بسبب غزو بني هلال وسليم لبلاد المغرب قد انتهت السيطرة الاباضية على مناطقها التقليدية في الشمال الأفريقي[5].

اقتصاد المرابطين يمثل المرحلة الاخيرة من الفترة التي نحن بصددها، وربما كانت اهمها في تاريخ الاتصالات عبر الصحراوية، حيث وصلت التجارة إلى قمة جديدة. وقد تركز

---

[1] احمد بن يحي الونشريش، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والاندلس والمغرب تحقيق محمد حجي، جـ 6، 1981 ؛

عن M.,Brelt, "Africquia as a market for Saharan, Trade from the X to XII Centuries" J.A.H., vol X, 1969, P. 348

[2] Martin, "Kanem, Bornu & Fezzan", P. 19 Brett; "Afriquia as a market for saharan Trade", P. 361

[3] انظر في هذه الاسباب ج. دفيس، التجارة والطرق التجارية في غرب افريقية" ص 439 حاشية 172

[4] Brett, OP.Cit., P. 361

[5] Ibid, P. 361; Martin, "Kanem, Bornu & Fezzan", P. 19

نشاطهم في المغرب الأقصى. والمرابطون اكثر من أي اسرة حاكمة اخرى في بلاد المغرب كانوا قادرين على حماية تجارة الصحراء بجمالهم. فقامت اسواق جديدة في المغرب الأقصى مثل اغمات، المدينة التجارية بالقرب من مراكش، التي يصف الادريسي[1] نشاطها التجاري بقوله "اهلها.. املياء تجار مياسير يدخلون إلى بلاد السودان باعداد الجمال الحاملة لقناطير الاموال.. وما من رجل يسفر عبيده ورجاله الا وله في قوافلهم المائة جمل والسبعون والثمانون جملا كلها موقرة".

ومن العوامل التي كان لها اثر كبير في تنشيط التجارة هو ان دولة المرابطين قد الغت المكوس التي كانت قبائل زناتة قد فرضتها على المتاجر التي تسلك اقاليم المغرب الأقصى[2]

الادلة التي بنيت على النقد تشير إلى ان النشاط التجاري قد تركز في المدن الواقعة عند نهايات الطرق العبر - صحراوية مثل سجلماسة، اغمات، نول، لمطة، وكذلك العاصمتين مراكش وفاس، كلها كانت تستقبل ذهب السودان، وقامت بها دور لسك العملة بينما خلا المغرب الشرقي من تلك الدور[3]. وقد ثبت كذلك ان الذهب الذي سكت منه العملة المرابطية هو ذهب سوداني[4]. وقد انفرد المرابطون بالسيطرة على موارد الذهب السوداني لعدم وجود منافس لهم، الشئ الذي جعل عملتهم عملة قوية اقتصاديا حتى قيل ان الدينار المرابطي وصل القسطنطينية وكاد ان يصبح عملة دولية[5] . وهذا دليل ان الامبراطورية المرابطية قد ازدهرت على ذهب السودان.

العوامل الاقتصادية التي اوردها الدارسون للحالة الفريدة التي حدثت في عهد المرابطين من توجه بربر الصحراء شمالا بدلا من التوجه جنوبا على حساب المستقرين من السود[6]. التي كانت سائدة فيما قبل، من اهمها رغبة صنهاجة في استعادة سيطرتها على تجارة الصحراء التي اصبحت في يد قبائل زناتة تديرها من مراكز سجلماسه ودرعة[7] بينما تكتفي صنهاجة بنصيب متواضع من تلك التجارة وهو نقل البضائع من اسواق الجنوب إلى اسواق الشمال[8].

---

[1] وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص 43

[2] ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص 87 عن حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 402 وحاشية (3)

[3] انظر الخريطة الملحقة ص203 ؛ ج. دفيس، "التجارة والطرق التجارية في غرب افريقيا" ،ص 442

[4] نفس المرجع، ص 444

[5] نفس المرجع ،والصفحة وحاشية 190؛ حسن احمد محمود، المرجع السابق، ص 403

[6] ابن الاثير، الكامل، جـ 9 ،ص 259; Levtzion, "The Sahara & Sudan", P. 663

[7] Dela chapelle , Esquisse dune historre desahara, 1930, vol. XI, P. 60

[8] Ibid. , P. 57 - 58

لذلك نجد ان المرابطين اتجهوا شمالا للسيطرة على إقليم الواحات وانتزاعه من زناتة حتى تتم لهم السيطرة على التجارة بين بلاد المغرب وبلاد السودان.

في نفس الفترة الزمنية (القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) نجد ان زويلة الاباضية استمرت في الازدهار الاقتصادي بسبب تطور التجارة الذي كان نتيجة تطور المجتمعات الصحراوية نفسها. واصبحت طرق الشرق - غرب تربط طرق الشمال - جنوب ببعضها. انكلاس عاصمة كوار، لها اتصالات تجارية عن طريق ورجلة بالمغرب الأقصى[1] كما اتصلت ورجلة بالزغاوة باتجاه كوار.

هذه الصورة توضح انه على الرغم من تعرض بلاد المغرب للغزو البدوي من جهتي المشرق والمغرب فان التجارة مع بلاد السودان سارت في طريق الازدهار والنمو، وان كانت القيروان قد تدهورت مكانتها التجارية بسبب الغزو الهلالي، فقد اوجدت بدائل اخرى مثل بجاية[2] في وسط المغرب، التي اصبحت مخرجا لتلك التجارة. وانه ما دامت بلاد الجريد تعمل كما كانت في السابق فانه يبدو جائزا ان تستمر افريقية نفسها تعمل كسوق للتجارة حتى في غياب القيروان القديمة[3]. كل ما هناك جرى تبدل في الاسواق فازدهرت اسواق المغرب الأقصى وقام عليها تجار مراكشيون، وان مواقع اخرى في عمق الصحراء اصبحت ذات اهمية استراتيجية . واقع الحال يجعلنا نعتقد ان الهلاليين لم يتدخلوا في شئون التجارة ، وانهم قد سمحوا بمرور قوافلها وان الخراب الذي نسب اليهم يبدو انه كان محدودا وفي اماكن ضيقة المساحة على الساحل حول خليج سرت. أما فيما عدا ذلك فان ما حدث في شمال افريقيا من الجزائر وحتى طرابلس على الاقل كان نتيجة احداث اخرى[4].

نمت التجارة عبر العصور، وما يذكره ابن خلدون[5] عن القوافل التي يبلغ عدد جمالها الاثني عشر الفا في احيان كثيرة، والتي كانت تعبر الصحراء عند الحجار، يعطينا فكرة عن كثرة البضائع المنقولة، علما بان هذا طريق واحد من عدة طرق قوافل كانت تحت الاستخدام. كما يعطينا فكرة عن الربح الذي كان يحصل عليه التجار من اسفارهم إلى بلاد السودان. ويقرب لاذهاننا الصورة لعدد التجار العاملين في هذه التجارة.

---

[1] الادريسي، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص 25

[2] مجهول، الاستبصار ، ص 128

[3] Brett, "Afriquia as a market for saharan Trade", P. 363

[4] عزي برت ما جرى في افريقية من خراب للنورمان القبارصة . للمزيد عن الموضوع انظر Brett, OP. Cit,. P. 364

[5] العبر، جـ 1 ،ص 405؛ بازل ديفيدسن، افريقيا تحت اضواء جديدة، ص 154؛ عبد القادر زبادية، مملكة سونغي في عهد الاسبقيين، ص 211

يرجح ان التجارة ازدادت ازدهارا بتوارد البضائع الاوربية على بلاد المغرب، فانضافت إلى بضائع بلاد المغرب التي كانت تحمل إلى بلاد السودان[1]. فالذهب الذي يستورده المغـــرب من بلاد السودان يصدره إلى اوربا[2]. فعادل ذهب السودان ميزان التجارة الذي كان لولاه فـــي صالح اوربا[3] . اذن فان تجارة بلاد المغرب مع بلاد السودان انعشت التجارة بين ضفتي البحر المتوسط الشئ الذي كان له صدى بعيد في داخل افريقيا جنوب الصحراء. ففي الطرف الاخر مد التجار السودانيون الطرق التجارية جنوبا لفتح حقول ذهب جديدة في غابات الاكان[4].

السلع المتبادلة بين بلاد المغرب وبلاد السودان وتنوعها

الاقتصاد الذي يقوم على تجارة عبر المسافات البعيدة ويتولى امره تجار، رهن بوجـــود طلب على عدد معين من المنتوجات النادرة والمكلفة، والتي يتعين قدومها من مناطـــق اخرى.

ولم تصبح التجارة عبر – صحراوية الا بعد ان اصبح الطلب في الشمال مكملا لنظيره في الجنوب. فتجارة خطرة ،عبر مساحات شاسعة، لا يمكن ان يكون لها وجود الا بوجود حـــافز من ضرورات قصوى. فما الذي يمكن ان يحصل عليه كل طـــرف مـــن الاخـــر؟ المصـــادر المكتوبة تمكننا من تكوين فكرة عن المنتجات التي كانت تعبر الصحراء ، والمعلومـــات التـــي يزودنا بها علم الاثار تكشف لنا مشتريات المستهلكين، والاثنان لا يتفقان مع بعضهما في كثير من الاحيان.

بدأ التبادل التجاري بين المنطقتين بصورة بسيطة، البدو المتجولين في الصحـــــــراء والمستقرين على اطرافها كل يسعى لسد احتياجاته. المواد الغذائية ورد ذكرها في المصـــادر كسلع استيراد وتصدير، غير انه تجدر الإشارة الى ان هذه السلع لم تكن عاملاً في ان تصبـــح التجاره عبر – صحراوية . فالتباين الشديد بين ماكولات المنطقتين جعلت الجنوب لا يحتـــاج لاستيراد مواد غذائية من الشمال، وحتى إذا ما كانت له احتياجات فان تلبيتها مـــن المنـــاطق

---

[1] عبد القادر زيادية، مملكة سونغي في عهد الاسيقيين، ص 215 Bovill, The Golden Trade of the Moors, P. 105;

[2] Ibid, P. 106 ؛ عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص 224 ؛ حسن ابراهيم حسن، انتشار الاسلام في القارة الافريقية، ص 98

[3] اثناء الصراع بين العرب والبربر اصبحت مساحات كبيرة من الارض لا تزرع الشئ الذي ادى إلى نقص حاد في الحبوب وفي اخشاب بناء السفن فاتجه المغاربة لسد احتياجاتهم من الشاطئ الشمالي للمتوسط ووجد التجار الاوربيون ترحيبا في الموانى البربرية بعد ان كانت التجارة متوقفـــة بيـــن الجانبين. Bovill, OP.Cit., P. 101

[4] جبريل نياني ،"مالي والتوسع الثاني للماندانغ" ،ص 129 & Levtzion, "The Western magrib & Sudan", P. 369;

الداخلية كان ايسر. كذلك كان تباين الاطعمة وبعد الشقة لا يحفزان أهل الشمال علـــى عبــور الصحراء سعيا وراء الدخن والكولا[1] أو الفلفل[2].

التمور يبدو انها عبرت الصحراء من الواحات في الاتجاهين الشمالي والجنوبـــي، منــذ وقت باكر . وقد سجلت المصادر[3] تصديرها إلى بلاد السودان. وقد اشتهرت كوار بتصديرهــا التمر إلى بلاد السودان[4]. في ناحية الغرب مثلت واحة تافيللت الأراضي الزراعية لسجلماســة، التمور، القمح والاعناب كانت تنتج هناك وتسوق كازواد للقوافل أو تصدر إلى بلاد السودان.[5] وهي سلع اشتد الطلب عليها مع ازدياد نمو المجموعات المغربية في مــدن الســاحل بعــد ان اصبحت التجارة عبر صحراوية. وبما ان القمح كان يأكله في بلاد الســودان الملــوك واهــل اليسار فقد كان مرتفع الثمن[6].

ولاكمال الصورة في سلع فاخرة تجلب لزبائن من الشمال قدموا لكي يعيشوا فـــي مــدن الساحل، تضاف الفضة، التي وجدت بعض مشغولاتها في اوداغست[7] كما وجدت أيضـــا فـــي بلاط ملك غانا ، حيث كانت في اعناق كلابه سواجير ذهب وفضة[8]. كمـــا تضـــاف الأوانـــي الفخارية والزجاجية التي ما من نص يتعلق باوداغست يذكر عنها شيئا ، ولكن اعمال التنقيـــب كشفت عنها،[9] الشئ الذي يقف دليلا على قيام تجارة عبر - صحراوية في سلع مرتفعـــة

---

[1] لم تبدأ حبوب الكولا في الظهور في بلاد المغرب الا بعد القرن الثالث عشر الميلادي/ نهاية القـــرن السادس الهجري. والكولا هي "الطنبول" تنوب عند الهوسا عن القهوة وعند العرب عن الدخينـــة. ادم عبد الله الالوري، موجز تاريخ نيجريا ، ص 90 ،ج. دفيس، "التجارة والطرق التجارية فـــي غرب افريقيا"، ص 421

[2] لم تسوق انواع الفلفل الافريقي في بلاد المغرب الا في وقت لاحق وعلى نطاق ضيق ، كان العرب يأتون به من اسيا . ج. دفيس، المرجع السابق ، نفس الصفحة.

[3] الادريسي ، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية ، ص 99 ؛ ليون الافريقي، وصف افريقيـــا ، ص 146

[4] عبد القادر زبادية ، مملكة سنغاي في عهد الاسبقيين ، ص 220 ، ج. دفيس، ، المرجـــع الســـابق ، ص 465

[5] البكري ، المغرب ، ص 158؛ الادريسي، المصدر السابق، ص 5

[6] البكري ، المصدر السابق ، نفس الصفحة ؛ مجهول ، الاســـتبصار، ص 215 ؛ ج. ايفـــر، دائـــرة المعارف الاسلامية ، جـــ 3 ،مادة برنو ، ص 578

[7] ج. دفيس، "المرجع السابق " ، ص 462

[8] البكري ، المصدر السابق ، ص 176

[9] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي ، ص 491

القيمة. لم تكشف إعمال التنقيب حتى الان إلى الجنوب من الصحراء في أي موقع على اشياء قريبة من تحف اوداغست[1].

من سلع الرفاهية أيضا كانت الاحجار الكريمة ، وهي من سلع الصحراء. التعامل فيها قديم منذ عهد الفينيقيين والرومان. صدرها الجرامانت إلى الشمال قبل ان تصبح التجارة عبر - صحراوية[2] . منها الامازونيت ، وهو فى الفترة التي نحن بصددها ، وجد في الشمال الشرقي من تبستي وفزان. وجوده في الجزء الغربي من بلاد السودان ينم عن طريقه لنقله من الشرق إلى الغرب. وقد اثبتت دراسات حديثة وجود كميات قليلة منه في موريتانيا[3].

من الاحجار الكريمة أيضا الياقوت الجمري ويسمى بالعربي "البجاوي"[4]. يؤتى به من بلاد المغرب . وجدت قطعة منه في اوداغست وتحدث البكري[5] عن منجم يقع على طريق سجلماسة - اغمات يوجد به هذا الياقوت بكثرة.

العقيق[6] صدرته الصحراء جنوبا. ذكره البكري[7] باسم حجر تاسي - النسمت على طريق تاد مكة - غدامس. اعتمادا على ذلك اقترح لويكي[8] مرتفعات الحجار مصدرا له. حظيت هذه الاحجار الكريمة بتقدير عظيم في بلاد السودان[9]، واستخدمت كاحدى علامات الملك. يمنع الاهالي من لبسها في حضرة الملوك وكان الملوك، المغاربة يهادون بها ملوك السودان[10].

---

[1] ج. دفيس، (التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا) ، ص 461

[2] انظر اعلاه ص 17 ، 18

[3] ج. دفيس ، المرجع السابق ، ص 463

[4] نفس المرجع ، نفس الصفحة وحاشية 272

[5] المغرب ، ص 152

[6] حجر كريم وجد بالصحراء وشبهه البكري بالعقيق ، ايده بعض المؤرخين وراى بعضهم انه "الينع". ، وراى بعضهم انه اقرب "للخلقدونية" من "البنع" ، عرف عند الاوربين "بحجر قرطاج" بينما سماه الرومان "الكاربنكل". ج. دفس ، المرجع السابق ، ص 463 – 464 حواشي 276 – 279؛ Bovill, The Golden Trade of the Moors, P. 20 – 26 - 27

[7] المصدر السابق، ص 182

[8] ج. دفيس، المرجع السابق، ص 264

[9] البكري ،المصدر السابق ، ص 182

[10] Fisher, "The Eastern Magrib & Central Sudan", P. 279 - 280

بلاط الملوك في بلاد السودان يمكن ان يكون، بكل الاحتمالات، المستهلك الرئيسي للبضائع البذخية المستوردة من الشمال. وسرعان ما قلد المشائخ الملوك وخلقوا مع التجار الاجانب، المقيمين في العواصم السودانية، سوقا رائجا لها. فازداد حجم التجارة عبر - الصحراوية التي بدأت بتبادل الاساسيات لتصبح متنوعة وفاخرة.

سلع السودان إلى بلاد المغرب:

الذهب:-

هو السلعة التي كانت سببا في نشوء التجارة عبر - الصحراوية. اعارها كل المؤرخين اهتمامهم خاصة في العالم الإسلامي الذي كان يعتبر مستهلكا رئيسا للذهب فيما بعد القرن الأول الهجري / السابع الميلادي[1]. في نهاية القرن الثالث الهجري وبداية القرن العاشر الميلادي اصبحت القاعدة في بلاد المغرب ان تتولى السلطات امر سك النقود. كان ذلك جزئيا نتيجة طموح الدول الاسلامية فيه للهيمنة والتوسع الاقليمي[2]. ورغم ان الاتجار في الذهب بين الشمال والجنوب قديم، الا ان سكه نقودا اعطاه قيمة مضافة، فازداد الاقبال عليه تلبية للاحتياجات السنوية من العملة، بناء على امر الاسر الحاكمة في بلاد المغرب اولا، ثم في اسبانيا من بعد. وبتطور عملية سك النقود في بلاد المغرب ظهرت للعيان حيويه التجارة العبر - صحراوية. فالسياسة التي انتهجها الفاطميون فيما يتعلق بالذهب - احدثت تغييرا جذريا في

---

[1] عمت بلاد المشرق في القرن الأول الهجري / نهاية القرن السابع الميلادي وحدة ايديولوجية. الحياة الجماعية وتقسيم العمل ترتب عليه نشوء الحاجة إلى ادوات للجزاء فرؤي ان تسك عمله باسم الخليفة، فهي بجانب كونها دلالة على مفهوم معين للسلطة فهي أيضا ظاهرة من ظواهر الحياة الاقتصادية فوقع الاختيار على الذهب نظرا لبقائه وسهوله صهره، ج. دفيس، { التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا }، ص 431 وحاشية 147

[2] الاغالبة في افريقية في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي. في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي الفاطميون في المغرب والامويون في الاندلس، ثم بنو زيري بعد رحيل الفاطميين إلى مصر في سنة 360 هـ الموافق 970م ومن بعدهم المرابطون في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي

الاوضاع. ومنذ ذلك الوقت اصبحت المعلومات عن انتاج الذهب السوداني اقل اتساما بالطابع الاسطوري[1] واكثر دقة من وجهة النظر الجغرافية[2].

بلاد المغرب هي المستورد الرئيسي لذهب بلاد السودان. وبازدياد طلبها على الذهب احكمت مملكة غانا في الجنوب سيطرتها على مناطق إنتاجه حتى عرفت(باسم ارض الذهب)[3] وان " ارضها كلها ذهب ظاهر"[4]. وغانا رغم اشتهارها بالذهب لم تتحكم في منابعه ، وانما حصلت عليه عن طريق التجارة والسيطرة على الطرق المؤدية الي مناجمه. وما يحمل من بلاد السودان من ذهب كان يغذي حاجة بلاد المغرب وجنوب اوربا[5].

مصدر ذهب السودان ظل سرا بالنسبة للاجانب. الجغرافي العربي البكري[6] كان اكثر دقة في تحديد مواقع إنتاجه. فذكر منها غيارو[7] التي تبعد عن غانة مسيرة ثمانية عشر يوما. كما ذكر يرسني التي يحمل الذهب منها إلى جميع البلاد[8]. الادريسي[9] من بعده حدد ونقارا ارضا للتبر. ويوجد الذهب في عدة مواقع في بلاد السودان الغربية ويذكر بعض المؤرخين[10] ان ونقارا تطلق على كل مناطق الذهب في بلاد السودان، وعلى جميع القادمين منها. وتكاد تجمع

---

[1] كان الذهب عند ابن الفقيه ينمو كما ينمو الجزر. كما ذكر ان الذهب كان يصنع كاللبن. اليعقوبي كان ذهبه نباتا ينمو بالقرب من درعه. ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، عن صلاح الدين المنجد، مالي عند الجغرافيين العرب، ص 3 ؛اليعقوبي، البلدان، ص 359 ؛ابن الوردي، تتمة المختصر في اخبار البشر، ص 135؛ ياقوت، معجم البلدان، جـ 2 ،ص 12؛ القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، ص 18-19. وقد اورد العمري في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ان نبات الذهب له ورق شبيه بالنخيل اصوله التبر، عن صلاح الدين المنجد، المرجع السابق، ص 57

[2] البكر ي، المغرب، ص 176 – 177؛ الادريسي، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص 8

[3] Bovill, Golden Trade of the Moors, P. 119 , Fage, A history of West Africa, P. 16

[4] ابن الودري، المصدر السابق، ص 158 ؛ المسعودي، اخبار الزمان ،مخطوط ورقة 39أعن ابراهيم طرخان، امبراطورية غانا الاسلامية ،ص 69

[5] Bovill, OP.Cit, P. 105

[6] المصدر السابق، ص 176

[7] ذكرها الادريسي باسم غيارا وذكر انها في طاعة ملك غانا وتبعد عنها مسيرة احد عشر يوما. المصدر السابق، ص 10

[8] البكري، المصدر السابق ص 177

[9] الادريسي، المصدر السابق، ص 4 – 8

[10] ابراهيم طرخان، المصدر السابق، ص 67

المراجع[1] ان الذهب قد استخرج من كل من بامبوك، بين السنغال وفرعه فالمي، ومن بـوري، عند التقاء النيجر الاعلى بفرعه تنكسو، ومن لوبي عند اعالي نهر فولتا. ونحن لا نكاد نجزم ايهم الاكثر اهمية، وان كان البعض يميل إلى ونقارا[2]. وربما استخدمت هذه الحقول جميعـها فعندما ينضب معين احداها يتجه المنتجون نحو الأخرى[3]. وفتح حقول ذهب جديدة إلى الجنوب ادى إلى امتداد الطرق التجارية في نفس الاتجاه وبالتالي اصبح جزء اكبر من بلاد السـودان داخل محور الشبكة التجارية العبر صحراوية، وربما هذا ما اشار إليه البكري[4] باسم مملكتـي ملال ودو، في المنطقة التي كانت تعرف باسم لملم.

من الصعب تقدير الكميات التي كانت تصدرها بلاد السودان إلى بلاد المغـرب. بعـض المؤرخين[5] قدر الكمية بحوالي الطنين أو الثلاثة على الاكثر وهو رقم لا يتعدى حمولـة مـا يتراوح بين الثلاثين إلى اربعين من الجمال. غير ان التكاثر الواضح في اعـداد المسـافرين والقوافل في الرحلات نحو الجنوب تجعل من الصعب تقدير كمية الذهب المجلوب. كـل مـا يمكن قوله في هذا المقام ان ذهب السودان كان يغذي حاجة البحر الوسيط من الذهب بما يقدر بالنصف[6].

منطقة السودان الاوسط لا تقارن مع المنطقة الغربية من ناحية كمية الذهب المصـدرة، فمناطق تعدينه كانت تقع إلى الغرب منها، بالرغم من انه قد ورد ان منطقة كوارارفا كـانت تمتلك منجما للذهب[7]. يصف ليون الأفريقي[8] توفر الذهب عند ما يات برنو. من المحتمـل ان البرنويون كانوا يأتون به من الغرب نتيجة تجارة داخلية، علما بان ذهب المايات كان يوصف

---

[1] إبراهيم طرخان، إمبراطورية غانا الإسلامية، ص 67 ؛

Bovill, The Golden Trade of the Moors, P. 121 – 126 ; Trimingham, A history of Islam in west Africa, P. 54 note 2

[2] ليون الافريقي، وصف أفريقيا، ص 175 غير انه يضع ونقارا في بلاد الهوسا.

Bovill, OP.Cit., P. 127

[3] P.F. De Moraes farias , "Great states Revisited", P. 485 - 487

[4] المغرب، ص 177 – 178

[5] قدر موني كميات الذهب المنقولة نحو الشمال بما يتراوح بين 6 – 8 طن . ج. دفيـس، "التجـارة والطرق التجارية في غرب افريقيا" ص 227 – 228 وحاشيـة 138. Bovill, OP.Cit., P. 107;

[6] موني، كشف جغرافي لافريقيا الغربية حتى اواخر العصر الوسـيط، داكـار، 1961، ص 306 عبد القادر زبادية مملكة سنغاي في عهد الاسبقيين، ص 189

[7] Fisher, "The Eastern Magrib & Central Sudan", P. 276

[8] المرجع السابق، ص 176

بانه ادوات مشغولة اكثر منه ذهب غير مصنع. والدليل على انهم كانوا ياتون به من خارج منطقتهم اصرارهم على دفع التزاماتهم نحو التجار رقيقا بدلا عن الذهب الذي كان يفضله التجار[1] .

مناطق وسط السودان الأخرى إلى الغرب من كانم - برنو كانت أيضا ياتيها ذهب السودان الغربي عن طريق التجارة الداخلية عبر نهر النيجر وكانت تصدره بدورها إلى بلاد المغرب. فجاو مثلا كان يكثر فيها الذهب حتى لا يجد ثلثه أو نصفه من يشتريه[2] كما كان يصدر امراء الطوارق الذهب من سونغي إلى الشمال[3]. وفي اسواق سونغي كان التعامل بالذهب الخام[4]. وقد ذكر البكري[5] ان تادمكة أيضا كان التعامل فيها بالذهب غير المختوم.

لا نعرف إذا ما كان ذهب السودان ينقي قبل تصديره إلى الشمال ام لا. البكري[6] ذكر انه كانت تصنع منه خيوط مفتولة. بعض المؤرخين[7] يميل إلى ان معظمه كان يحمل على ما كان عليه واقصي ما يحدث له/الجنوب هو صهره وتقطيعه لتيسير عملية نقله.

يعتمد ملوك السودان في عملية استخراج الذهب على رعاياهم الوثنيين[8] لذلك كانوا يتهاونون في فرض اوامرهم عليهم خوفا من ان يتوقفوا عن العمل[9]. ولم تكن عملية استخراج الذهب صعبة كما وصفها العمري[10].

تمتع الذهب بجاذبية فريدة لكونه اقيم معدن عرف في ذلك الوقت. والتعامل بالذهب في التجارة شئ مقنع ومريح اكثر من السلع الأخرى التي تحتاج إلى مهارة وخبرة لحفظها عبر المسافات البعيدة التي تقطع.

---

1 وصف أفريقيا ، ص 176

2 نفس المرجع، ص 169

3 Fisher, "The Eastern Magrib & Central Sudan", P. 277

4 ليون الافريقي، المرجع السابق، ص 163

5 المغرب، ص 181

6 نفس المصدر، ص 158

7 ج. دفيس، "التجارة والطرق التجارية في غرب افريقيا"، ص 444 – 445

8 القلقشندي، صبح الاعشى، جـ 5 ، ص 278 ؛زكرى دراماني اسيفو ، "الاسلام كنظام اجتماعي في افريقيا منذ القرن السابع الميلادي" تاريخ افريقيا العام اليونسكو مجلد 3، فصل 4، ص 125

9 القلقشندي، المصدر السابق، جـ 5، ص 281

10 نفس المصدر، ص 278

الرقيق:

سادت تجارة الرقيق في السودان الاوسط والصحراء مثلما كان الحال بالنسبة للذهـــب فـــي السودان الغربي، فالمنطقة كانت مهددة بان تكون في حالة ركود اقتصادي لولا تجارة الرقيق. سمعة المنطقة في هذه التجارة قديمة، ولم تقل اهميتها في تصديـــر الرقيـــق الا بعـــد ان بـــدأ تصديره عن طريق المحيط الاطلنطي.

تجارة الرقيق بين بلاد السودان وبلاد المغرب من السهل تتبعها واقامة الدليل عليها. فمنذ العصور القديمة كان الرقيق هم السلعة الرئيسة على طريق تشاد - طرابلـــس. مشـــائخ ودان، جرمة وكوار، مثل الجرامانت الذين وصفهم هيرودوت[1] كانوا يهاجمون جيرانهم الســـود فـــي الجنوب من اجل الحصول على الرقيق. عقبة بن نافع فرض ضريبة على مشائخ كوار رقيقا[2] وكان بسر بن ارطأة قد فعل نفس الشئ قبله[3].

اليعقوبي[4] في منتصف القرن الثالث الهجري/ نهاية القرن التاسع الميلادي ذكـــر زويلـــة كمركز هام في تجارة الرقيق الذي يجلب من الزغاوة وغيرهم من العناصر. الرقيـــق الذيـــن يجلبون عن طريق زويلة يمثلون جزءا من التجارة المنتظمة للرقيق، اذ لا يعقل ان تكون كـــل تجارة الرقيق جاءت عن طريق واحد. طريق منحنى النيجر - تادمكة - افريقية كـــان يعمـــل أيضا في هذه التجارة. تجارة الرقيق سادت كل المنطقة بين حوض بحـــيرة تشـــاد والمحيـــط الاطلنطي للسمعة الحسنة التي اشتهر بها الرقيق المجلوب من بلاد السودان[5]. **اشتهرت كومبي صالح عاصمة غانا بسوق رقيقها[6] كما عمل اهل تكرور أيضا في تلك التجارة، كـــانوا واهـــل** غانا يغيرون على ارض لملم جنوبهم ويخرجون منها الرقيق يبيعونه لتجار الشمال[7]. غـــير ان تجارة الرقيق كانت افضل تنظيما في الجزء الشرقي بين كانم - فزان منها في الجزء الغربـــي بين غانا - اوداغست. إضافة إلى النشاط التجاري المنظم لبيع الرقيق كان هناك تسرب للرقيق

---

[1] هيرودوت، تاريخه، الكتاب 4، ص 183 - 184؛ R.C.C. Law,"The Garamants & Trans-shahran enterprise in classical Times", P. 183

[2] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 262 - 264؛ البكر ي، المغرب، ص 12 - 14

[3] نفس المصدر ص 12

[4] البلدان، ص 345 ؛ Bovill, The Golden Trade of the Moors, P. 58

[5] الاصطخري، مسالك الممالك، ص 43 - 45؛ Fisher "The Eastern Magrib & Central Sudan", P 262

[6] Bovill, OP.Cit, P. 83

[7] الادريسي، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص 5 ؛Bovill, OP.Cit, P. 102 - 246

السوداني نحو الشمال كافراد في اسر التجار أو نتيجة للغارات التي كان يشنها بدو الصحـــراء على القوافل[1].

لم يكن كل الرقيق السوداني المستجلب لبلاد المغرب يستبقى بها، بل كـــان جـــزء منــه يصدر إلى البلدان الاوربية، وهؤلاء قبل اعادة تصديرهم يتلقون بعض التدريب وكانوا يمثلون اجود النوعيات المجلوبة، النوعية الاقل جودة تستبقى ببلاد المغرب[2]. وعليه فان تجارة الرقيق بين بلاد المغرب والسودان لم تكن نشاطا اقتصاديا عابرا يمارسه وكلاء هذه التجـــارة علـــى فترات بل كان نشاطاً مستمرا يخضع لاحتياجات السوق في بـــلاد المغـــرب ومنطقـــة البحـــر الوسيط.

يرى بعض المؤرخين[3] ان اعداد الرقيق المستورد من بلاد السودان إلى بلاد المغرب قد بولغ في تقديره. فقيمة التجارة عبر مسافات بعيدة يمكن تقديرها مـــن حيـــث هـــامش الربـــح الحقيقي، وتجارة الرقيق عموما لا تبدو انها كانت مصدر ارباح كبيرة للعاملين فـــي ميدانـــها نسبة لما يتعرض له الرقيق من اخطار في الطريق، فضلا عن ان الاسعار لم يكـــن مرتفعـــة، الاسعار الباهظة كانت استثناء[4]. وهذا يعني ان تلك التجارة لم تكن تمثل نزيفا بشريا، فحاجـــة العرب - البربر لم تكن ماسة للايدي العاملة[5]. هذا لا يعني ان الاتجار في الرقيـــق لـــم يكـــن نشاطا اكيدا، فهو امر لا غنى عنه لمقتضيات الرخاء الاقتصادي العام الذي كان يتطلب قـــوى عاملة متزايدة مثلت تجارة الرقيق ايسر السبل للحصول عليها، غير انه لم يكن فيما يبدو اهـــم القوى الاقتصادية الدافعة لنشوء تجارة عبر - صحراوية .

---

[1] Brett, "Afriquia as a market for Saharan trade", P. 356

[2] Ibid., P. 355

[3] Bovill, The Golden Trade of the Moors, P. 246; Levtzion, "The Sahara & Sudan", P. 639

[4] البكر ي ، المغرب، ص 158؛ الاصطخري، مسالك الممالك، ص 45 ؛ابن بطوطـــة، مـــهذب رحلة ابن بطوطة، ص 319

[5] معاهدة البقط التي عقدت في عهد عمرو بن العاص بين النوبة وعبد الله بن ابي السرح في سنة 20 هـــ نصت على 360 رأسا من العبيد يدفعها النوبة إلى مصر في كل عام وهي خير دليـــل علـــى تواضع الاعداد التي يحتاج إليها من الرقيق. ذكر ابن بطوطة عدد الرقيق في احدى القوافل وهـــو 600 فرد. المقريزي، الخطط، جـــ 1 ، ص 199؛ ابن بطوطة، المصـــدر الســـابق، ص 322؛ جبريل نياني، "العلاقات بين مختلف المناطق" ؛تاريخ افريقيا العام، يونسكو، مجلد 4، فصل 25، ص 619

الطرق الرئيسة لتزويد السوق بما يحتاجه من رقيق يبدو فيها ان ما يجلب بالاختطاف[1] كان مساو لما يجلب بواسطة الغارات[2].

الجنود، الخصيان والمحظيات تمثل الثلاث مجموعات الرئيسة للرقيق في الشمال الأفريقي. الجند العبيد[3] أول من استخدمهم كحرس ابراهيم بن الاغلب (184 - 197هـ/800 - 812م) ولعب الفتيان العبيد دورا هاما في دولة الاغالبة[4]. ومنذ سنة 370هـ الموافق 980م كان هناك تجنيد لرقيق السودان في الجيوش، وحلوا، تدريجيا، محل الجند العرب، واليهم تعزى انتصارات الزيريون في حروبهم[5]. عامل الامير المسمى "بحاشد السودان" كان هو المسئول عن جمع وتجنيد العبيد[6].

الخصيان[7] قليلو العدد واسعارهم مرتفعة لشدة الطلب عليهم لحراسة الحريم والعمل في دواوين الحكومة في بعض الاحيان. وهي تجارة قديمة ينافس فيها طلب محلي قوي المشترين الاجانب[8]. وقد تمتعت قبائل الموسى واهل برنو بسمعة عالية في هذه التجارة[9] المقدسي[10] ميز بين ثلاثة انواع من الخصيان ولكنه لم يذكر من اين يؤتى بهم. وقد ورد عن ليون[11] ما يفيد بوجود الخصيان في بلاد المغرب فقد ذكرهم ضمن هدية قدمها له حاكم فاس.

---

[1] الادريسي وصف افريقيا الشمالية والصحراوية ص 20

[2] نفس المصدر، ص 5؛ ليون الافريقي، وصف افريقيا، ص 176 – 177

[3] كلمة عبيد في ذلك الوقت كانت تعبير عسكري بصرف النظر عن اللون فالفاطميون كان لهم قوات من العبيد السود والبيض Brett, "Afriquia As a market for Saharan trade", P. 354

[4] Levtzion, "The Sahara & Sudan", P. 639 السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، ص 334

[5] ابن عذاري، البيان المغرب، جـ 1، ص 150؛ ابن الاثير، الكامل، جـ 9، ص 565؛ Brett, OP.Cit., P. 354, 355

[6] Levtzion, Op. Cit. [illegible], P. 639

[7] كان العادة في السودان ان يخصوا اشد الاولاد سوادا من بين من يقبض عليهم في الغارات. وقد كانت هذه التجارة تمارس في اوربا كذلك وكانت هناك مؤسسات في فرنسا تحت ادارة يهود تعمل في هذه التجارة كما عرفتها ايطاليا أيضا

Bovill, The Golden trade of the Moors, P. 247

Ibid.

[8] ليون الافريقي، المصدر السابق، جـ 2 ،ص169؛ Ibid.

[9] ابن بطوطة، مهذب، رحلة ابن بطوطة، ص 320.

[10] احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص 342

[11] [illegible] المرجع السابق، جـ1، ص 290 ، 291

المخظيات والسراري كن عنصرا هاما في تجارة الصحراء. وكن مرتفعات الاسعار[1] هذا النوع من الرقيق لا مثيل له في تجارة الرقيق عبر الاطلنطي فيما بعد[2].

الرق استثمار اقتصادي هام واساسي لوسط السودان فلولاه كان لديـــه القليـل لتحقيـق التوازن في مدفوعات تجارته الخارجية. فهو يعادل الذهب بالنسبة للسودان الغربي.

العـــاج:

مورست تجارة العاج بين بلاد المغرب والسودان منذ عهد الرومان[3]. وكان العـــاج مـــن سلع الرفاهية المرغوب فيها من الشمال. من المغرب كان يعاد تصديـــر العـــاج إلـــى البـــلاد الاوربية[4] حيث كان الطلب على العاج الأفريقي شديدا لانه اقل صلابة واكثر طواعيـــة فـــي النقش مما كان عليه العاج المستورد من بلاد اسيا[5]. في البداية كانت منطقة وسط السودان هي منطقة تصدير العاج[6] وبتطور تجارة الصحراء وازدياد الطلب على عاج افريقيا الناعم اصبـــح يصدر عبر طرق التجارة من مختلف اجزاء بلاد السودان.

حفلت صادرات بلاد السودان إلى بلاد المغرب بالعديد من السلع الكماليـــة التـــي كـــانت تتمثل قيمتها بالنسبة للحكومات في الضرائب المفروضة عليها. من هذه السلع صدر الســـودان الجلود[7]، بيض وريش النعام[8]، السياط، العسل، و الابنوس[9]، المواد العطرية مثل الزباد[10] والعنبر[11]

---

[1] الاصطخري، مسالك الممالك، ص 45؛ البكري، المغرب، ص 158 ؛ الناصري، الاستقصاء، جـــ 5، ص 100/99

[2] Fisher, "The Estern Magrib & Central Sudan", P. 270

[3] انظر اعلاه ص 18، Bovill, The Golden Trade of theMoors, P. 41

[4] Ibid., P. 105

[5] جبريل نياني، "العلاقات بين مختلف المناطق" ، ص 619

[6] **كان العاج يصدر من وسط السودان لان مصر كانت هي الجهة الاولى المستوردة له. المســـعودي،** مروج الذهب، جـــ 2، طبعة 4 ، ص 15 ; Bovill, OP.Cit, P. 206

[7] عبد القادر زبادية، مملكة سونغي في عهد الاسبقيين، ص 223 ؛ ابراهيم طرخان، امبراطورية البرنو الاسلامية، ص 165

[8] ايفر، دائرة المعارف الاسلامية، جـــ 3، ص 586 ؛ ادم عبد الله الالوري، موجز تاريخ نيجريا، ص 111؛ دنيس بولم، الحضارات الافريقية، ص 39

[9] البكري، المغرب، ص 158 – 173 – 177

[10] ليون الافريقي، وصف افريقيا، جـــ 2، ص 267
Bovill, OP.Cit., P. 145 , Fisher, OP.Cit, P. 280 - 281

[11] البكري، المصدر السابق، ص 159 – 171؛ ابن سعيد ، الجغرافيا، ص 90

فضلا عن الاعشاب التي كانت تخرج من جبل سامْفدي[1]. وكانت الاعشاب مرغوبة في الشمال لاستخدامها في التطبيب[2] كما كانت بلاد السودان تصدر الذرة إلى مناطق الصحراء[3].

سلع الشمال المصدرة إلى بلاد السودان

سلع الصحراء:

الملح:

هو عصب التجارة الغــبر صحراوية المحرك. كان يشكــل تقريبا نصف احمـــال القـــوافل الذاهبة من بلاد المغرب إلى بــلاد السودان[4]. وكان الســــودانيون لا يبذلــون ذهبهم الا فيه. كل ما يحملــه التجار منه كان ســـريع النفـــاذ ويبـــاع بمقادير مرتفعـــة من الذهـــب "يبذلون نظير كــل صبرة ملح مثله من الذهب"[5]. ويقــدر الســـودانيون الذهب بقوته الشرائية للملح.

كتابات المتأخرين توحي بان منطقة الساحل والسافنا كانت محرومة تماما من الملح. غيران الملح، وان لم يكن متوافرا في بلاد السودان، كانت توجد امدادات منه في بعض المناطق بفضل توفر تقنيات إنتاجه ونقاط جمعه وتحضيره. ابن حوقل[6] والبكري[7] والادريسي[8] اجمع ثلاثتـــهم على أن اوليل في عهودهم كانت تنتج الملح وتصدره[9]. بعض مناطق ساحل المحيط الاطلنطي

---

[1] ذكرت أيضا برسم سمقنده، الادريسي، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية ،ص 6؛ ابـــن ســـعيد، الجغرافيا، ص 92

[2] نفس المصدر والصفحة، البكر ي، المغرب، ص 173

[3] البكري، المصدر السابق، ص 181

[4] القلقشندي، صبح الاعشى، جـــ 5، ص 280

[5] ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، عن صلاح الدين المنجد، مالي عند الجغرافيين العرب، ص 69؛ القلقشندي ،المصدر السابق، ص 280

[6] صورة الأرض، ص 92

[7] المصدر السابق، ص 171

[8] المصدر السابق، ص 3

[9] ابن سعيد، المصدر السابق، ص 90

كانت تنتج الملح وكانت المراكب تنقله عبر النيجر لكل انحاء السودان[1] وكان التكرور هم من تولى امر توزيعه على مناطق السودان الغربي[2].

تجار الشمال الذين كانوا في البداية عملاء لاوليل اضطروا بعد توجه الطرق ناحية الشرق لاستخدام احتياطات الملح الموضوعة على طريق الشمال - جنوب، المار بوسط الصحراء، في تغازا وبذلك وجدوا طريقة لممارسة ضغط متزايد على سوق الملح في الجنوب. كثفت غانة واوداغست الانطباع بوجود طلب غير ملبي من الملح، بينما كانت الحقيقة ان الضغط يزداد على سلعة يحتكر استخراجها ونقلها[3].

مناطق انتاج الملح في الصحراء كثيرة منها توتك التي بينها وبين تاد مكة ست مراحل[4]، وتكدا[5]. الواح الداخل كانت تصدر الملح وكان ملحها مختلف الوانه[6]. كانم - برنو وبلاد الهوسا كانت تأخذ حاجتها من الملح من بلما[7]. يذكر ابن سعيد[8] ان هناك نهر في بلاد حاحة - المغرب الأقصى - يوسق منه الملح إلى السواحل شمالا وجنوبا

في بلاد السودان كانت هناك بعض الاماكن التي تنتج الملح حيث كانت التربة مالحة ويمكن استخلاص الملح منها عن طريق التبخير. المنطقة بين السنغال والنيجر كان يستخرج فيها الملح البحري من على شاطئ المحيط الاطلنطي. ما قلل من اهمية هذه المناطق كمناطق انتاج لسلعة الملح، ان الكميات المستخرجة منها كانت قليلة. بعض اماكن السودان التي كانت لا

---

[1] دونالد وايدنر، تاريخ افريقيا جنوب الصحراء، ص 25 ؛جبريل نياني "العلاقات بين مختلف المناطق" ص 617

Bovill, The Golden Trade of the Moors, P. 160 , footnote no (1)

[2] Ibid., P. 83

[3] مما يؤيد هذا القول انه عندما اغلقت مناجم تغازا في القرن الحادي عشر الهجري / السادس عشر الميلادي اتجه السودانيون لتطوير مناجم ملح تاوديني. وكانت بعض المناطق تنتج ملحها محليا بحرق سيقان النباتات Bovill, OP.Cit., P.164 - 240

[4] البكري، المغرب ص 183

[5] القلقشندي، صبح الاعشى، جـ 5،ص 279

[6] البكري، المصدر السابق، ص 15

[7] ذكرت عند الادريسي تلملة الادريسي، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص 25- 26

Le wicki, "The Role of the; Sahara & Saharians in relations between the North & South", P. 291 ; Bovill, The Golden Trade of the Moors, P. 241 – 242 - 245

[8] الجغرافيا، ص 123

تستطيع الحصول على الملح عن طريق التجارة كانت تقوم بانتاجه محليا عن طريـــق حــرق سيقان النباتات[1].

تغازا في وسط الصحراء، كانت مصدر الملح الاكثر شهرة في فترة العصور الوســطى. بيوتها من حجارة الملح، لا يسكنها الا عبيد مسوفة الذين يحفرون عن الملـــح، وهـــي علـــى حقارتها يتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التبر[2]. وتكسب مسوفة من هذه التجارة كثيرا، فالى جانب ارباحهم من بيع الملح كانوا يفرضون ضرائب على القوافل المارة ببلادهم.

الشب:

كان مادة ذات قيمة تجارية عالية اذ يستخدم في تثبيت الاصباغ على الاقمشة[3]. وكـــانت الصحراء تنتج انواعا جيدة من الشب[4]. كوار كانت تصدره شمالا وجنوبا[5]

العطرون:

كان يجلبه التيبو، وله استعمالات عديدة: في الطبخ وكدواء وعلف للبهائم ولدبغ الجلــود، واهم استعمالاته كانت خلطه بالتمباك[6].

صدرت الصحراء إلى بلاد السودان وبلاد المغرب أيضا الكثير من السلع منـــها الـــدرق اللمطية[7]، الاقتاب، اللجم، السروج[8] والصمغ[9]، الذي كانت بلاد المغرب تعيد تصديره إلى اسبانيا حيث يستخدم في معالجة الحرير[10].

---

[1] دونالد وايدنر، تاريخ افريقيا جنوب الصحراء، ص 25؛

Bovill, The Golden Trade of the Moors., P. 240

[2] القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، ص 25-26 ؛ابن بطوطة، مهذب رحلة ابن بطوطـــة، ص 265 ؛ليون الافريقي، وصف افريقيا ،جـ 2 ،ص 108 - 109

[3] Lewicki, "The Role of the; Sahara & Saharians in relations between the North & South", P. 292

[4] ؛الادريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 24-25 ؛البكري، المغرب، ص 15

[5] ابن سعيد، الجغرافيا ،ص 114

[6] Fisher, "The Eastern Magrib & Central Sudan", P. 279

[7] البكري، المصدر السابق، ص 171؛ ابن سعيد ، المصدر السابق، ص 112

[8] الادريسي، المصدر السابق، ص 37 ابن سعيد، المصدر السابق، ص 140 ليون الافريقي، المصدر السابق، ص 170

[9] البكري، المصدر السابق، ص 158

[10] Cooley, The Negro Land of the Arabs, P. 26

سلع المغرب المصدرة إلى بلاد السودان:

النحاس:

النحاس في بلاد السودان مرتفع القيمة، فقد ورد انه والذهب يبادلان وزنا بوزن[1]. استعمله السودانيون كحلى[2]. وعرفت من النحاس انواع عدة، وكان ذا اللون الاحمر الغامق اثمنها[3]. وجد النحـــاس في بلاد المغرب بالقرب مـــن سجلماســـــه غرب درعة[4]. تاكـــده

كانت مصـــدر النحاس بالنسبة لوســـــط الســـودان[5]. المقريزي كان أول من ذكر ان تجار بلاد المغـــرب كانوا يحملـــون النحـــاس إلى بلاد الســــودان[6]. وكان هذا المعـــدن بالنسبة لوسط الســـودان كما الذهـــب بالنسبة للســـودان الغـــربي. وكـــانوا بدورهم يصـــدرونه إلى مناطق الســـودان الكـــفار[7]. مدينة داي بالمغـــرب الأقصـــى كـــانت تصـــدر نوعاً جيداً مـــن النحـــاس[8]. فضلا عن نحـــاس ايجلي الذي كـــان يتجهز به إلى بلاد الســـودان[9]. وكـــانت بلاد المغرب تستورد النحاس من اوربا وتعيد تصديره إلى بلاد السودان[10]

الخيـــل:

تشير الادلة إلى وجود الحصان ببلاد السودان قبل دخول الجمل. وبما ان الحصان الســـوداني كان صغير الحجم[11] وغير مقنع في الاستعمال بدأت الخيل كبيرة الحجم تدخل بـــلاد الســـودان عن طريق الاستيراد لدعم القوة العسكرية[12]. وكانت الجياد تاتي بلاد السودان من بلاد المغرب

---

1 Fisher, "The Eastern Magrib & Central Sudan", P. 278

2 الادريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 6، يـــاقوت، معجـــم البلـــدان، جـــ 2، ص 12؛القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، ص 18/15

3 الادريسي، المصدر السابق، ص 42

4 البكري، المغرب، ص 56؛ ليون الافريقي، وصف افريقيا، ص 144

5 ابن بطوطة، مهذب رحلة ابن بطوطة، ص 320

6 Fisher, OP.Cit., P. 278

7 القلقشندي، صبح الاعشى، ص 279 ؛صلاح الدين المنجد مالي عند الجغرافيين العرب ص 66

8 الادريسي، المصدر السابق، ص 49

9 البكري، المصدر السابق، ص 161 – 179

10 Bovill, golden Trade of the Moors, P. 105

11 البكري، المصدر السابق، ص 177

12 نفس المصدر ، نفس الصفحة، ليون الافريقي،المصدر السابق ،ص 176

فتعرض على الملوك اولا لاخذ احتياجاتهم[1] فيدفعون فيها الاثمان الباهظـــة[2]. ومـــن اســـباب ارتفاع اسعارها انها سلعة معرضة للخسائر في طريق الصحراء الشاق وبذلك كان امتلاكـــــها يقتصر على الملوك والخاصة. وقد فشل ابن بطوطة في اقتناء احدها لغلاء اسعارها، وكـــانت الجمال ارخص منها بكثير[3].

المنسوجات: القطنية والصوفية والحريرية:

بالرغم من توفر القطن ببلاد السودان ووجود صناعة نسيج به[4] الا ان انتاجهـم المحـــلي كان لا يفي بحاجتهم فليس هناك دليل على ان المنسوجات كانت تنتج على نطاق واســـع قبـل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[5]. وبما ان بلاد المغرب كانت قد تقدمــت بـــها صناعة المنسوجات الصوفية والقطنية فقد كانت تقوم بتصديرها إلى بلاد السودان[6]. فقـــد ورد ان كل من قسطنطينة وتلمسان وطرة - من بلاد الجريد - قد صدرت الملابس الصوفيـــة إلـــى بلاد السودان[7]. كما ذكر الادريسي[8] ان اهل تكرور كان يأتيهم التجـــار بـــالملابس الصوفيـــة، ولباس خاصتها القطن. اخذ ابن سعيد[9] عن المهلبي ان ملك كانم كان يلبس ملابس من الصوف والحرير وكانت تحمل اليه من الحضره التونسية. الملابس الحريرية التي كـــانت تـــرد بـــلاد السودان، هي السوسية[10] وهي غالية الاثمان خاصة إذا كانت مصبوغة[11].

---

[1] القلقشندي، صبح الاعشى، ص 276؛ ليون الافريقي، وصف افريقيا، ص 166 – 176

[2] ليون الافريقي، المرجع السابق، ص 176/170

[3] ابن بطوطة،مهذب رحلة بن بطوطه ،ص 321؛ ليون،المصدر السابق،ص 260

[4] البكر ي، المغرب، ص 173؛ القلقشندي، المصدر الســـابق، ص 270 – 278؛ ليـــون الافريقـــي، المرجع السابق، ص 163؛ ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 321؛ابن سعيد، الجغرافيا، ص 91

[5] ج. دفيس، "التجارة والطرق التجارية في غرب افريقيا"، ص 421

[6] الادريسي، وصف افريقيا الشملية والصحراوية، ص 39 – 43 ، مجهول ، الاســتبصار ، ص 119، البكري، المصدر السابق، ص 159 ، ابن سعيد، المصدر السابق، ص 91– 114 – 125

[7] ابن حوقل، صورة الأرض، ص 94؛ ابن سعيد ، المصدر السابق ، ص 127 – 140

[8] [illegible] المصدر السابق ، ص 4 – 42 ، القلقشندي، المصدر السابق، جـ 5، ص 275

[9] المصدر السابق، ص 95 ؛ Fisher, “The Eastern Magribs & Central Sudan", P. 288

[10] الحرير السوس لحمة من الحرير وسداة من القطن.

[11] الادريسي ، المصدر السابق، ص 39

باستئناف الاوربين الاتجار مع بلاد المغرب[1] اصبحت تصل افريقية كمية كبيرة من البضائع الاوربية فيذهب جزء معتبر منها إلى بلاد السودان حيث كانت الملابس الاوربية تلاقي رواجا كبيرا[2]، وكانت مرتفعة الاسعار[3].

الحلي:

عرف السودانيون بحبهم لانواع الحلي من قلائد واقراط واساور، لذلك فقد حرص التجار المغاربة على اخذ مقادير هامة منها. فكان جهاز قوافلهم إلى بلاد السودان ... "عقد خشب الصنوبر وخرز الزجاج الازرق واسورة النحاس الاحمر وحلق وخواتم نحاس"[4]. كما حملوا أيضا الاصداف[5] التي كانت تستخدم كحلي في جميع طبقات المجتمع[6]. كانت صناعة الخرز في بلاد المغرب صناعة هامة لاجل تجارة السودان[7] وقد استورد أيضا خرز الزجاج من اوربا وحمل إلى بلاد السودان[8].

العطور:

كانت تجد اقبالا كبيرا في بلاد السودان فالملوك والرؤساء كانوا كثيري الاستخدام لها[9]. بعضها كان يؤخذ من بلاد المغرب وبعضها كان يجلب من اوربا ومن ثم يحمل إلى بلاد السودان حيث كان يتم التبايع بها[10].

---

[1] **في القرنين السابع والثامن الميلادي كانت التجارة بين شاطئ المتوسط متوقفة تماما**

Bovill, The Golden Trade of the Moors, P . 101

[2] ليون الافريقي، وصف افريقيا ، ص 163 ، Ibid, P. 105

[3] نفس المرجع، ص 170

[4] ياقوت، معجم البلدان، جـ 2، ص 12 ؛القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، ص 18؛ المسعودي، مروج الذهب، جـ 2، ص 15

[5] الادريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 42 البكري، المغرب، ص 179 القلقشندي، صبح الاعشى، ص 15

[6] عبد القادر زبادية، مملكة سنغي في عهد الاسقيين، ص 220

Levtzion, "The Western Magrib & Sudan", P. 388 ;

[7] ابن بطوطة، مهذب رحلة ابن بطوطه، ص 300 – 316

Bovill, OP.Cit, P. 82;

[8] Ibid, P. 105

[9] Fisher, "The Eastern Magrib & Central Sudan", 281,282

[10] الادريسي، المصدر السابق، ص 42 ؛ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 300 – 316

<u>الكتب والمخطوطات:</u>

من البضائع الهامة التي كانت تحمل من بلاد المغرب إلى بلاد السودان كانت الكتب والمخطوطات، التي كانت تدر على تجارها ارباحا تفوق ارباح سائر البضائع[1]. رغم ارتفاع اثمانها[2]. فقد كان يقوم بشرائها حتى الافراد العاديون[3].

وقد صدرت بلاد المغرب إلى بلاد السودان الكثير غير هذا مثل السيوف والخناجر[4] والجلود المدبوغة[5].

وهكذا كان كل جانب يأخذ من الاخر ويعطيه. وقد استفاد الجانبان من تلك التجارة في تصريف منتوجاتهما.

يبدو من بعض النصوص ان بلاد المغرب كانت تصدر اكثر مما تستورد[6]، فمن يسافر "بثلاثين حملا يرجع منها بثلاثة احمال أو حملين"[7] وهذا يمكن تفسيره بان المنقولات ناحية الجنوب كانت اكثر أو ربما كانت اثقل وزنا لذلك تحتاج إلى عدد اكبر من الجمال لحملها. الجمال الزائدة عن الحاجة في رحلة العودة ربما كانت تباع هناك وهذا يفسر تدني أسعارها في بلاد السودان[8].

---

[1] ليون الافريقي، وصف افريقيا، ص 167

[2] نفس المرجع، ص 260

[3] ابن بطوطة، مهذب رحلة ابن بطوطة، ص 317 ؛ عبد الرحمن زكي، تاريخ الدول الاسلامية السودانية، ص 221

[4] ليون الافريقي، المرجع السابق، ص 163 – 170

[5] عبد القادر زبادية، مملكة سنغي في عهد الاسبقيين، ص 223

؛ Bovill, The Golden Trade of the Moors, P. 105

[6] ليون الافريقي، المرجع السابق، ص 260

[7] الناصري، الاستقصاء، جـ 5 ،ص 100/99

[8] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 321

الفصل الثاني

تطور اساليب التجارة

الوسطاء في تجارة عبور الصحراء:

المصادر العربية أخذته أمرا مسلما به إن مملكة غانا هي الوسيط، لكونها النهاية الحقيقية لمسار الحركة التجارية نحو الجنوب، ولكونها الكيان السياسي المنظم الأول في بلاد السودان.[1] فقصدها التجار من بلاد المغرب واستقروا بها لمزاولة التجارة[2]. وقد أفادت دول المغرب كثيرا من غانا المملكة القوية في جنوبها على تخوم الصحراء " وبغانة من تجار المغرب الكثير يدخلون للتجارة فيصيبون الخصب والامن وكثرة المتاجر"[3].

الأمن والعدل الذي تمتعت به دولة غانا في ظل ملوكها من السوننك، أدى إلى جذب التجار وبالتالي إلى إنعاش تجارتها الخارجية، فكان ملوكها ايسر من على وجه الأرض بما لديهم من التبر والأموال المدخرة[4]. وعندما كسبت تجارة الصحراء زخما مدت غانا سلطتها على أجزاء أخرى من بلاد السودان، فشاركت بدورها في تطوير النظام التجاري. كان ضمن هذه الأجزاء مركز صنهاجة التجاري، اوداغست[5]، الذي كان وجوده حافزا لممارسة التجارة مع بلاد المغرب، فمصالح التجار الشماليين وملك غانا واحدة وهو الحد الأقصى من التجارة. ويظل دور أولئك التجار ضمن حدود تتوافق مع سيادة غانا، وحسبهم أن يكونوا سماسرة ووسطاء في الحركة التجارية.

وكان موفقا اختيار موقع غانا حيث كانت في حدود الصحراء، إلى الشمال منها مصادر الملح، وفي الجنوب مصادر الذهب. وكانت في الطريق تنتفع كثيرا بتبادل هاتين السلعتين بين

---

[1] اليعقوبي، تاريخه، جـ1، ص 168؛ ياقوت، معجم البلدان، جـ 2،ص 12؛ وجـ 3، ص 192؛
R. Cornevin; "Ganna" Encyclopedia of Islam, vol. II , P. 1002.

[2] الادريسي، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص 7

[3] احمد عبد المؤمن الشريش، وصف مقامات الحريري، عن الناصري، الاستقصاء ،جـ 5، ص 100/99

[4] ابن حوقل، صورة الأرض، ص 101؛ البكري، المغرب، ص 174 – 176؛ لادريسي، المصدر السابق، ص 8.

[5] الادريسي، المصدر السابق، ص 19 ؛البكري، المصدر السابق، ص 168؛ دي ميديروس، "تنقل السكان"، ص 161.

المنطقتين[1]. عظمة البلاط التي يصفها البكري[2] كانت نتيجة النشاط التجاري وما يتبعه من ضرائب، ولحفز الشعب على إجلال الملكية لزيادة هيبتها وسلطتها حتى تتمكن من رعاية مصالح شعبها بالحصول على المزيد من الثروة[3]. فالحفريات التي تم القيام بها لتحديد موقع كومبي صالح، عاصمة غانا، أسفرت عن وجود مدينة كبيرة كانت تزخر بالبضائع المحلية والمستوردة[4]

لم تكن غانا وحدها هي الوسيط في تجارة الشمال - جنوب، في الجزء جنوب الصحراء من القارة، فقد كانت هناك أيضا من ممالك السودان مملكة الكاوكاو التي ذكرها اليعقوبي[5]، والتي اصبحت فيما بعد عاصمة لامبراطورية السونغي، وعرفت بجاو[6]. كانت جاو المدينة **التجارية الاولى في وسط النيجر، وان لم تبلغ ما بلغته غانه من يسار وحسن حال[7]. عملت** مملكة السونغي منذ القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي بالاتجار مع بلاد المغرب. ذكر البكري[8] ان جاو كانت من اكثر بلاد السودان ذهبا، وقال ان العرب تسمى أهلها البزركانيين[9] ويقال ان هذا الاسم كان يطلق على التجار والأجانب فقد كان تجار المغرب لا ينقطعون عنها

---

[1] ابن حوقل، صورة الارض، ص 101 ؛حسن ابراهيم حسن، انتشار الاسلام في القارة الافريقية، ص98

Fage , A history; of west Africa, P. 16; Bovill, Golden Trade of the . Moors, P. 82

[2] المغرب، ص 176 ؛الادريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 8/7

[3] البكري، المصدر السابق، ص 177 Fage, OP. Cit, P. 3

[4] Levtzion, "The Sahara & Sudan", P. 674

[5] تاريخه، جـ 1 ،ص 168

[6] عرفت مدينة جاو في المصادر باسماء مختلفة كاوكا ،كوكيا ،كوغا ،وغيره للتفاصيل حول تسميتها انظر ياقوت، معجم البلدان، مجلد 4 ،ص 329 ; دي لافوس دائرة المعارف الاسلامية، جـ 12 ، ص 265 Cooley, The Negro land of the Arabs, P. 33; Trimingham, A history of Islam in West Africa, P. 27
Bovill, The Golden Trade of the Moors, P. 132

[7] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 101

[8] المصدر السابق، ص 179

[9] نفس المصدر، ص 183

عبر طريق ورجلة - تادمكة[1]. وقال ليون الأفريقي[2] إن التجار المحليين يأتونها بكميات كبيرة من الذهب لاستبدالها بأشياء مستوردة من بلاد البربر.

الدور الكبير الذي لعبته مدن سونغي في التجارة جعل جاليات كبيرة من المغاربة تسكن تلك المدن[3]. من الأدلة المادية على اشتراكها الفعلي في تجارة عبور الصحراء ما وجد في جاو من دراهم ودنانير فاطمية ومغربية ومملوكية، التي من المؤكد أنها وردت على أسواق سونغي عن طريق التجارة[4]. كما ان الأهمية القديمة التي كانت لسونغي على الجانب الشرقي من منحنى النيجر، يمكن ان تفسر إلى حد ما بان هذا المكان هو حيث تدخل الطرق التجارية الآتية من فزان نحو مناطق ذهب ونقارا[5].

بلاد تكرور كان لها أيضا دور في تجارة الصحراء. فقد لعبت دورا اقتصاديا هاما قبل بروز صوصو ومالي. لم تنقطع التجارة بين بلاد المغرب والسودان بسقوط كومبي صالح فقد شغلت تكرور الفراغ. كانوا يجلبون الذهب والرقيق لتجار الشمال[6]. وكانوا تجارا نشطين مثل سوننك غانا، يغيرون على قبائل الفراوي لاسترقاقهم[7] وبيعهم للتجار الداخلين عليهم، فزاع صيتهم في بلاد المغرب والعالم الإسلامي حتى أطلق العرب اسم تكرور على السودان الغربي بأسره. وكانت مدينة سلى إحدى توابع تكرور، تحاول منافسة غانة[8].

بلغت تكرور أوج ازدهارها فيما بين القرن الخامس والسابع الهجريين / الحادي عشر والثالث عشر الميلاديين، وبزت غانا في التغلغل إلى ما بعد بريسي / يرسني لمقايضة ملح اوليل بالذهب. ساعدهم على ذلك غلبة سلطانهم على نهر السنغال، الصالح للملاحة حتى منطقة كايس[9] . هذا النشاط الاقتصادي هو الذي فيما يبدو قد أدى إلى تحالفهم مع المرابطين. فقد كانوا يسيطرون على إحدى الشبكتين اللتين كانتا تتنافسان على الحصول على الذهب، وهي

---

1 Fage , Ahistory of West Africa., 2nd ed., 1959 , P. 27

2 وصف افريقيا، ص 169

3 عبد القادر زبادية، مملكة سونغي في عهد الاسبقيين، ص 216

4 نفس المرجع، ص 208

5 Fage, A history of West Africa, P. 17

6 الادريسي، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص 4؛
Bovill, The Golden Trade of the Moors, P. 83

7 البكري، المغرب، ص 173؛ الادريسي، المصدر السابق، ص 5

8 البكري، المصدر السابق، نفس الصفحة

9 نفس المصدر، ص 177؛ الادريسي، المصدر السابق، ص 5؛ جبريل نياني، "مالي والتوسع الثاني للماندانغ"، ص 133

تلك التي تتمحور حول المدن الواقعة على نهر السنغال، لتنتهي، مرورا بازوقي، عند سجلماسه[1].

نجد أعمال المؤرخين قد ميزت السودان الغربي عند الحديث عن العلاقات التجارية بين إفريقيا جنوب الصحراء وبلاد المغرب، ويرجع السبب في هذا الأمر إلى توفر المعلومات عن هذا الجزء من القارة. غير ان الكيانات السياسية القائمة في منطقة السودان الأوسط هي الأخرى كان لها دور في التجارة العابرة للصحراء. فقد كان ملوك كانم - برنو ينتهجون سياسة انفتاح اقتصادي نحو الشمال. وكانت تنطلق من منطقة تشاد طرق رئيسة عديدة، لم تكن دون الطرق الغربية من حيث التردد عليها. وكانت مدن الهوسا الثرية الواقعة بين بحيرة تشاد ونهر النيجر، تنشط فيها حركة تجارية مزدهرة. فالعلاقة بين بلاد المغرب والسودان الأوسط علاقة أزلية[2]. الصحراء الليبية يمكن اختراقها، وساحل البحر عند خليج سدره يعرج كثيرا نحو الداخل مقربا المسافة بين ساحله وإقليم السافنا في الجنوب. الطرق تجري إلى الجنوب عبر الواحات، كما تجري شرقا وغربا. مجموعة واحات فزان، بالنسبة لتجارة المسافات البعيدة، كان لها أهمية تجاوز أهمية كوار. فالطريق الذي يجري عبرها هو اقصر طريق لعبور الصحراء، وهو أول طريق سلكه العرب جنوبا، وهو الذي استخدم في تصدير الرقيق من تاريخ يصعب تحديده[3]. واستقرار المسلمين المبكر في فزان مكنهم من الاتصال، عبر طريق الجرامانت القديم، بمنطقة بحيرة تشاد واغادس ونهر النيجر[4].

ازدهرت علاقات كانم الاقتصادية مع دول المغرب، عبر فزان، في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وسارت على نفس المنوال إبان حكم اسرة بني الخطاب في زويلة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[5]. التجارة بين فزان ومنطقة بحيرة تشاد كان محيطها كوار. زودت كوار الجنوب بالملح من مناجم بلما[6] وحصلت في المقابل على الرقيق[7]،

---

[1] الادريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 5/4; ج. دفيس، "التجارة والطرق التجارية في غرب افريقيا" ،ص 455/454

[2] انظر اعلاه في هذا البحث ص 24-30

[3] اليعقوبي، البلدان، ص 345

[4] Brett, "Afriquia as a market for saharan Trade", P. 16; Bovill, The Golden Trade of the Moors, P. 151

[5] ابن خلدون، العبر، جـ 6 ،ص 188

[6] الادريسي، المصدر السابق، ص 24 ؛البكري، المغرب، ص 15 ;
Palmer , Bornu, Sahara & Sudan, P. 126

[7] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 345؛ الادريسي، المصدر السابق، ص 20

الذين كان الماي يشن الغارات السنوية لإحضارهم لتجار الشمال، المنتظرين لحضوره[1]. وكان حجم المعاملات التجارية بين حكام كانم والشمال يتوقف إلى حد كبير على حالة الأمـــن فـــي طرق القوافل الرئيسة في الصحراء الوسطى. فسلامة القوافل بين كانم والبحر الوسيط كـــانت مؤمنة في الشمال ببني الخطاب في زويلة، وبمشائخ البربر في كوار، وبامبراطورية الكانم في الجنوب[2].

المصادر العربية لا تنبؤنا بشئ عن الوجود المحتمل للسماسرة والوسطاء بين مستخرجي الذهب، وغيره من البضائع، والملك أو بين جامعي البضائع وغيرهم مـــن التجـار. التجـــار السودانيين لم يرد ذكرهم في المصادر حتى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. ربما لان **الجغرافيين الأوائل، ابن حوقل مثلا، لم تكن لهم سوى معرفة واهية ببلاد السودان**[3].

من النصوص القليلة الواردة نستطيع ان نتبين ان السود لم يدعو للتجار القـــادمين مـــن الشمال كثير فرص للتجوال داخل أراضيهم. فحرص البكري[4] والادريسي[5]، من بعـــده، علـــى ذكر المدن التي يستقبل فيها المسلمون استقبالا حسنا شئ له دلالته في هذا الشأن.

يذكر البكري[6] ان النغماراته يتاجرون في التبر. فالتبر الذي يتركه الحاكم للأفراد[7] ربمـــا كان يسوقه تجار متخصصون، هم النغماراتة. كما يذكر في وصفه للطريق الذي نهايته قلنبو[8] ان الطريق يغضي جنوبا إلى موطن الزافقو[9] الذين يرى بعض المؤرخين[10] انهم لعبـــوا دورا هاما في تجارة الذهب مع بلاد المغرب في القرن لخامس الهجري / الحادي عشر الميـــلادي.

---

[1] ليون الافريقي، وصف افريقيا ،ص 176

[2] ديرك لانجي، "ممالك التشاد وشعوبها"، ص 259 Habib Wada'a; Fezzan under the rule of Awlad; Muhammad, P. 234

[3] ابن حوقل، صورة الأرض، ص 10

[4] المغرب، ص 177

[5] الادريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 12

[6] المصدر السابق، ص 177

[7] البكري، المصدر السابق، ص 177 ؛ الادريسي، المصدر السابق، ص 72

[8] انظر الخريطة الملحقة ص205 خط سير رقم 3

[9] البكري، المصدر السابق، ص 173

[10] هذه المنطقة تعرف اليوم بديافونو، وهم نفس من اسماهم ياقوت وصاحب الاســتبصار بــالزافون، غربي ديارا الجالية. مجهول، الاستبصار، ص 218 ؛ ياقوت، معجم البلدان، جـــ 2 ،ص 908. للمزيد انظر ج. دفيس، "التجارة والطرق التجارية في غـــرب افريقيـــا"، ص 450 ؛ Lewicki, "The Role of the Sahara & Saharians in relations between North & South, P. 313

كما ان أحد الطرق التي ذكرها البكري[1] تفضي إلى ارض الغرنتل[2] حيث لا يسكن المسلمون وان كانوا قد استقروا في يرسني على بعد مسافة قصيرة إلى الغرب[3]. يعني هذا ان التجار المغاربة قد توغلوا جنوبا حتى كادوا ان يصلوا مناطق تعدين الذهب.

بعد قرن من الزمان يمدنا الادريسي[4] بتفاصيل جديدة. فروايته تقول بان تجار الشمال كانوا يأخذون التبر من مدن تكرور، بريس وسلي، وان الونقارة الذين كانوا يحتلون مناطق شاسعة يتوافر فيها الذهب[5] كانوا يصدرون ذهبهم إلى ورجلة[6]. ويعني هذا ان تجار الشمال كانوا يتصلون تجاريا باناس سود يخضعون لسلطة تكرور، كما يعني انه اصبح هناك نظام تجاري يخضع لإشراف السود في تكرور، في منطقة لم يكن بها شئ من ذلك قبل قرن من الزمان.

وبمقارنة روايتي البكري و الادريسي نجد ان رواية الادريسي تقلل من المساحة المتاحة لتجوال التجار القادمين من الشمال بحثا عن الذهب، وذلك بتحديدها مواقع الذهب بعيدا إلى الشمال. التفسير لذلك ربما كان نسبة لما حدث من تغيير بعد سنة 442هـ الموافق 1050م، وان تنظيم تكرور قد احدث تغييرا جذريا في جغرافية الحركة التجارية. هذا الاحتمال لا يجعلنا نصرف النظر عن احتمال آخر وارد، وهو ان البكري ربما كان يبالغ في تقدير المسافات التي يقطعها التجار جنوبا نحو مصادر الذهب.

ان ما أورده الادريسي يبدو انه اقرب إلى الحقيقة التي لم تتغير منذ البداية، وهو واقع يقف شاهدا على حرص الحكام السود على ان لا يطلقوا للتجار من الشمال حرية الوصول إلى مناجم الذهب أو حتى حرية الاتجار فيه. وعليه يصبح ان انسحاب هؤلاء التجار إلى الشمال ربما نتيجة ازدياد وتنظيم ردود فعل السودان، مسلمين وغير مسلمين، . . للضغوط التي كان يمارسها تجار الشمال على منطقة الساحل منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

---

[1] البكري، المغرب، ص 177

[2] ذكرها الادريسي باسم "غربيل" ، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 6

[3] البكري، المصدر السابق، ص 177

[4] المصدر السابق، ص 4

[5] نفس المصدر، ص 7 . ربما كان النغماراته هم اسلاف الونقارة. ج. دفيس، " التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا"، ص 423

[6] الادريسي، المصدر السابق، ص 9

ونستدل من الأحداث على شئ من الحذر في التعامل التجاري بين بلاد السودان وبـــلاد المغرب. ففي الجانب السوداني نجد ان كل من المدن التجارية غانة[1] وجاو[2] وســـلى[3] كـانت تنقسم إلى جزأين، خصص أحدهما لسكنى التجار من الشمال. هذا النظام ربما مرحلـــة فـــي تطور العلاقات التجارية بين الجانبين. فكلاهما ربما كان حريصا في كشف نفســه للتـأثيرات الاقتصادية غير المفيدة. في الشمال كانت هناك الأوامر القضائية الصادرة من قاضي القيروان ابن آبي زيد (ت 386هـ الموافق 996م) والتي كان يشجب فيها التجـــارة مـع ارض العــدو وارض السودان[4].

حكام السودان احكموا قبضتهم حقا على مجمل القطاع الاقتصادي في المناطق الخاضعة لسلطتهم. يتمثل هذا في التكتم على منابع ثروتهم، لاسيما الذهب، الذي فرضوا رقابة صارمة وفعالة فيما يتعلق بمصدره وكيفية الحصول عليه. وقد ذكر ان بعض التجار حاول ان يعــرف شيئا عن منابع الذهب، فقبضوا على أحد الزنوج وعذبوه حتى مات دون ان يصرح لهم بشئ. وبسبب هذا التصرف توقف التعامل مع التجار الأجانب نحوا من ثلاث سنوات ثـــم اسـتؤنف لحاجتهم إلى الملح[5]، وليس بمستبعد ان تلك الإجراءات موغلة في القــدم، ووســيلة "الاتجــار الصامت"[6] ربما استخدمت ضمن وسائل اخرى لصرف الأنظار والتعمية.

ونستخلص ان التجار السود قد ورد ذكر وجودهم، وان لم ترد أسماؤهم صراحـــة، علـــى لسان البكري والادريسي في كل من غربيل وغيارو وبريسا وفي تكرور وغانا وجاو. فتجار

---

[1] البكري، المغرب، ص 175

[2] نفس المصدر، ص 183

[3] نفس المصدر، ص 173

[4] Levtzion, "The Sahara & Sudan", P. 650

[5] Delafose , Haut Senegal – Niger, vol. II, P. 45 – 46 ; Bovill, The Golden Trade of the Moors, P. 82

ابراهيم طرخان، امبراطورية غانة الاسلامية، ص 71

[6] التجارة الصامتة كما وصفها المؤرخون القدماء، تتلخص في ان التجار المغاربة كانوا يأتون قـــرب بلاد الزنوج فيشعرونهم بوجودهم أما بضرب الطبول أو اشعال النيران. ويقومون بانزال بضائعهم وترتيبها ثم يبتعدون، عندها يخرج الزنوج ويضعون التبر بجانب البضائع ويختفون ويخرج التجار مرة اخرى فاذا ما وجدوا ما ترك من ذهب مجزيا اخذوه وتركوا البضائع للزنوج. وهذا تعـــامل ناشئ، دون شك، عن حذر الزنوج وعدم ثقتهم بالتجار. المكان الذي كان يتم فيه مثل هذا التعامل ذكره ياقوت صراحه بمنطقة السنغال، أما هيرودوت فقد اكتفى بالقول انه خارج اعمـــدة هرقــل. هيرودوت، تاريخه، كتاب 4، ص 196; ياقوت، معجم البلدان، جـــ 2، ص 12; القزويني، اثـــار البلاد، واخبار العباد، ص 18 – 19

الشمال مع وكلائهم السودانيون كونوا السكان المتحركون للمراكز التجارية الكبرى في الساحل وكانوا عبر القرون يرتحلون من مركز إلى آخر تبعا للتغييرات التي تطرأ على نظام التجارة[1]. وكانت نقطة تلاقي البربر والزنوج هي نهر النيجر[2]. وبما ان الزنوج كانوا من المستقرين العاملين بالزراعة، فقد سيطروا على مفارق الطرق، بينما أدار البربر مراجل إعداد الملح وقوافل الإبل[3]. وبما أن البربر كانوا أول من جرب انتهاج الطرق عبر - الصحراوية فإننا نجد أن صنهاجة أدت دورا فاعلا في التجارة التي سلكت الطريق الغربي[4]. كان منهم الادلاء الذين يعملون في خدمة القوافل المحملة من قبل تجار سجلماسه وتاهرت وتلمسان والقيروان وطرابلس. كما يقومون بحراسة هذه القوافل تحت حماية مشائخ صنهاجة في اوداغست أو تادمكه وغيرهما من الأماكن[5]. وجود تجار من إفريقية في اوداغست، كجزء من شبكة الاباضية التجارية الممتدة، أدخلت عناصر من زناتة في التنظيم التجاري، الذي كان برمته في يد صنهاجة الجنوب، واصبحوا بارزين ومسيطرين عليه بكل فروعهم[6]

النظم التجارية:

نمو وتطور التجارة العبر - صحراوية بين بلاد المغرب وبلاد السودان أمد الجانبين بالأرباح والأموال الطائلة، فشهدت تلك المناطق في فترة العصور الوسطى ازدهارا اقتصاديا. وبفضل هذه التجارة نشأت لدى السكان تقاليد في المعاملة ثابتة، فهم يقابلون القوافل بالترحاب ويبدون الصداقة للغرباء. الأمراء والملوك يهيئون للتجار الأمن ويستقبلونهم في البلاط الملكي[7].

التجارة العبر - صحراوية لم تكن ظاهرة مستمرة، بل هي عبور سنوي لقوافل الجمال، بحثا عن الذهب في الجنوب[8] وعملية العبور الناجحة هي في الأساس عملية تنظيم جيد. العوامل الحاسمة فيه هي معرفة الطرق ذات الإمداد المائي الأمثل، تجنب قطاع الطرق،

---

[1] ياقوت، معجم البلدان،جـ2، ص 12

[2] دونالد وايدنر، تاريخ افريقيا جنوب الصحراء، ص 26/25

[3] نفس المرجع، ص 26

[4] اليعقوبي، البلدان، ص 360; دي ميديروس، "تنقل السكان"، ص 148

[5] Lewicki, "The Role of the Sahara & Saharians in relations between North & South", P. 281

[6] الدلائل التي تشير إلى وجود الاباضية في اوداغست ترجع إلى القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي Levtzion, "The Sahara & Sudan", P. 644 – 650;Lewicki , Op. Cit,P. 281

[7] البكري، المغرب، ص 177; ليون الافريقي، وصف افريقيا، ص 164 – 168

[8] القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، ص 25 ;ج. دفيس، "التجارة والطرق التجارية في غرب افريقيا"، ص 403

والارتحال في الأوقات المناسبة مثل فصل الشتاء[1]. وقد تطورت عملية قوافل الصحراء هـــذه بعد مجئ العرب للشمال الأفريقي لمقابلة الحاجة لاقامة علاقات تجارية مســـتمرة مـــع بـــلاد السودان.

خروج القوافل يتطلب إعدادا دقيقا، الجمال تعلف لعدة اشهر[2]. توضع القافلة تحت امـــره قائد يسمى "الخبير"، يحكم الجميع كما لو كان ربان سفينة. ولم يكن لأحد أن يتقدم أو يتأخر عن الآخرين خشية أن يضل الطريق. بعض البدو تخصصوا في معرفة المسالك مثل مسوفة الذين يوفرون للقوافل الادلاء والرسل[3]. "الخبير" المثالي يتمتع بعدة صفات: معرفة الطرق وأمـــاكن تواجد المياه. ان يكون ملما بقواعد الصحة الصحراوية، فيقوم بمعالجة لدغات الأفاعي، وجبر الكسور. كما عليه ان يكون حسن الصلة بمشائخ المدن والقبائل الذين تحتاج القافلـــة للتعـــامل معهم في طريقها[4].

تحت الخبير هناك عدد من العاملين، في القافلة الصغيره شخص واحد يقوم بعدة وظائف، وفي الكبيرة عدة أشخاص يقومون بوظيفة واحده. الكاتب هو الشخص المعين الوحيد بجـــانب الخبير، ومهمته تسجيل وتنظيم كل المعاملات التجارية الرئيسة في القافلة. وللخبير مراسل أو اكثر يحملون أوامره. تضم القافلة أيضا مؤذنا وإماما. الأخير من مهامه دفن الموتـــى وحـــل مشاكل الميراث. وكل فرد في القافلة له دور في الأعمال اليومية[5]. تتكون القافلة فـــي معظـــم الأحوال من حوالي الألف جمل وتتفاوت في مقدار ما تحمل[6]. عند اقترابها من بلاد الســـودان ترسل مبعوثا يحمل الرسائل لوكلاء التجار ليكتروا لهم الدور وليخرجوا للقائهم[7].

تطورت التجارة وحذق الناس فنونها، ودخل الإحصاء الحياة التجاريـــة والاجتماعيـــة[8]. الشاهد على معرفة السودانيين فنون التجارة، تنظيمهم للجمارك تنظيما لا يختلف فـــي مبادئـــه

---

[1] ابن حوقل، صورة الأرض، ص 103 ؛ ليون الافريقي، وصف افريقيا، ص 76

[2] ابن بطوطة، مهذب رحلة ابن بطوطة، ص 295

[3] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 295 – 296 ;جبريل نياني، "العلاقات بين مختلف المناطق" ،ص 615

[4] Fisher "The Eastern Magrib & Central Sudan", P. 267

[5] جبريل نياني، المرجع السابق، ص 615 Ibid, P. 268

[6] باذل ديفيدسن ،افريقيا تحت اضواء جديدة، ص 153.

[7] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 296

[8] خير مثال لمثل هذا الاحصاء وصف رحلة كنكان موسى إلى الحج، فقد ذكر انه صحب معـــه 500 رقيق، يحمل كل منهم عصا من الذهب تزن ستة ارطال. وجماله كانت تحمل ما بين 80 – 100 =

العامة عن تنظيم الدول الحديثة لهذه الأداة المؤثرة على التجارة. يحدثنا البكري[1] عـن مملكـة غانا فيقول "لملكهم على حمار الملح دينار ذهب في إدخاله البلد وديناران في إخراجـه". ولـم تعف السلع الأخرى من ضريبة الاستيراد والتصدير[2].

سيطرت غانا على تجارة الذهب حتى استطاعت ان تقيد اسعاره في الأسواق العالمية. فقد كان الملك يحتفظ لنفسه بندرات الذهب[3] المستخرجة، أما التبر[4] فيتركه لشعبه وكذلك كان يفعل ملك مالي[5] . كل ذلك احتياط حتى لا يكثر الذهب في أيدي الناس فتهبط قيمته.

في سنغي، كان محصل الضرائب يلقى القافلة خارج المدينة فيتحصل منـــها الواجبـات الضريبية، ويفعل نفس الشئ عند خروجها[6].

وهكذا نظم العالم الأسود اقتصاده، بحيث يستطيع الصمود أمام قوة منتجي الملح. وبعـد تدهور غانا لم ينس الناس اسلوب التجارة والضريبة الذي ابتدعته وقويت منه وازدهـرت بـه

= حمل من الذهب، زنة كل منها 300 رطل. القلقشندي، صبح الاعشى، جـــ 5 ،ص 284 ;ابـن خلدون، العبر، جـ 6، ص 268 ،بازل ديفيدسن، المصدر السابق، ص 153

[1] المغرب، ص 176.

[2] نفس المصدر، ص76

[3] تكون الندرة من اوقية إلى رطل. وقد ذكر ان لملك غانا ندرة كالحجر الضخم لم يكن عنـد غيره مثلها. البكري، المصدر السابق، ص 177 ;الادريسي، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص 7; ابن خلدون ،العبر ،جـ 6 ،ص 269.

[4] استخدمت لفظتي "تبر" و "ذهب" في الحديث عن ذهب غرب افريقيا، ونستخلص من كل ما ورد ان لفظة "ذهب" اشارة إلى الذهب النقي من الشوائب ولكنه غير مسكوك ولا مصوغ. وكلمـة "تـبر" تشير إلى الذهب في تراب معدنه، المصادر التي تحدثت عن غرب افريقيا فـي القرنيـن الثـاني والرابع الهجريين استخدمت لفظ "ذهب" ،استخدم ابن حوقل والبكري والادريسي لفظ "تبر" . ربما الاستعاضة عن لفظ "ذهب" بلفظ "تبر" خاص بذهب غرب افريقيا باعتباره نقيا مؤهلا للاسـتخدام دون تنقيه. البكري، المصدر السابق، ص 176 – 177 – 179; ابن حوقل، صورة الأرض، ص 100 – 102; الادريسي، المصدر السابق، ص 4 – 7؛ المنجد في اللغة والاعلام، بيروت ،1975 ص 240 ،ولمزيد من التفاصيل في هذا الموضوع ج. دفيس، "التجار والطرق التجارية في غرب افريقيا"، ص 422 – 425

[5] ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، عن صلاح الدين المنجد، مالي عند الجغرافيين العرب، ص 57 ;البكري، المصدر السابق، ص 177.

[6] عبد القادر زبادية، مملكة سونغي في عهد الاسبقيين، ص 102 – 103.

طوال القرون، فلم يذهب بذهاب غانا الدولة، فقد ظهرت في أيامها وعلى أثرها، دول اخـــرى عملت به.

كان أهل الشمال اكثر إدراكا لقيمة التجارة مع جنوب الصحراء،وأثرها على قوة الدول في ذلك الوقت، وكانوا يملكون الملح في الشمال وجاءوا إلى الجنوب سعيا للتسلط علـــى مصـــادر الذهب. وما قامت به دول المغرب من تنظيم للتجارة وتوفير للمناخ الملائم لها، كـــان لمـــا تجنيه من ورائها من فوائد. فقد ورد ما يفيد ما كان يفرض من ضرائب على تلك التجارة مـــن قبل السلطات الحاكمة، حتى فيما بين حدود تلك الدول الإدارية. صبره، مثلا كانت منزلا بـــه ضريبة على القوافل، حين دخولها وخروجها، وقيل كان يدخل أحـــد أبوابـــها حوالـــي الســـتة وعشرون الف درهم في اليوم الواحد[1]. وبلبده كانت هناك ضريبة على كـــل جمـــل ومحمـــل وحمل[2] . فالقوافل كانت ترصد في مناطق معينة وتؤخذ منها الضرائب[3]، نظير ما يقدم لها من خدمات.

المراكز التجارية كانت لها ضرائبها على القوافل، نظير استخدام تلك القوافل لأســـواقها[4].

حتى القبائل البدوية المقيمة ما بين المراكز كانت "لهم لوازم على المجتازين عليهم وبذلك قوام بعض شؤونهم"[5] نظير خدماتهم التي يقدمونها للقوافل.

أما التجار فقد كانوا يحرصون على ان تتضافر جهودهم لتذليل الصعاب، وتنظيم العمـــل لتحقيق، اكبر قدر من الأرباح من تلك التجارة. فكونوا شبكات تجارية ممتدة، لها فـــروع فـــي العديد من المراكز التجارية الشمالية والجنوبية . وكان لهم أعوان، ووكلاء، أعمال، وسماسرة، موزعين على تلك المراكز[6]، يمدونهم بالمعلومات واحتياجات الأسواق حتى يتحكموا في مسألة العرض والطلب، فيتجنبون الخسارة الناجمة عن ارتفاع وهبوط الأسعار.

---

[1] ابن حوقل، صورة الأرض، ص 68.

[2] نفس المصدر، ص 69; مجهول، الاستبصار، ص 115

[3] البكري، المغرب، ص 146; ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85

[4] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 99

[5] نفس المصدر، ص 102

[6] ياقوت، معجم البلدان، جـ 2، ص 12 ؛ Bovill, The Golden Trade of the Moors, P. 82; Levtzion, "The Western Magrib & Sudan", P. 371

بدأت هذه الشركات، على ما يبدو، في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. كانت في البداية علاقة عملية تجارية بين شخصين، لتتطور فيما بعد فتصبح شراكة عائلية تقوم على أساس تجاري[1] .

كانت لهذه الشركات والاتحادات التجارية وسائل نقلها الخاصة البرية والبحرية[2]. ولضمان سلامة تجارتهم شاركوا في تعبيد الطرق وحفر الآبار وتأمين حراسة القوافل. وكانت المراسلات بين بلاد السودان وبلاد المغرب، في الشئون التجارية، تتم بواسطة سعاة يركبون الرواحل[3].

لعل تجار السودان، من الماندنجو والهوسا، قد نظموا شركاتهم على نفس المنوال فيما بين إقليم السافنا والغابات. ولقد لعبت جماعات اليهود دورا كبيرا في هذه الحركة التجارية منذ وقت باكر[4].

في مراكز منطقة الساحل التجارية، كانت نسبة بدو البربر الصحراويين والعرب - البربر، من شمال إفريقيا، الذين يعملون كوكلاء تجار وتجار مقيمين وأعضاء شركات تجارية عالية[5]. وقد ميز الدمشقي[6] بين أصناف التجار فذكر الخزان، وهو تاجر الجملة، يقوم باختيار السلع التي ترسل شمالا أو جنوبا، من حيث أماكن تواجدها وانقطاع الطريق أو أمنها، وعدل الحاكم وحالة البضائع. وسمى النوع الثاني الركاض، وهو التاجر المتجول. وهذا النوع يتقصى عن البلد الذاهب إليه، وعن الوكيل المأمون، والموضع الحريز. أما النوع الثالث فهو التاجر

---

[1] ما كان من علاقة عملية بين شخصين توضحه الحالة التي ذكرها ابن حوقل وهو يتحدث عن صك اوداغست، الشراكة العائلية مثلما اورد عن الاخوة الخمسة من عائلة المقري المقيمين في تلمسان وسجلماسه وولاتا فيما بعد القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي .. ابن حوقل، صورة الأرض، ص 61 – 99 ؛ Levtzion, (1) "The Western Magrib & Sudan", P. 370;
(2) "Ibn Hawqual , the cheque & Awdaghost", J.A.H. vol. X, no.2, P. 226

[2] سنيكي مودي سيسوكو "الصنغي من القرن الثاني عشر الى القرن السادس عشر الميلادي"، تاريخ افريقيا العام، يونسكو، مجلد 4 ،فصل 8 ص 215; جبريل نياني، "العلاقات بين مختلف المناطق"، ص 619؛ الشاطر بصيلي، تاريخ حضارات السودان الاوسط والشرقي، ص 391/392

[3] ليون الافريقي ، وصف افريقيا، ص 260 – 261 . الرواحل نوع من الابل نحيل الجسم لا يصلح لغير الركوب سريع يقطع مائة ميل أو اكثر في اليوم.

[4] جبريل نياني، المرجع السابق، ص 619

[5] Levtzion,OP.Cit, P. 374

[6] ابو الفضل جعفر بن علي الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجار، طبعة المؤيد، 1318هـ، ص 50 – 52; دائرة المعارف الاسلامية، "مادة تجارة" ،جـ 4، 588 – 589 ؛ ابن خلدون ،المقدمة، القاهرة ،1317هـ ،ص 441.

المصدر وقد اسماه المجهز. وهذا النوع من التجار يكون له وكيل مأمون يستلم البضائع التـــي يجهزها له، ولا يرسل بضائعه الا مع ثقات.

وسائل التعامل التجاري:

وجد في إفريقيا منذ فترة مبكرة اقتصاد قوامه تجارة تنهض على مقايضة الســـلع الاستهلاكية، أي ان يتبادل الطرفان ما يحملان من سلع. ذكرها هيرودوت[1] في غرب إفريقيـــا، على شاطئ المحيط الاطلنطي. استخدمت، بدءا، لمبادلة الملح بالذهب، وكان لا يشـــترط فيـــها حضور الطرفين[2]. وانتشر اسلوب المقايضة في التعامل التجاري في كل بلاد السودان فيما بعد، غير انه اختلف عما كان عليه في البداية، في الشاطئ الغربي، إذ اصبح التبادل يتم بحضـــور الطرفين وتستخدم فيه سلع التجارة الأساسية من ملح ونحاس وقطع قماش[3]، حتـــى قـــال ابـــن بطوطة[4] "والمسافر لهذه البلاد لا يحمل زاداً ولا اداما ولا دينارا ولا درهما إنما يحمـــل قطـــع الملح وحلى الزجاج وبعض السلع العطرية ". وكان الملح هو وسيلة التعامل الرئيسيه الذي كان يتصارف به أهل السودان كما يتصارف بالذهب والفضة[5].

في المناطق التي يقل فيها الملح فان، التعامل يتم بالسلع التي تنتج محليا، مثل الذرة ،القمح النحاس، وازّر القطن، المسماة بالشكيات[6]، التي كانت تنتج في مناطق التكرور. في منطقة وسط السودان، كانم بصفة خاصة، كان يتعامل بنسيج يسمى "دندي"[7] . كانت هذه المنسوجات القطنية ذات قيمة عالية ويقيم بها الكثير من السلع[8].

---

[1] هيرودوت، تاريخه، كتاب 4 ،ص 231

[2] ياقوت ،معجم البلدان، جـــ 2 ،ص 12; القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، ص 18 -19.

[3] الادريسي، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص 12

[4] مهذب رحلة ابن بطوطة، ص 300.

[5] نفس المصدر ، ص 295

[6] تسمى أيضا Calico وتعني قماش قطني. جاءت من الهند اولا، ثم اصبحت تصنع محليـــا . طـــول القطعة منها متر × متر ، واحياناً اربعة اشبار في مثلها. البكري، المغـــرب، ص 173; مجـــهول، الاستبصار ، ص 217; جبريل نياني، "العلاقات بين مختلف المنـــــاطق" ،ص 618 ; ج. دفيـــس، "التجارة والطرق التجارية في غرب افريقيا"، ص 465.

[7] نسيج محلي طوله عشرة اذرع، والذراع 58 سم. القلقشندي ،صبح الاعشى، جـــ 5، ص 270.

[8] ليون الافريقي، وصف افريقيا، ص 163.

استخدم النحاس أيضا في التعامل العيني، ويكون استبداله في أغلب الأحيان بالذهب. وقد اخذ عن العمري[1] قوله "حدثني ... قال: قال لي السلطان موسى ... ليس في مملكتي شئ ممكس سوى هذا النحاس المعدني الذي يجلب ... ونحن نبعثه إلى بلاد السودان الكفـــار نبيعــه وزن مثقال بثلثي وزنه من الذهب فنبيع كل مائة من هذا النحاس بستة وستين مثقالا وثلثي مثقال من الذهب". وكان النحاس يستخدم كعملة، وكانت قوة قضبانه الشرائية عالية. الرقاق منها تستخدم لشراء اللحم والحطب وغيره، والغلاظ لشراء العبيد والذرة والسمن والقمح[2]. ويبدو ان التعامل بالنحاس كان يقتصر على مناطق إنتاجه في تكدا[3]، ومناطق إنتاج الذهب. وكان في الأخـــيرة مرتفع القيمة[4].

التعامل العيني كان واسع النطاق/ غير انه لم يكن يشمل كل السلع، على ما يبدو، وإنمـــا اقتصر على السلع مرتفعة القيمة، مثل الملح، الذي اعتبره المؤرخون العرب نقودا فـــي بـــلاد السودان[5]. فكل ما في السودان كان يباع بالملح، كالخيل والثياب والزرع والعبيد، وقيـــل انـــهم كانوا يبيعون أولادهم فيه[6]. يلي الملح في القيمة الأقمشة والخيل والعبيد. وكان الزجاج والعسل من الأشياء التي يقع بها الدفع وتقوم مقام النقود[7]. الفضة كان يتم التعامل بها ولكن بدرجة اقل، وكانت قيمتها ثلاث وزنات مقابل الوزنة الواحدة من الذهب[8].

لما نشطت التجارة وتضاعف حجمها، لم تعد وسيلة التبادل البســـيطة تكفـــي للعمليـــات التجارية الكبيرة، فنشأ الطلب على رمز تجاري يكون وسيلة تحافظ على حرية اختيار الطرف الذي يبيع منتجا لقاء شئ آخر، لا يكون، بالضرورة، هو المنتج الذي يقدمه المشتري. وقد بين

---

[1] العمري، مسالك الابصار، عن صلاح الدين المنجد، مالي عنـــد الجغرافييـــن العـــرب، ص 67/66 ;القلقشندي، صبح الأعشى، ص 279.

[2] ابن بطوطة، مهذب رحلة ابن بطوطة، ص 320

[3] تقع شرق النيجر، اشتهرت بانتاج النحاس وصدرته إلى بلاد السودان الاوســـط والغربـــي. لا زال موقعها غير معروف، غير انها تقع بين جاو واير وعلى بعد مسيرة سبعين يوما جنوب غـــرب، ورجلة والى الشمال الغربي من اغادس، وتعرف حاليا باسم ازلك. ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 320 Bovill , The Golden Trade of the Moors, P. 92; Fisher; "The Eastern Magrib & Central Sudan", P. 278

[4] القلقشندي، المصدر السابق، ص 291.

[5] البكري، المغرب ،ص 183.

[6] ابراهيم طرخان، امبراطورية غانا الاسلامية، ص 75

[7] عبد القادر زبادية، مملكة سنغي في عهد الاسبقيين، ص 208 –209

[8] نفس المرجع ، ص 209.

علم الآثار، كما بينت المصادر المكتوبة، وجود رموز كهذه مثل الصلبان النحاسـية الصغـيرة والأشياء الحديدية وغيرها في كل أنحاء السودان، وكانت هذه الرموز تستخدم كعملة[1].

استخدم النقد الذهبي في التعامل التجاري بين بلاد السودان وبلاد المغرب، منـذ ان بـدأ الاتصال يقوى بينهما في بداية العصر الإسلامي، في المعاملات الكبيرة. وكان يغلب التعامل به في المنتوجات المستوردة الفاخرة، اذ ان النقود كانت لا تتوافر بالكميات الكافية الا فـي أيـدي الموسرين في المجتمع من التجار وكبار الموظفين، الذين يتقاضون رواتب من البلاط الملكي[2].

الدينار الذهبي، أشار إلى التعامل به الكتاب العرب[3]. وقد كان منتشر الاستعمال في كـل بلاد السودان[4]. أورد ابن حوقل[5] قوله "بلغ الحمل من الملح في دواخل بلد السودان وأقاصيـه بين مائتين إلى ثلاثمائة دينار". وذكر البكري[6] ان التعامل في اسواق تادمكه بالدنانير الذهبيـة غير المختومة. أسفرت الحفريات التي تمت في جاو عن وجود العديد من الدنـانير لمختلـف العصور التاريخية، وردت على بلاد السودان عن طريق التجارة[7].

المثقال الذهبي استخدم أيضا في التعامل بين الشمال والجنوب، فملك غانا كان له "علـى حمل النحاس خمسة مثاقيل وعلى حمل المتاع عشرة مثاقيل"[8]. كما ورد استخدام المثقال فـي المعاملات المختلفة في اوداغست[9].

فسر البعض[10] ما أورده الجغرافيون العرب عن تداول الدينار والمثقال الذهبين في بـلاد

---

[1] ج. دفيس، "التجارة والطرق التجارية في غرب افريقيا"، ص 404 ; ليون الافريقي، وصف افريقيا ، ص 163

[2] ليون الافريقي ، المصدر السابق ،ص 167 ،عبد القادر زبادية، مملكة سونغي في عهد الاسـقيين، ص 209

[3] ابن حوقل، صورة الأرض ،ص 98 البكري; المغرب، ص 176

[4] البكري، المصدر السابق، ص 181.

[5] المصدر السابق، ص 101.

[6] المصدر السابق ص 181.

[7] ج. دفيس، " المصدر السابق، ص 442

[8] البكر ي، المصدر السابق ،ص 176.

[9] نفس المصدر، ص 158.

[10] نعيم قداح، افريقيا الغربية في ظل الاسلام، بدون تاريخ، ص 70.

السودان، على ان العملة كانت تضرب هناك[1] ،غير ان ما جاء على لســـــان ليون الأفريقي[2] يشير إلى غير ذلك، اذ يقول وهو يتحدث عن مملكة جني "والعملـــة الرائجـة عنـد هـؤلاء السودانيين هو الذهب غير المسكوك". وفي مكان آخر وهو يتحدث عن تنبكت يقول: تُســتعمل قطع الذهب الخالص بدلا من العملة المسكوكة"[3]. وهو قول لا يتعارض مع ما أورده البكري[4] من ان دنانير تادمكه كانت صلعا" ،ربما قطع غفل معدة للتصدير شمالا ولم تضرب بعد. ولفظة "صلع" هي عكس كلمة منقوش/ منكوس[5]. معنى هذا ان ما كان يحدث في بلاد السودان لم يكن سكا للنقد بل، هو خطوة في ذلك الطريق، علما ان دور سك العملة كانت جميعها في الشمـــال ولم يعثر في جنوب الصحراء على أي اثر لدار أو قالب لسك العملة[6].

تشهد المصادر العربية[7] بان الذهب كان يوجد في بلاد السودان في أشكــال مصوغــة. ووفقا لفقهاء الإسلام فان استخدام الذهب مسكوكا كان أو سبائك امر مشروع في جميع أنــواع المعاملات، في الجنوب وفي الشمال، باستثناء ما يتبين انخفاض نسبة الذهب فيـــه. فالمعــادن النفيسة احتفظت دائما بدورها خارج نطاق سك العملات، باعتبارها سلعة يقبلها الجميع، ويمكنها منافسة النقود المسكوكة. ويبدو ان أرباب السلطة في جنوب الصحراء، مسلمين وغير مسلمين، لم يحولوا هذا الذهب قط ، في فترة العصور الوسطى وحتى بعد سنة 442هـــ ســنة 1050م، إلى نقود[8].

---

[1] ابن وصيف شاه، عجائب الدنيا، مخطوط مصور على مايكروفيلم بمعهد المخطوطات بالقاهرة رقــم 27 جغرافيا، ص ،28 عن احمد الياس حسين (1) الطرق التجارية عـــبر الصحـراء الكـبرى، ماجستير، ص 176; (2) العلاقات بين مملكة غانا والمغرب العربي، دكتوراه، ص 127.

[2] وصف افريقيا ،ص 163.

[3] نفس المرجع، ص 167

[4] المغرب، ص 181

[5] "منكوس" لفظ اطلقه الاوربيون على نقد منقوش دون ان يحمل صورة اتاهم من بلاد الاسلام جنوبهم. انظر اعلاه ص 85 حاشية (3) و ج. دفيس ، "التجارة و الطرق التجارية في غرب أفريقيا"، ص 439/430.

[6] ج. دفيس، المرجع السابق، ص 426/425 ؛ انظر الخريطة الملحقة ص 203

[7] البكري، المصدر السابق، ص 158.

[8] دنيس بولم، الحضارات الافريقية، ص 143; ج. دفيس، المرجع السابق، ص 426/425

أما في الشمال فقد غدت القاعدة، منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر المُيلادي، ان تتولى السلطات امر سك النقود. الرمز النقدي لم يؤد فورا إلى القضاء على أدوات التبادل الأخـــرى المنافسة[1].

وبازدهار التجارة بين الشمال والجنوب تطورت وسائل التعامل لتواكب النشاط التجـاري فاستخدمت الصكوك. يحمل الصك أسماء المستحقين، وجملة المال المستحق، مع توقيع الطرفين وشهادة العدول[2].

---

[1] الودع نوع اخر من العملات. استخدم في المبايعات. اول ذكر له كعملة كـان فـي القـرن الثـامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ورد ذكره عند العمري ثم ابن بطوطة. كان يستخدم في المبايعـات الصغيرة. ومن المحتمل ان استخدامه تزامن مع تحقيق دولة مالي اقصى اتساع اقليمي، واكمـل تنظيم اقتصادي واداري لها. شواهد من اجزاء اخرى من بلاد السودان تشير إلى الصلة بين اقامة الدولة واستقدام الودع كعملة. العمري، مسالك الابصار، مخطوط دار الكتب المصرية رقم 2568، تاريخ نسخه 2، مجلد 3، ص 50 ،عن احمد الياس حسين، الطرق التجاريـة عـبر الصحـراء الكبرى، ماجستير، ص 174 ;ابن بطوطة ،مهذب رحلة ابن بطوطة، ص 318; ليون الافريقـي، وصف افريقيا، ص 167; القلقشندي، صبح الاعشى، جـ 5، ص 270 /280;
Levtzion, "The Western Magrib & Sudan", P. 388

[2] ابن حوقل، صورة الأرض، ص 61.

الفصل الثالث

مخارج ومراكز الاتصالات بين بلاد المغرب وبلاد السودان

الطرق الصحراوية للاتصالات والتجارة:

دراسة الطرق من العوامل التي تساعد على الإلمام بالاتصالات بين بلاد المغرب وبلاد السودان، بجانب الشواهد الأثرية، والمصادر العربية. ومن الاعتبارات الهامة في تلك الرحلات التجارية، التي كانت تتم بين الجانبين، كان اختيار الطريق الذي ينطوي على اقل قدر من المخاطر. ويتضح من الجهد الذي بذله المؤرخون والجغرافيون العرب في وصف التفاصيل الدقيقة لطرق التجارة العابرة للصحراء، إن أي ارتجال في عملية الاختيار قد يفضي إلى كارثة[1].

حددت الطبيعة، بصورة واضحة، الخطوط الرئيسة للمواصلات بين المناطق الساحلية للشمال الأفريقي. والمناطق الداخلية فيما وراء الصحراء. المناطق المأهولة في الصحراء، الواحات، تبرز بعيدا في أعماق المناطق الجرداء لتيسر عملية قطع الصحراء. نهر النيجر، ينحني في بقعة كبيرة صوب الشمال ليقلل من زحف الصحراء ويضيق من حدودها. شاطئ المحيط الأطلنطي منطقة يسهل عن طريقها عبور الصحراء. ناحية الشرق. إلى ما هو ألان موريتانيا، شكل تقارب خطي تساوي المطر[2]. أحد عوامل تيسر السفر في تلك المنطقة. ناحية الشرق اكثر من ذلك فان أودية سورا وغرارا وتوات، قد اجتذبت انتباه القوافل، فأصبحت موضعيا لعبورها. منطقة أخرى، تضاهي سابقتها في السهولة، تضم ورجلة في المزاب، ثم تنحدر جنوبا إلى ادرار الايفوغاس ووادي تيلمس.

الطرق الرئيسة، في الصحراء عامة، في اتجاه شمال - جنوب. المغرب الأقصى مع ساحل الأطلنطي، المغرب الأوسط مع منحنى النيجر، ومنطقة بحيرة تشاد مع طرابلس[3] .
وهناك طرق هامة في اتجاه الشرق - غرب. وكل الطرق في، جميع الاتجاهات، هي مخارج لتجارة السودان التي هي أساس هذه الشبكة من الطرق.

طرق الصحراء الشرقية:

لم تتضح تفاصيل الطرق التي تربط بين بلاد السودان وبلاد المغرب عند كتاب القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، غير انه من الثابت ومنذ القدم ان طريق فزان -

---

[1] ابن بطوطة، مهذب رحلة ابن بطوطة، ص 296

[2] انظر الخريطة الملحقة ص198

[3] Levtzion, "The Sahara & Sudan", P.650

اغادس، والذي يمر عبر واحات فزان - كوار، هو الطريق الذي عبره انشأت العلاقات بين الشمال والجنوب، وهو اقصر الطرق لعبور الصحراء، وهو الذي يرجح ان عقبة بن نافع قد استخدمه[1].

اول من تعرض لوصف الطرق بين بلاد المغرب والسودان كان اليعقوبي[2]، حيث وصف طريقا يخرج من سرت، بساحل البحر المتوسط، ومن زويلة يتصل بكوار، في مسافة خمسة عشر مرحلة. رغم أن اليعقوبي يقف في وصفه للطريق عند كوار إلا أن الطريق يبدو انه يتواصل جنوبا ليربط كوار بإقليم بحيرة تشاد حيث قامت كانم[3]، من حيث كان يأتي سكان كوار بالسودان[4]

استمر هذا الطريق رئيسا حتى فيما بعد القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي، ليقود من طرابلس، عبر شبكة الواحات المكونة لفزان، إلى كوار، التي كانت مرحلة هامة نسبة لمياهها وواحاتها وصناعة الملح فيها، ومن ثم إلى منطقة بحيرة تشاد.

ابن الفقيه (290 هـ/902م) وصف طريقا في اتجاه الشرق - غرب، يربط بين غانة ومصر. يخرج من كوكو إلى امة مرنده، على بعد مسيرة شهرين من زويلة، وشهر من كوكو[5]، والتي عرفها بعض المؤرخين[6] بمرانديت، نقطة المياه التي في جنوب اغادس، كما عرفوها بإحدى قبائل التيبو التي تسكن الاير. ثم يتجه الطريق إلى امة مراوة، التي قال البعض إنها فزان، ويرى ترمنجهام[7] أن ابن الفقيه ربما قصد بها الزغاوة. يخرج الطريق بعد ذلك الى واحة مصر علسانة التي عرفها الإدريس[8] بأنها جبل في ارض ألواح. فهو طريق يربط فزان بالواحات غربها ثم جاو ثم غانة.

ابن حوقل،[9] (كتب 357هـ/967م) أشار إلى هذا الطريق وذكر توقف استعماله بسبب الرياح. كما أشار إلى أن إقليم الواحات كان لا يزال يحمل مؤشرات نشاطه السابق. وقد ركز

1- Cooley,The Negro Land of the Arabs, P. 1; R.C.C. Law "The Garamants & Trans-Saharan Enterprise, P. 181 / 182 ; Martin , "Kanem, Bornu & Fezzan", P. 15.

2 البلدان، ص 345.

3 اليعقوبي، تاريخه، جـ 1، ص 192

4 اليعقوبي، البلدان، ،ص 345

5 ابن حوقل، صورة الأرض، ص 92

6 Lewicki, General History of Africa, 1965 , vol. VI , P. 231 ; Levtzion, "Ibn Hawqual, the cheque & Awdaghost, P. 231

7 Trimingham, A history of Islam in west Africa, P. 51 , note 3

8 وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 29

9 ابن حوقل،المصدر السابق، ص 153/61

على كرم سكان الواحات ورغبتهم في جذب التجار[1]. ايد المقدسي[2] ما جاء به ابـــن حوقـل، وكذلك فعل المسعودى[3]. وقد أضاف ابن حوقل[4]، طريقاً آخر يربط الزغاوة بفـــزان مسـافته مسيرة شهرين.

كتاب القرن الخامس والسادس الهجري/الحادي عشر والثاني عشر الميلادي أكدوا ازدياد عزلة الواحات واكتفائها الذاتي[5] . وصف الإدريس[6] يوضح مدى الخراب الذي وصلت إليـــه. غير أن اتصال الواحات شمالا، عبر واحات سنترية واوجيله، لم ينقطع. واستمر كذلك جنوبا نحو منخفض بحيرة تشاد. فسنتريه، محطة رئيسة لمن أراد الدخول إلى ارض كوار وســـائر بلاد السودان[7] حيث يمر الطريق بالواحات الخارجة إلى ارض التاجويين والزغاوة الذين كانت لهم تجارات وصنائع[8].

أعطى البكري[9] وصفا لطريق يتجه من اجدابيه إلى كانم، مارا بجبل نفوسه، ثـم زويلـة التي اعتبرها البكري أول بلاد السودان، وبين زويلة وكانم أربعون مرحلة، والى الآن يوجـــد في مدينة شروس[10] طريق يسمى طريق السودان[11]. كما أورد وصف طريق يربـــط مدينـة زلهي وودان ببلاد كوار وكوكو[12].

---

1 ابن حوقل ، صورة الارض، ص 154/153

2 احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص 21

3 مروج الذهب، جـ 2، ص 26

4 المصدر السابق، ص 92

5 البكري، المغرب، ص 15؛ مجهول، الاستبصار، ص 149/148

6 وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 29

7 نفس المصدر، ص 30

8 نفس المصدر، ص 13

9 المصدر السابق، ص 11

10 ام قرى جبل نفوسة، كبيرة آهلة، أهلها اباضية، بينها وطرابلس مســيرة خمســة أيـام. البكــري، ألمصدر السابق، ص 11

11 Lewicki, "The Role of the Sahara &Saharians in relations between the North & South", P. 286

12 ذكر الادريسي، زلهي باسم زالا. البكري، المصدر السابق، ص 12 الادريسي، المصدر الســابق، ص 27

الإدريسي[1] الذي شرع في وصف إفريقيا في إطار محكم من الأقاليم وأقسام الأقاليم، نجده خصص القسم الثالث من الإقليم الأول للاتصالات عبر خطوط السير الشرقية، وقد ركز في ذلك على الاتصالات بين النيجر - تشاد - النيل .

طرق الصحراء الوسطى:

تميزت هذه المنطقة بوقوع مرتفعات الحجار في وسطها. إلى الشمال من هذه المرتفعات نجد مجموعة من الواحات تتابع شمالا حتى جبال أطلس، لتمثل طريقا طبيعيا يسهل عبوره إلى بلاد المغرب الأوسط. إلى الجنوب منها تمثل مرتفعات ادار الايفوغاس امتدادا سكانيا لها، كما تمثل بابا للاتصال بالنيجر الأوسط.

طرق هذه المنطقة سلكت منذ ما قبل دخول الإسلام للشمال الأفريقي. فالجرامانت قد خبروها في اتصالهم بمناطق جنوب الصحراء[2]، من الجهة الغربية للحجار، ومن الجهة الشرقية عبر مرتفعات تاسيلي-دس - آجار[3].

طرق هذه المنطقة هي الأقل ذكرا ووصفا في كتابات الجغرافيين العرب، ربما لعدم اشتهارها بالذهب أو الرقيق أو ربما لاشتهار منطقة الجريد بالقلاقل التي يسببها البدو الاباضية، مما يهدد أمن الاتصالات أو لاسباب ايديولوجية جعلت الكتاب السنيين يتجاهلون المنطقة لسيطرة الخوارج الاباضية عليها[4].

اقصر طرق هذه المنطقة وأقدمها، هو الذي يقود من ورجلة إلى تادمكه في أدار الايفوغاس، ومنها إلى مدينة جاو. بالنسبة للبكري[5] فان هذا الطريق يبدأ بتادمكة ويذهب إلى القيروان، مارا بورجلة. هناك طريق رئيسي آخر يربط ورجلة باسواق السودان الغربي، وهو طريق ورجلة غانا[6]. وهو طريق يفوق طريق ورجلة - تادمكه أهمية لان غانا هي مكان تجميع الذهب الوارد من أماكن إنتاجه. نقطه انطلاق الطريق في الشمال هي سجلماسه في ارض تافيللت، البوابة الحقيقة نحو بلاد السودان. اضطراب الأحوال في المغرب الأقصى في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وضعف دولة أنبيه، أديا إلى انتقال الطرق التجارية ناحية الشرق، مما اكسب هذا الطريق أهمية قصوى. ومما ساعد على إضفاء مزيد من

---

[1] وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 10 - 14

[2] R.C.C. Law, "The Garamants & Trans – Saharan Enterprise", P. 181

[3] Ibid, P. 183

[4] Brett, "Afriquia as a market for Saharan Trade" , P. 357

ج. دفيس، "التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا"، ص 411/410

[5] ألمغرب، ص 182

[6] نفس المصدر، ص 182/181

الأهمية عليه مروره على مراكز إنتاج الملح في الصحراء، تغـــازا ،وتـــاودني ، مؤخـــرا، الواقعتين في منتصف المسافة بين ورجلة وغانا[1].

ترتبط تادمكه شمالا بطريقين: أحدهما إلى ورجلة، ومسافته خمسون يوما، والآخر إلـــى غدامس، ومسافته أربعون يوما[2]. هذا الأخير يبدأ من طرابلس ويمر بجبل نفوسه ثم غدامـــس وينتهي بتادمكه. ومن المحتمل إن هذا الطريق بعد أن يتخطى غدامس جنوبـــا يمـــر بمنطقـــة البربر الأزقار تاسيلي دس آجر، والتي تبعد عن غدامس مسيرة ثمانية عشـــر يومـــا[3]. وهـــو الجزء الشمالي من طريق غدامس - تادمكه الذي وصفه البكري. أما جزؤه الجنوبي فيشابـــه طريق الجرامانت القديم الذي يربط فزان بجاو[4]. ويذكر البكري[5] طريقا آخر موازيا للأول بين غدامس - تادمكه كان يستخدم للبحث عن أحجار شبه كريمة.

الإدريس[6] خصص القسم الثالث من الإقليم الثاني لوصف طرق الصحراء الوسطى، التي تمثل منفذا للشمال عبر غدامس. كما أورد ارتباط ورجلة باوداغست علـــى مســـافة واحـــد وثلاثين مرحلة[7] في موضع، وفي موضع آخر يربط بين ورجلة - غانا في مســـيرة ثلاثـــون مرحلة، وبين ورجلة وكوغة مسيرة شهر ونصف[8] وفي كل هذا لم يعطنا تفاصيل لهذه الطرق.

<u>طرق منطقة الصحراء الغربية:</u>

انحراف سلسلة جبال أطلس إلى الجنوب الغربي، أدت إلى تكوين بعض الوديـــان التـــي تصب في المحيط الأطلنطي. هذه الوديان أدت إلى سهولة الاتصال بين هذه المنطقة وحـــوض نهر السنغال[9].

طريق المنطقة الغربية، بالرغم من تأخر الوصول إليه في بداية العصر الإسلامي فـــي الشمال الإفريقي، إلا انه الطريق الذي اجتهد في اكتشافه، وعبرته القوافل التي كانت تخرج

---

[1] احمد الياس حسين، العلاقات بين مملكة غانا وبلاد المغرب، رسالة دكتوراة، ص 141

[2] البكري، المغرب، ص 182 انظر الخريطة الملحقة،ص205 ؛مجموعة الطرق التي تتجه من غانـــا شرقا مجموعة الطرق رقم (7)

[3] الادريسي، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص 22

[4] Lewicki, "The Role of the Sahara & Saharian in relations between North & South", P. 304

[5] ألمصدر السابق، ص 182

[6] المصدر السابق، ص 23 – 27 انظر خريطة طرق الادريسي، الملحقة، ص 206

[7] نفس المصدر ، ص 19

[8] نفس المصدر ، ص 89

[9] Fage, A history of west Africa, P. 18

من المنطقة الواقعة بين وادي درعة وساحل المحيط الأطلنطي. وهو من اقدم الطــــرق بيــن المغرب الاقصى وبلاد السودان، حيث أن تأثير البحر يخفف من الظروف الصعبة للصحراء في هذه المنطقة الساحلية. وهو طريق يقطع بمسيرة شهرين بين أوليل في شمال السنغال ونول في جنوب المغرب الاقصى[1].

في محاولات عبور الصحراء الأولى التي تمت في فترة ولاة بني امية فـي الشمــال الإفريقي نجد انهم استخدموا طريقا يخرج من وادي درعة ويتجه جنوبا مارا ببئر تزامــت[2]. كما سلكوا طريقا آخر يخرج من تامدلت إلى بئر الجمالين، ومنها إلى بئر وانزمين، حيــث مجتمع طرق السودان. ونستشف من عبارة البكري هذه انه كان هناك طرق اخرى إلى بــلاد السودان[3].

كتاب القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ورد عندهم ذكــر طريــق يخــرج مــن سجلماسه عبر أراضي أنبيه، إلى اوداغست، في مسيرة خمسين يوما[4]. كما أورد ابن الفقيه[5] وصف طريق يخرج من السوس الاقصى إلى غانا في رحلة تقطع في ثلاثة اشهر.

من الملاحظ أن الكتاب العرب الأوائل قد ركزوا على وصف طرق الصحراء الغربيـــة اكثر من وصفهم لطرق الصحراء الشرقية والوسطى. كما إن جهود الحكام العرب، في بداية العصر الإسلامي، للدخول إلى بلاد السودان قد انصبت كلها على تلك الجهة الغربية، بينمــا كان يمكنهم استكشاف طرق اخرى، ايسر منالا، تمر بالزاب مثلا، علما بأنهم كانوا يقيمون في إفريقية. التفسير الذي يبدو مناسبا لهذه الحالة هو ما كان سائدا، في ذلك الوقت، مــن أن بلاد السودان لا يمكن الدخول إليها إلا من جهة الغرب. وفي هذا المعنى أورد الاصطخــري[6] قوله. " إن ارض الزنج ليس لها اتصال بشيء من الممالك والعمارات إلا من وجه المغـــرب لصعوبة المسالك بينها وبين سائر الأمم".

ابن حوقل[7]، الذي كتب بعد قرن من اليعقوبي، لم يضف جديدا. كــرس كــل اهتمامــه لوصف الطريق بين سجلماسة - اوليل - غانة، الذي يقول انه كان انشط طريق على أيامــه، وفي هذا تنبيه لامر هام، وهو أن معظم من قاموا بوصف الطرق التجارية كانوا واقعين تحت

---

[1] البكري، المغرب، ص 171

[2] نفس المصدر، ص 163

[3] نفس المصدر، ص 157

[4] اليعقوبي، البلدان، ص 360

[5] مختصر كتاب البلدان، ص 84

[6] مسالك الممالك، ص 40

[7] صورة الارض، ص 92

تأثير سياسي أيديولوجي. فبفضل سيطرة الفاطميين على الطريق الغربي، أمدنا ابن حوقـــل، ومن بعده البكري، بأفضل وصف له بين سائر الطرق[1].

كتابات أبو عبيد البكري (460هـ / 1067م) أعطت أول وصف مفصل للطرق الرابطـة بين بلاد المغرب وبلاد السودان خاصة الغربية منها. قدم معلومات وفيرة عن الطريق المنطلق من تامدلت[2] إلى اوداغست عبر جبال ادرار وصحراء اوران وتاغنت إلى غانة، في مســيرة خمسة عشر يوما[3]. ناحية الشرق اكثر يصف طريقا ينطلق من سجلماســة جنوبا[4]. لـم يكـن وصفه له في دقة وصف الأول. ينحرف هذا الطريق بعد بئر الجمالين ناحية الشرق بحثا عن الملح في تاتنتال[5]، ولم يكن يمر باوداغست، فهو يمر من وادي درعة مباشرة إلى غانا. هذا الطريق هو الأكثر صعوبة، لان القوافل لابد أن تمر فيه على المجابة الكبرى - فتقطع مـــدة ثمانية أيام دون ماء[6]. كما يتطرق لوصف طريق آخر يربـــط سجلماســة بغانــة بطريقــه مقتضبة[7].

العرض الذي يقدمه البكري لا يربط اوداغست بالمدن الواقعة على نهر الســـنغال، ولا باوليل، بالرغم من انه يذكر أن سلي كانت تزاحم غانة في تجارة الذهب[8] . يفـــرد البكـــري[9]

---

[1] ج. دفيس، "التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا"، 410 – 411 – 437 حاشية 167

[2] تقع على بعد عشرين يوما من فاس على خط عرض 45ْ / 28ْ شمال وخـــط طـول 10ْ / 7ْ غرب.

Cooley , The Negro Land of the Arabs, P. 8

[3] البكري، المغرب، ص 157،انظر خريطة طرق البكري، خط رقم (1)

[4] نفس المصدر، ص 163 ؛انظر الخريطة خط رقم (2)

[5] اشارة البكري إلى ان الطريق يمر بارض مسوفة، بالإضافة إلى وصفه لموقع تاتنتال، يوحي بانه نفس مصدر الملح الذي عرف فيما بعد باسم تغازا. اسم تاتنتال لا يذكره من المؤرخين سوى البكري. البكري، المصدر السابق، ص 171

Levtzion, "The Sahara & Sudan", P. 648 ؛

[6] سافر ابن بطوطه، على نفس الطريق ووصف الصعوبات التي تواجه المسافر عليه، ورغم مصاعبه اصبح الطريق الاكثر استعمالا لمروره على تغازا. معدن الملح. ابن بطوطه، مهذب رحلة ابـــن بطوطه، ص 295 – 296

[7] البكر ي ألمصدر السابق، ص 149

[8] نفس المصدر، ص 173

[9] نفس المصدر، والصفحة

طريقاً مستقلاً يصل بين اوليل ونول الاقصى[1]، يقطع بمسيرة شهرين، ويعتبر اسهل معبر للصحراء لتوفر المياه فيه.

ينفرد البكري[2] بوصف عدد من الطرق تربط غانة مع مناطق إنتاج الذهب جنوبها أحدها يقود إلى غيارو عبر مدينة سامقندي[3] والغرنتل[4] . وبعد مخاضة في "النيل" يتجه الطريق الى بلد ملل[5]. في منطقة السنغال هناك طريق جنوبي آخر يبدأ من مدينة تكرور إلى مدينة سلي. وصفه يحيطه شئ من الغموض في تحديد المواقع والمسافات. يتجه من سلي جنوبا إلى مدينة قلنبو ليواصل في نفس الاتجاه، إلى موطن الزافقو، الذين تليهم بلاد الغرويين[6].

من وصف البكري للطرق العابرة للصحراء، يتضح أنها كانت تتركز في الجهة الغربية من صحراء نيسر، وهي منطقة وصفت بكثرة المياه، لذلك فهي منطقة صالحة للسفر في غير فصل الأمطار، فسكانها يحتفظون بالمياه في تجاويف أشجار ضخمة ليستخدمها المسافرون في زمن الصيف[7].

الأحداث السياسية في بلاد المغرب في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، أدت إلى تحول الطرق ناحية الشرق فحلت سجلماسة محل تامدولت، كمركز تجاري اكثر أهمية، ولربما بسبب عرقلة برغواطة لحركة الانتقال. هناك احتمالات اخرى لهذا التحول منها: حتى يمر الطريق بتغازا. نمو تمبكتو في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي / الخامس الهجري، احتمال آخر. فضلا عن نموجني[8]. وبسقوط غانا في يد المرابطين، ومن قبلها اوداغست، نجد أن كل من لمتونة ومسوفة أخذت اقرب الطرق في مناطقها، عبر صحراء

---

[1] انظر الخريطة طريق رقم (6)، ص265

[2] البكري ، المغرب، ص 177

[3] عرف المؤرخون شعب سامقندي بشعب الباكام، الذي يسير افراده عراة، ج. دفيس، "التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا"، ص 450

[4] لم تزل غير معروفة المكان

[5] البكري، المصدر السابق، ص178

[6] البكري، المصدر ، السابق،ص 173

[7] القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، ص 57

[8] نفس المصدر ، ص 27؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص 113؛ ليون الافريقي، وصف أفريقيا، جـ 2 ص 108 ؛ السعدي، تاريخ السودان، ص 11 – 40؛ كارده فو، دائرة المعارف ألاسلامية، جـ 5، ص 465.

نيسر[1] إلى بلاد السودان، متجنبين اوداغست وغانا، سالكين مباشرة إلـــى مـــدن الســـنغال، بالرغم من الصعوبات التي ينطوي عليها عبور صحراء قمنورية/نيسر. لغة الإدريس[2] توضح مدى اضمحلال اوداغست بعد تحول الطرق عنها. راس الماء، هي نقطة أقصى الشمال لنهر النيجر، ونحو هذه النقطة توجه الطريق القادم من سجلماسة نحو بلاد السودان[3].

تحول الطريق ناحية الشرق، يفسر لنا التضارب الذي يبدو من وصف البكري للمنطقـــة الغربية بوفرة المياه، وما أورده الكتاب[4] من بعده بوصفهم للطريق الغربي بأنه يكـــاد يـــهلك المسافرون فيه من شدة العطش.

خطوط السير التي وصفها الإدريس في منطقة الصحراء بأكملـــها تختلـــف عمـــا أورده البكري ولا تشكل مادة جديدة كما يتوقع بعد عدة قرون من الاتصالات مع بلاد السودان عـــبر الصحراء. أهم ما يميز شبكة الطرق التي ذكرها هو أخذنا إلى منطقة السنغال مباشرة. فـــهو يصف طريقا يأخذنا من سلي وتكرور إلى سجلماسة بعد مسيرة أربعين يوما[5]. وطريق آخـــر من اوليل إلى سجلماسة، في رحلة أربعين يوما أيضا عبر صحراء قمنورية[6]. مـــن تكـــرور يتجه الطريق جنوبا نحو بريس، التي هي ربما يرسني البكري، ليأخذنا إلـــى ارض لملـــم[7]. وترتبط بريسي بطريق مع غانة في مسيرة اثني عشر يوما. ومن غانة إلى اوداغســـت نفـــس المسافة الزمنية.

تركيز الإدريس على منطقة السنغال ربما راجع إلى تحالف المرابطين مـــع التكـــرور، وتركيزهم في الاتجار معهم، وعليه فان الطرق تكون رجعت مرة اخرى ناحية الغرب بسبب قيام دولة المرابطين وبسبب غارات بني هلال وسليم على بلاد المغرب[8].

نجد أن الإدريس لم يتطرق للطرق جنوب النيجر والسنغال كما فعـــل البكـــري . مـــن التفسيرات المرجحة لذلك هو أن السودانيين لم يعودوا يسمحون للتجار من الشمـــال بـــالتوغل

---

[1] الادريسي، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص 18

[2] [illegible]، ص 19

[3] نفس المصدر، ص 8 ؛ Cooley , The Negro Land of the Arabs , P. 33

[4] ياقوت، معجم البلدان، جـــ 2، ص 12 ؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص 19؛ ابن بطوطه، مهذب رحلة ابن بطوطه، ص 296

[5] الادريسي؛ المصدر السابق، ص 4

[6] نفس المصدر، ص 5

[7] يذكر الادريسي، ان ملال أو ملل هي من بلاد لملم. المصدر السابق، ص 6

[8] حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 401

نحو مصادر ثروتهم[1].

نستخلص من عرض الإدريس انه كانت هناك شبكتا طرق رئيستين تتنافسان في الحصول على ذهب السودان. تتمحور إحداهما حول مدن التكرور الواقعة على نهر السنغال لتنتهي مرورا بازوقي عند سجلماسة. الأخرى تغطي بلاد نهر النيجر وتسيطر عليها غانا، وهي أوثق ارتباطا بورجلة مما كانت عليه في السابق[2].

أهم المراكز التجارية على نهايات الطرق وفي داخل الصحراء:

بدأت المراكز التجارية بقيام أماكن استقرار في الأودية والواحات، حيث كان يتم التبادل التجاري بين المستقرين وبدو الصحراء. بتسير النقلة والسفر، عبر الصحراء، زاد نطاق التبادل التجاري وتعددت صنوف البضائع القادمة من جانبي الصحراء. شهد القرن الثاني والثالث الهجري / الثامن والتاسع الميلادي نشوء المدن التجارية إذ، بدأت مراكز التجمع في الانتعاش، وازداد عدد سكانها، الذين جذبتهم عوامل توفر الكسب . اختراق الصحراء من كافة جوانبها أدى إلى قيام مدن على نهايات الطرق. وبنمو التجارة نمت تلك المدن وعمل سكانها، المتزايدون من مختلف العناصر، في خدمة القوافل الصادرة والواردة، وتغيرت الحياة البسيطة فيها إلى حياة حضرية، قامت فيها أنظمة ملكية قوية تبعها نظام لادارة الضرائب ومقار لاقامة التجار. بعض هذه المراكز نما وتوسعت حدوده حتى اصبح دولا. وشهدت المنطقة صراعا من اجل السيطرة على مثل تلك المراكز.

الواحات الشرقية:

مثلت هذه الواحات حلقة وصل بين مراكز الأطراف، وكان يسلك من علي ظهرها إلى بلاد السودان. نشطت تجاريا بالوارد إليها من الأمصار الأخرى، إضافة إلى مواردها الحلية من الملح والشب[3]، الشيء الذي أدى إلى إقبال السكان عليها من العناصر المتجولة في الصحراء من بربر وعرب وقبط[4]. كونت في العصر الإسلامي دويلة حكمها آل عبدون[5]. ذكر هذه الدويلة الفزاري في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي واسماها عمل ألواح. المسعودي[6] في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ذكر أنها تحت حكم أمير يدعى عبد

---

[1] انظر أعلاه، ص114/112

[2] ج. دفيس، "التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا"، ص 454

[3] البكري، المغرب، ص 15 ؛ابن سعيد، الجغرافيا، ص 128

[4] البكري، ألمصدر السابق، ص 15/14 ؛ الادريسي، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص 30/29؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص 155

[5] ابن حوقل، ألمصدر السابق، ص 153

[6] مروج الذهب، جـ 2، ص 26

الملك بن مروان، تحت إمرته عدة الوف من الخيالة. غيرانها قد انعزلت بانقطاع الطريق المار عبرها من مصر إلى غانة.

من اشهر هذه الواحات اوجيله، تبعد عن سنترية عشرة أيام في اتجاه الغرب[1]، وهي قرى كثيرة عامرة[2] يربطها طريق إلى مدينة ودان[3]. أهلها كثيرو التجارة ومنها يدخل إلى جمل من بلاد السودان[4].

زويلة :

مثلت واحات إقليم فزان البوابة الرئيسيه، التي عبرها تمت الاتصالات بين حوض بحيرة تشاد وبلاد الهوسا، وبين بلاد المغرب. اشتهرت زويلة منذ القرن الرابع الميلادي بكونها مركزا تجاريا، إلا أن جرمة، مدينة فزان الكبرى[5] كانت اكثر منها شهرة قبل الفتح الإسلامي للشمال الإفريقي. وبالفتح الإسلامي احتلت زويلة مكان الصدارة لكونها مقرا للولاة ثم قاعدة لبلاد فزان[6].

نمت زويلة في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، مع بداية نمو التجارة العابرة للصحراء على طريق طرابلس – تشاد. ومن طرابلس، التي كانت أحد مراكز الاباضية الباكرة، سيطر الاباضية على زويلة. ورغم حملات ابن الأشعث (142هـ/761م) ، استمرت زويلة مركزا تجاريا هاما. إشارة الإدريس[7] إلى إقامة زويلة في سنة 306هـ الموافق 918م ، لتكون مقرا لاقامة عبد الله بن الخطاب، يبدو أنها إعادة بناء للمدينة[8]. موقع زويلة في بداية طريق كوار، المتجه إلى بلاد السودان الأوسط، ربطها بمصادر السودان، خاصة الرقيق الذي اشتهرت به. سكانها أخلاط من أهل المشرق والمغرب، يأتونها بمختلف البضائع يجتمعون بها ومنها يفترق قاصدهم وتتشعب طرقهم. ومنها يدخل إلى بلاد السودان[9].

---

1 الادريسي، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص 30؛ البكري، المغرب، ص 14

2 البكري، المصدر السابق، ص 11

3 نفس المصدر، ص 12

4 الادريسي، المصدر السابق، ص 99

5 البكري، المصدر السابق، ص 12

6 ابن سعيد، الجغرافيا، ص 127

7 الادريسي، المصدر السابق، ص 24

8 Lewicki, "The Role of the Sahara & Saharians in relations between North & South", P. 289

9 اليعقوبي، البلدان، ص 345؛ البكري، ألمصدر السابق، ص 11/10؛ الادريسي، ألمصدر السابق، ص 100/99

مانان وانجمي:

رغم أن مملكة كانم قد ورد ذكرها في المصادر العربية[1] مع اقدم اثنين من ممالك السودان منذ القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، إلا أن كتابات الجغرافيين العرب تخلو من الإشارة إلى مراكز تجارية على نهايات الطرق حول بحيرة تشاد، وتقتصر الإشارة إلى عواصم كانم - برنو، التي سنتعرض لها باعتبارها قد استوعبت النشاط التجاري مع مناطق الشمال.

مانان هي العاصمة الأولى لمملكة كانم[2]. وقد جاء اسم العاصمة الأولى لهذه المملكة بعدة رسوم منها بالاك وابكالا، كما عرفت باسم مانان أو مالان، وقيل أنها ربما ملل اليعقوبي[3]. تقع شمال شرق انجمي على خط 14 درجة شمال تقريبا[4]. اختلف في تاريخ إنشائها إلا أن المهلبي (عاش 291-352 هـ / 903 - 963م)، واخذ عنه ياقوت[5] ذكر أنها كانت المدينة الرئيسة في زمنه. وقد ورد انه حتى سنة 391هـ الموافق 1000م كانت لا تزال مقراً للأسرة السيفية[6].

انتقل مركز الأسرة الحاكمة في كانم بعد ذلك إلى مدينة مير في عهد الماي العاشر شو، حوالي سنة 449هـ الموافق 1057م، وتقع في الشمال الغربي لبحيرة تشاد[7]. وسير عند الإدريس[8] هي تملمة، التي تبعد عن مانان اثني عشر مرحلة. وقد اشتهرت بأنها المركز الرئيسي لتجارة الرقيق[9]. واستمرت عاصمة لمملكة كانم حتى عهد الماي اومي جيلمي (478 - 491 هـ / 1085 - 1097م)[10]

---

[1] اليعقوبي، تاريخه، جـ 1 ص 193؛ ياقوت، معجم البلدان، جـ 3 ص 142

[2] الادريسي، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص 13؛ ابن سعيد،الجغرافيا، ص 95

[3] ابن سعيد،المصدر السابق، ص95; Palmer, Bornu, Sahara & Sudan, P. 106 - 180

[4] Ibid, P. 109

[5] ياقوت، المصدر السابق، جـ 3، ص 142.

[6] Palmer, OP. Cit., 106

[7] Ibid. P.106

[8] المصدر السابق، ص 12

[9] اليعقوبي، البلدان، ص 345

[10] Palmer, OP.Cit., P. 156

انتقلت عاصمة مملكة كانم بعد ذلك إلى انجمي[1]، وقال البعض[2] إن تاريخ إنشائها كان بعد غزو بني هلال وسليم للشمال الإفريقي. وقد استمرت انجمي عاصمة لكانم حتى رحل عنـــها الماي عمر بن إدريس (788-793هـ/1386-1390م) إلى الغرب[3] .

يمكننا القول أن هذه العواصم هي المراكز التجارية الهامة في منطقة كانم . فهي أماكن تجمع التجار القادمين من الشمال للحصول على الرقيق، فقد ورد أن التجار ينتظرون في مقر الملك الشهرين والثلاثة حتى يرجع الملك من غزوات جمع الرقيق، وقد يطـــول انتظـــارهم لســـنة كاملة[4].

<u>غدامس:</u>

مدينة في جنوبي بلاد المغرب ضاربة في بلاد السودان[5]. مكان قديـــم كســـب أهميـــة قصوى كنقطة توقف في الصحراء. ذكره المؤرخون القدماء باسم كدامس أو كدامي[6]. تقع إلى الغرب من اوجيلة حيث يندمج المغرب الشرقي مع الأوسط على حدود حمادة الحمـــرا بيـــن الهضبة والعرق الشرقي الكبير[7]. اكسبها موقعها الجغرافي أهمية، فهي البوابة إلى بلاد كـــانم للقادمين من طرابلس[8] . كما هي منطقة هامة على طريق الصحراء الوسطى التي يدخل منها إلى تادمكه[9]. تعتمد غدامس كلية على التجارة[10].

---

[1] ألقلقشندي، صبح ألاعشى، جـ 5، ص 270 ؛ ايفر، دائرة المعارف ألاسلامية، جـ 3، ص 586

Palmer,Bornu , Sahara & Sudan, P. 146

[2] Ibid.

[3] Ibid., P. 216

[4] ابن سعيد، الجغرافيا، ص 95 ليون الافريقي، وصف أفريقيا، جـ 2، ص 176 – 177

[5] ياقوت، معجم البلدان، جـ 6، ص 268 ؛ القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، ص 57

[6] R.C.C. Law, "The Garmants/Trans – Saharan Enterprise, P. 191

[7] Lewicki, "The Role of the Sahara & Saharians in relations between North & South", P. 285,286

[8] ابن سعيد، المصدر السابق، ص 127؛ ألقلقشندي، المصدر السابق، جـ 5 ،ص 103

[9] البكري، المغرب، ص 182 مجهول، ألاستبصار، ص 146/145

[10] ليون الافريقي، المصدر السابق، ص 146

<u>إغادس:</u>

مركز تجاري قديم منذ عهد الرومان. استخدمه الجرامانت في مطاردتــــهم للأثيوبييــن، وورد عندهم برسم اقسمبا[1] . لم يشر إليها أي من الجغرافيين العــرب، وصفــها ليون[2] بأنــها مملكة، وان سكانها جميعا من التجار الغرباء. السكان يقومون بخدمة التجار وحراسة قوافلــهم ويعتمد دخل المملكة على الضرائب التي يدفعها التجار.

<u>ورجلة[3]:</u>

أهم واحات شرق الصحراء الشمالية. في فترة الحكم البيزنطي للشمال الإفريقي كــانت قرية، تعتبر مرحلة على الطريق الذي يربط نوميديا بالحجار، ومن المحتمل بوســط النيجـر أيضا[4]. ذكرت في المصادر العربية للمرة الأولى في فترة الخليفة هشام بن عبد الملك (105 - 125هـ / 724 - 742م)[5]. في منتصف القرن الأول الهجري أصبحت تتكون من عــدة مــدن ومن ثم عرفت بإقليم ورجلان. ذكر البكري[6] أن واحة ورجلة تضم ســبعة حصــون. مثلــت ورجلة أهم مراكز الرستميين التجارية. لها اتصال عبر الطرق بكل من سجلماســـة وتادمكــه وغانة[7]. إلى الشمال تتصل بشط الجريد وقلعة بني حماد[8]. كما كانت تتصل عبر طريق القوافل بمنطقة تشاد. كثرة اختلاط سكانها بالعناصر الزنجية أدى إلــى ســواد الوانــهم[9]. لأهميتــها الاقتصادية عمل الفاطميون للسيطرة عليها بعد سقوط الدولة الرستمية. سيطر عليها بنو حماد في عهد الناصر بن علناس (482-545هـ / 1062 - 1089م)[10]

---

[1] R.C.C. Law, "The Garmantes & Trans – Saharan Enterprise ., P. 193 "; Mauny , "Trans – Saharan Contacts & the Iron Age in West Africa", P. 286

[2] ليون الافريقي ، وصف افريقيا، جـ 2 ص 172/171.

[3] وردت برسوم مختلفة منها واركلا ورقلان وورجــلان. الادريســي، وصــف افريقيــا الشماليــة والصحراوية، ص 5 ؛ ابن خلدون، ألعبر ، جـ 6 ،ص 269

[4] Lewicki, "The Role of The Sahara & Saharians in relations between the North & South, P. 297

[5] Ibid, P. 298

[6] المغرب، ص 182.

[7] نفس المصدر ، ص 77.

[8] نفس المصدر ، ص 182.

[9] ليون الافريقي، المصدر السابق، ص 136.

[10] ابن عذاري، البيان، المغرب، جـ 1، ص 316/315.

تادمكه:

هي العاصمة السياسية لمنطقة ادرار الجبلية. تقع شمال شرق جاو، وعلى بعد مسيرة تسعة أيام منها، وعلى بعد أربعين مرحلة من غدامس[1]. ساهمت في تجارة الصحراء منذ القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي. أصبحت من أهم مراحل طرق الصحراء الوسطى التي تقود من جاو إلى غدامس ثم طرابلس. بحلول القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي أصبحت مركزاً زاخراً بالعديد من العناصر السكانية. يزورها بصفة رئيسة التجار الاباضية من ورجله والجريد وجبل نفوسة لاستجلاب الذهب الذي يأتيها بكميات كبيرة من أماكن إنتاجه. تمازجت فيها العناصر البشرية حتى وصف ابن حوقل[2] حكامها بني تانماك بأنهم سودان ابيضت ابشارهم. ازدهارها الاقتصادي جعلها تفوق جاو وغانة عمرانا[3]، وذلك لكثرة اتجارها مع بلاد السودان[4].

جاو[5]:

كانت في نشأتها معاصرة لمملكة غانا، تحت اسم كاوكاو، وهي تسمية تغطي العاصمة القديمة كوكيا ثم جاو من بعدها. في النصف الأول من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي كانت قد بلغت شيئاًمن الأهمية، حتى وصل صيتها بلاط الخليفة في بغداد، فكتب عنها الخوارزمي[6].

ربطتها علاقة تجارية مع تاهرت عبر ورجلة. نمت سريعا لوقوعها على نهاية الطرق الصحراوية التي تعبر المنطقتين الشرقية والوسطى، وتتجه نحو حوض النيجر. بنهاية القرن الثالث الهجري اعتبرها اليعقوبي[7] اعظم مناطق السودان. تتكون من مدينتين[8]، الشرقية هي المدينة التجارية، الحركة إليها دائبة من كل الأنحاء. تتفق الروايات الشفاهية مع ما أورده السعدي[9] من أن عاصمة السونغي الأولى كانت كوكيا. وبدخول سونغي ميدان التجارة العابرة للصحراء نشأت مدينة جاو الجديدة، شمال كوكيا، كمحطة للطرق الصحراوية، وكان ذلك في

---

[1] البكري، ألمغرب، ص 183/182 مجهول، ألاستبصار، ص 225.

[2] صورة الارض، ص 105

[3] البكري ، ألمصدر السابق، ص 181

[4] ابن سعيد، الجغرافيا، ص 115

[5] انظر أعلاه، ص27؛ Cooley, The Negro land of the Arabs, P. 103 – 104

[6] Levtzion, "The Sahara & Sudan", P. 677

[7] تاريخه، جـ 1 طبعة 1960 ص 193

[8] البكري، ألمصدر السابق، ص 183 ياقوت، معجم البلدان، جـ 4، ص 329

[9] تاريخ السودان، ص 4

القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[1]. موقع جاو، علـــى انحنــاءة النيجــر نحــو الجنوب، أدى إلى إشرافها على حركة الملاحة والتجارة على امتداد النــــهر غربـــا وجنوبـــا، فتجمعت فيها سلع بلاد السودان، وقصدتها قوافل الشمال، ونتج عن ذلك أن أصبحت المدينـــة التجارية الأولى في وسط النيجر[2]. وبازدهار مركز جاو التجاري رحل ملوك سونغي شمـــالا وانشأوا مدينتهم الملكية على الشاطئ المقابل للمدينة التجارية من اجل السيطرة على التجـــارة وجني ثمارها.

سجلماسة:

بعد نشأتها في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي[3]، أدى ازدياد حركة التجـــارة فـــي منطقة الصحراء الغربية إلى سرعة نموها، خاصة بعد أن أصبحت ملجأ للأندلســـيين الذيـــن غادروا قرطبة بعد ثورة سنة 203هـ الموافق 818م، فجذبتهم المدينة بإمكانات الربح التجاري. ولنفس السبب توطنها اليهود[4]. موقعها الجغرافي كان أحد عوامل ازدهارها. فهي قريبة مـــن أماكن إنتاج الذهب[5]. فضلا عن وقوعها في مكان فسيح في وادٍ كثير المياه، مما ساعد علـــى استيعاب حركة التجارة المتنامية . وبسبب موقعها في أول الصحراء الذي يمكنها من الدخـــول إلى بلاد غانا[6]، أصبحت لها تجارة غير منقطعة مع بلاد السودان[7] وربط الجغرافيون العـــرب اسمها بتجارة الذهب[8]. ساعدتها خصوبة أرضها على توفير كل متطلبـــات التجـــارة العـــابرة للصحراء، من خدمات وأسواق، فوصفها ابن حوقل[9] بقوله "ليس بالمغرب، كله بلد اجمـــع ولا ناحية أوفر واغزر واكثر خيرا منها". أهلها يضيفون المارة ويطعمـــون الطعـــام[10]. ربطتـــها

---

[1] دي لافوس، دائرة المعارف ألاسلامية، جـ 12، ص 265 ؛
Bovill, The Golden Trade of the Moors, P. 88

[2] الادريسي، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص 11/10 ; مجهول، ألاســتبصار، ص 222 - 225

[3] انظر أعلاه، ص 57

[4] Levtzion, "The Sahara & Sudan", P. 645

[5] ألاصطخري، مسالك الممالك، ص 39 ألمسعودي، مروج الذهب، جـ 4 ،ص 92

[6] البكري، المغرب، ص 149

[7] ابن حوقل، صورة الأرض ص 99؛ الادريسي، المصدر السابق، ص 37؛ المقدس، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص 331

[8] نفس المصدر والصفحة

[9] ألمصدر السابق، ص 91

[10] نفس المصدر، ص 99/93

الطرق بمعظم بلاد المغرب[1] فقصدها التجار من كل مكان، وبعمرانها خلت المدن القريبة منها مثل تدغة وزيز[2]. ونتج عن كل ذلك الثراء العريض الذي وصفت به، والذي من اجله تنافست الدول للسيطرة عليها لضمان السيطرة على موارد السودان التجارية[3].

تامدلت:

أسسها الادارسة[4] على بعد عشرين يوما من فاس، على الطريق الـذي يجـري شـرق الجبال[5]. بينها وبين اوداغست أربعون مرحلة[6]. القوافل الخارجة من سجلماسة إلى اوداغست كان لابد لها من المرور على تامدلت[7]. وصفت أسواقها بأنها حافلة[8] وان أهلها في خفض من العيش[9] . تشير المصادر إلى غلبة سجلماسة عليها منذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشـر الميلادي.

ازوقي:

جاء عند الإدريس[10] أنها تسمى بالبربرية ازقي وبالجناوية قوقدم. ذكرها البكري[11] باسـم اركي. لم يتحدث المؤرخون عن نشأتها الأولى غير أنها عرفت بقاعدة قبائل لمتونة[12]، وأنـها حصن ذي نخيل[13]. بعد دخول عقبة بن نافع السوس الاقصى، اتخذها العرب موقعـا متقدمـا يدخلون منه إلى بلاد مسوفة وحاضرتهم اوداغست[14]. ليست بالمدينة الكبيرة ولكنها لعبت دورا

---

[1] البكري، المغرب، ص 153/151 ؛ الادريسي، وصف أفريقيا الشمالية و الصحراوية، ص 38

[2] البكري، المصدر السابق، ص 148

[3] نفس المصدر، ص 151 – 168

[4] البكري، المصدر السابق، ص 161 ؛ اليعقوبي، البلدان، ص 359

[5] Cooley, The Negro Land of the Arabs, P 8

[6] البكري، ألمصدر السابق، ص 157

[7] نفس المصدر، ص 159

[8] مجهول، ألاستبصار، ص 213

[9] ابن حوقل، صورة الارض، ص 103

[10] المصدر السابق، ص 37

[11] ألمصدر السابق، ص 167

[12] ابن سعيد، الجغرافيا، ص 112

[13] البكري، ألمصدر السابق، ص 167

[14] حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 62

في تجارة السودان لقربها من معدن الملح، الذي بينها وبينه مسيرة سبعة أيام[1]. من أراد الدخول إلى بلاد سلي وتكرور وغانة لابد له من هذه المدينة[2] لوقوعها في أول مراقي الصحراء[3]. شهدت نشاطا مكثفاً في الفترة ما بين القرن الرابع والسادس الهجري/ العاشر والثاني عشر الميلادي[4].

اغمات:

مدينتان سهليتان، احداهما اغمات وريكة وهي مسكن الحاكم، وبها ينزل التجار والغرباء. إلى الشرق منها تقع اغمات ايلان التي لا يسكنها غريب[5]. موقع اغمات حسن، كثير المياه. أهلها هوارة يدخلون بلاد السودان بأعداد كبيرة من الإبل[6]. بها أسواق جامعة، يؤمها الكثيرون[7]. بلغت قمتها في عهد المرابطين، فلم يكن في دولة الملثمين، من هو اكثر من أهل اغمات أموالا[8]. نسبة لموقعها على الساحل أصبحت مرسى للسفن[9] فربطت بين الطرق البرية والبحرية. كانت قاعدة المغرب الاقصى، حتى بنى يوسف بن تاشفين مراكش[10].

نول:

مدينة كبيرة آهلة على نهر[11]. تقع على واد يعرف باسمها، على بعد ثلاثة أيام من وادي السوس، وثلاثة أيام من وادي درعة[12]. وهي آخر بلاد الإسلام، وأول العمران من الصحراء. دخلها عقبة بن نافع، ثم عبد الرحمن بن حبيب[13]. أهلها موقعها لتكون أهم المراكز لدخول الصحراء، فارتبطت بالمراكز جنوبي الصحراء وبحوض نهر السنغال[14]. نشأت بها صناعات

---

[1] ابن سعيد، الجغرافيا، ص 113 وحاشية رقم 93

[2] الادريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 37

[3] ابن سعيد، المصدر السابق ، ص 112

[4] ج. دفيس، "التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا"، ص 455

[5] الادريسي، المصدر السابق، ص 45

[6] الادريسي، نفس المصدر، ص 42

[7] البكري، المغرب، ص 153

[8] الادريسي، ألمصدر السابق، ص 43

[9] البكري، ألمصدر السابق، ص 153

[10] الادريسي، ألمصدر السابق، ص 43؛ ابن سعيد، المصدر السابق، ص 125

[11] مجهول، ألاستبصار، ص 213

[12] البكري، ألمصدر السابق، ص 161

[13] نفس المصدر ، والصفحة

[14] حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 88

لتلبية احتياجات تجارة الصحراء[1]. لمّا كانت ملجأ أهل تلك الجهات فيما يرغبون من حوائج قامت بها الفنادق والأسواق لخدمة التجار والغرباء[2]. ارتبطت بغيرها من المدن عن طريق البحر أيضا، فكانت مرسى لاستقبال[3] ومغادرة السفن[4]. أصبحت تجارتها لا تقل عن تجارة سجلماسة واوداغست، فكانت سوقا تمد غيرها بكثيرمن السلع، اشتهرت بصناعة درق اللمط ونسيج الكتان والصوف[5]. ومما يدل على أهميتها أن أصبحت بها دار لسلك النقود بسبب وفرة التبر الذي تجلبه القوافل من بلاد السودان[6].

اوداغست:

مدينة أهلتها مميزاتها وموقعها الجغرافي لتكون مركزا تجاريا هاما. فهي على حدود بلاد السودان، فأصبحت بذلك ملتقى سكان الصحراء والسودان. سكانها من شتى قبائل بلاد الجريد ينتمون بصفة رئيسة إلى قبائل زناتة[7]. وهي مدينة خصبة الاراضي كثيرة المياه. موقعها بين السوس الاقصى وحوض نهر السنغال، جعلها تتحكم في الطرق التي تعبر الصحراء، الشئ الذي جعلها موضع نزاع بين البربر والسوننك[8]. سكانها لا عمل لهم سوى التجارة. اقدم ذكر لها كمحطة جنوبية، لطريق عابر للصحراء، جاء عند اليعقوبي[9]. ابن حوقل[10] ،الذي زارها في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ذكر اتصالها تجاريا بمملكة غانا وكوغة.

تبرز النتائج التي توصل إليها البحث الأثرى إنها مدينة كبيرة، بدأ فيها نشاط صناعي في وسط حضري، منذ القرن الثالث والرابع الهجري/ التاسع والعاشر الميلادي، حيث بدأ المكان يتخذ شكل مدينة لها شوارعها وميادينها ومساجدها. نمت فيها تجارة السلع الفاخرة، على الأقل

---

[1] البكري،المغرب، ص 161؛ الادريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 37

[2] الإدريسي، ألمصدر السابق، ص 37

[3] البكري، ألمصدر السابق، ص 171; ابن سعيد، الجغرافيا، ص 112

[4] ابن سعيد، ألمصدر السابق، ص 111

[5] البكري، المصدر السابق، ص 171; الادريسي، المصدر السابق، ص 37

[6] حسن احمد محمود،قيام دولة المرابطين، ص 400

[7] Cooley, The Negro Land of the Arabs, P. 25

[8] انظر أعلاه، ص 59وما بعدها

[9] البلدان، ص 360

[10] صورة الارض، ص 101

في الأحياء التي كان يقطنها التجار المغاربة[1]. وفي نفس الفترة الزمنية، أصبحت عاصمة لدولة انبيه الصنهاجية، التي خضع لها عدد من ملوك السودان[2].
زخرت بالنشاط التجاري[3]. ربطتها الطرق بعدد من بلاد المغرب، اشهرها طريــق "التمــر"[4]، وبمراكز الصحراء المؤدية إلى بلاد السودان، فضلا عن ارتباطها بحريـا بموانـئ المحيـط الأطلنطي، فالسفن تأتي إليها في البحر المحيط من كل بلد[5].
استمرت اوداغست منتعشة لفترة قصيرة تحت حكامها الجدد، المرابطين، ولظروف خارجـة عن دائرة بحثنا هذا، دخلت دائرة الإهمال وعدم الاستعمال[6]

كومبي صالح:

يرى البعض أنها بنيت سنة 300م على أيام الأسرة الأولى، البيضاء، التي حكمت غانا، وازدهرت على يد حكامها الوطنيين من السوننك[7]. في تحديدهم لموقع المدينة، ربمـا اسـتند الباحثون على تسمية كعت[8] لعاصمة غانة في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي باسم قنب - قنب. وتعتبر هذه أول اشاره مسجلة في التاريخ لعاصمة غانة، كومبي صالح[9]، وعليه يمكن القول أن كومبي صالح أصبحت عاصمة لمملكة غانا بعد انتقال الأسرة السوننكية الحاكمة نحو الجنوب. أعمال التنقيب التي اجريت[10] اعتمادا على إشارة كعت، أسفرت عن وجـود مدينـة إسلامية كبيرة، تغطي مساحة ثلاثة كيلو مترات. قدر عدد سكانها بحوالي الخمسة عشر إلـى

---

[1] **ج. دفيس، "التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا"، ص 456**

[2] البكري، المغرب، ص 158

[3] نفس المصدر، والصفحة

[4] ابن سعيد، الجغرافيا، ص 113 وحاشية رقم 95

[5] القلقشندي، صبح ألاعشى، جـ 5، ص 167 ؛ ياقوت، معجم البلدان، جـ 1، ص 277

[6] الادريسي، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص 19؛
Cooley , The Negro Land of the Arabs, P. 25

[7] ابراهيم طرخان، امبراطورية غانا ألاسلامية، ص 31

[8] محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص 41

[9] **اتخذت مملكة غانا عدة عواصم أو ربما اطلق على العاصمة عدة اسماء منها غانة. كانت اوداغست** عاصمة لغانا في فترة من الفترات. البكري، المغرب، ص168 ;الادريسي، ألمصدر السابق، ص 7 ؛ ابن سعيد، المصدر السابق، ص 92 السعدي، تاريخ السودان، ص 9 ؛
Bovill, The Golden Trade of the Moors, P. 69

[10] قام بها كل من توماس وموني وسزموسكي في سنة 1949/1951م.

العشرين ألفا[1]. ربما مثل هذا الموقع المكتشف مدينة المسلمين التي وصفها البكري[2] في عاصمة مملكة غانا، والتي قيل انه يسكنها التجار وان مساحتها ستة أميال متصلة[3].

تواريخ الراديوكربون تشير إلى أن المدينة ازدهرت في بداية الألف سنة الأولى للميلاد[4]. وانه خلال فترة زمنية طويلة، من القرن الثاني إلى التاسع الهجري/ الثامن إلى الخامس عشر الميلادي، قد جرت فيها أنشطة تجارية. الأشياء المستوردة من الشمال التي وجدت بالموقع[5]، مؤيده بالدليل المعماري، تشير إلى أن مجتمعاً مسلماً ثرياً قد عاش في المدينة.

بحكم موقعها الجغرافي كانت كومبي صالح حاضرة سودانية تحكمت في مداخل ومخارج تجارة الصحراء. ولا يعوزنا الدليل على أن اتصالات قد قامت بينها وبين اوداغست وغيرها من مراكز الشمال. ووجود قسم للتجار في العاصمة الغانية دليل على أنها كانت قبلة القوافل التي تأتيها من الشمال أملا في الحصول على ذهب السودان[6]. فضلا عن أنها كانت مركزا هاما بالنسبة لاهل الجنوب الذين يأتونها حاملين ذهبهم للحصول على ملح أهل الشمال. وهكذا ارتبطت كومبي صالح بالمراكز الداخلية والخارجية وسيطرت على تجارة السودان مع بلاد المغرب إلا أن وقوعها في أيدي المرابطين أدى إلى ضعفها. وبسقوها في يد الصوصو، تحول التجار عنها إلى مدينة والاتا[7]، التي كانت في ذلك الوقت مركزا تجاريا صغيرا إلى الشمال من كومبي صالح.

---

[1] Levtzion, "The Sahara & Sudan", P. 674

[2] المغرب، ص 175

[3] مجهول، ألاستبصار، ص 220

[4] Levtzion, OP.Cit., P. 674

[5] Ibid.

[6] الادريسي، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص 7 ؛ ابن خلدون، ألعبر، جـ 6 ص 266؛ Bovill, The Golden, Trade of the Moors, P. 82

[7] وردت أيضا باسم ايو لاتن، الذي هو جمع ولاته، ويعني مجموعة مدن متصلة. وصفها ليون كاقليم وليست مدينة. يطلق عليها اسم بيرو بلغة السونغي. ليون الافريقي، وصف أفريقيا، ص 33 ؛ Cooley The Negro Land of the Arabs, P. 74

تيرقي:

تقع إلى الشرق من غانا وهي على النيجر، الذي منها إلى الجنوب[1]. يربطـــها طريـــق بتادمكه. يجتمع في أسواقها أهل غانا وتادمكه[2]، وهي تحت سلطة ملك غانا[3]، وتبعـــد عنـــها مسيرة ستة أيام. وصفت أبانها كبيرة آهلة ومن بلاد ونقارة التبر[4].

وهكذا نجد أن تطور العلاقات الاقتصادية، على جميع المستويات، بين بـــلاد الســـودان ومن يتعامل معها من أطراف متنافسة في الشمال قد اسهم فيه إسهاماً غير قليل تنوع مســـالك التصدير، وتنوع السلع، وتنوع الزبائن، الذي سعى إليه ملوك الســـودان. فكـــثرة الســـفارات والمراسلات كشفت عن الدبلوماسية اللبقة التي اتبعها ملوك السودان في سعيهم وراء الخلاص من النتائج الوخيمة التي قد تنتج عن احتكار منتوجاتهم بيد مشتر واحد. ومبلغ ازدهار التجارة عبر الصحراوية كشف عنه مبلغ الدين الكبير، الذي لم يسمع بمثله في العالم الإسلامي، فـــي صك بين محطتين على أحد خطوطها الذي أورده ابن حوقل.

---

[1] مجهول، ألاستبصار، ص 223

[2] البكري، المغرب، ص 180

[3] الادريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 9

[4] نفس المصدر، ص 21 ؛ مجهول، ألمصدر السابق، ص 222

الباب الثالث

العلاقات الثقافية والحضارية بين بلاد المغرب وبلاد السودان

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول:

انتشار الإسلام

في بلاد المغرب:

لم يكن خروج المسلمين للفتح، حسب التعليمات الصادرة من دار الخلافة[1]، إلا لنشر الدين الإسلامي وتأمين حدود دار الإسلام. وحركة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب هي جزء من الامتداد الإسلامي خارج الجزيرة العربية، الذي بدأ منذ عهد الخليفة أبو بكر الصديق (رضى) . وأن كان فتح بلاد المغرب إسلاميا قد بدأ في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضى) [2] ،إلا أن الفضل في إكمال فتحه، ونشر الإسلام وثقافته فيه، يرجع إلى ولاة الأمر في الدولة الأموية، التي لم يستقم لها الأمر فيه الأبعد جهاد دام اكثر من نصف قرن من الزمان[3]. وهى فترة طويلة، لم تستغرقها أي من الفتوحات الإسلامية الأخرى، إلا أن الإسلام كان في بلاد المغرب اكثر نجاحاً و أوسع انتشارا.

وبما أن تعاليم الإسلام في التوسع كانت ثلاث : الإسلام أو الجزية أو الحرب[4] فقد التزم بها المسلمون في بلاد المغرب منذ البداية، فكان قاده الفتح وجيوشهم دعاة بالدرجة الأولى. الخطوات العملية كانت منذ حملة عمرو بن العاص على إقليم برقة، إذ سارت الدعوة إلى الإسلام جنباً إلى جنب مع مسيره الفتح، فكانت الجيوش العربية الإسلامية تضم عدداً كبيراً

---

[1] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 232/81 ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، جـ4، ص105؛ الناصري، الاستقصاء، جـ 1، ص 73؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص 315.

[2] ابن عذارى، البيان المغرب، جـ 1، ص 8 ؛ المقريزي، الخطط ، جـ1، ص 269 / 270 ؛ شهاب الدين عبد الوهاب النويري، نهاية الأدب في فنون الأدب، دار الكتب المصرية، 1399 هـ / 1949 م ، جـ 19 ، ص 412 .

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 43 ؛ سيرتوماس ارنولد، الدعوة الى الإسلام، ص 143 ؛ حسن احمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في أفريقية ، ص 155.

4.الطبري، المصدر السابق، ج 3، ص 295 – 297 ، جـ 4، ص107؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 2، ص 412، 457؛ البلاذري، المصدر السابق، ص 315/301 .

من الصحابة والتابعين[1] الذين كانوا يضعون مصلحه الدعوة الإسلامية فـوق كـل مصلحــه، فالتبشير بالإسلام كان جهادهم الأكبر[2] وبذلوا جهدا كبيرا لإدخال البربر في الإســـلام. ففـــي رواية عن الليث بن سعد[3] قال : " كتب عمرو ابن العاص على لواتة من البربر في شرطـــه عليهم، أن عليكم أن تبعيوا أبناءكم وبناتكم فيما عليكم من الجزية " . ولعل ذلك مـــن اجــل تربيه هولاء الصغار على الإسلام ومبادئه، لأنه لم يعرف عن المسلمين أن اشـــترطوا علـــى سكان البلاد المفتوحة من قبل، شيئاً من هذا.

عمل عقبة بن نافع، منذ أن قدم بلاد المغرب في حملة عمرو بن العاص في سن 21هـ – 641م ، على نشر الإسلام في تلك البلاد وذلك نزولاً على قول رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ويقيمـــوا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا عصموا مني دماءهم وأموالهم، ألا بحق الإسلام، وحســـابهم على الله"[4] . وبعد فتح زويلة عرض الإسلام على قبائل ذلـــك الإقليـــم فاستجابوا وحســـن إسلامهم[5] وبينما كان المسلمون في المشرق منشغلين بالفتنة، التي أدت إلى استشهاد الخليفـــة عثمان بن عفان (رضى) ، وكان الفتح العسكري متوقفاً، كان عقبة معتزلاً للفتنه، مقيماً فـــي برقه[6] يدعو إلى الإسلام . ونحن نجهل أساليبه التي اتبعها في الدعوة ، ولكن يبدو أنه كـــان يبدأ بالدعوة السلمية، ولكن حين تظهر حركات التمرد والعصيان، كان يلجا للقوة[7] . وكان من

---

[1] ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب، ص 247؛ المالكي، رياض النفوس، جـ 1 ، ص 41 فما بعدها.

[2] محمود شيت خطاب، قادة فتح بلاد المغرب العربي ، طبعه بيروت 1984 ، الطبعة 7 ، جـ2، ص 166.

[3] ابن عبد الحكم، , المصدر السابق، 229 ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ،ص 314 ؛ النويري، نهايـــة الأرب ، ج19 ، ص 330 .

[4] أبو عبيد ،القاسم بن سلام ، الأموال ، تحقيق محمد خليل هراس ، دار التراث الإسلامي ، قطـــر ، ص 28 ؛ محمد بن إسماعيل البخاري ، الجامع الصحيح ، دار الجيل ، بـــيروت ج 1، ص12 ، 13 .

[5] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 230 ؛ البكري ، المغرب ،ص10 ؛ الطبري ، تاريخ الأمـــم والملوك ، ج 4 ، ص 144 ؛ ياقوت، معجم البلدان ، ج3 ، ص 160 ؛ ابن الأثير ، الكامل، ج3 ، ص465 .

[6] ياقوت ، المصدر السابق ، ج1، ص 420

[7] ابن عبد الحكم، المصدر السابق،_ ص 262 ؛ البكري ، المصدر الســـابق، ص13 ؛ ابـــن تغـــري بردي، النجوم الزاهرة ، ج1 ، ص 125 .

نتيجة حملاته أن وصل الإسلام حدود أفريقية الشرقية، غرباً [1] كما شمل كل الأراضي الصحراوية جنوب برقه وطرابلس، فزان، ودان وما يعرف ببلاد الجريد . فقد أشار كل من المالكي[2] وصاحب كتاب الاستبصار[3] إلى أن سكان تلك المناطق قد اسلموا على يدي عقبة بن نافع الشيء الذي أيدته دراسات حديثه [4]

دخلت أعداد ليست بالقليلة الإسلام في تلك الفترة [5] وتحولت منطقة برقه إلى منطقة إسلامية، خاصة بعد فتح اجدابية، التي دخل كثير من سكانها في الإسلام[6]. ولا أدل على أثمار الجهود التي بذلت لنشر الإسلام بين البربر في تلك الفترة الباكرة، من إقبالهم على الانضمام للجيش الذي أرسله الخليفة معاوية ابن أبي سفيان إلى عقبة بن نافع حين وجهه لفتح أفريقية[7]. كل هذا يدل على أن فتح بلاد المغرب منذ خطواته الأولى لم يكن فتحاً حربياً وحسب، بل كان فتحاً دينياً، بدأت البلاد على أثره تنتقل إلى الإسلام والعروبة . وقد لوحظ إقبال أهل جنوب المغرب على اعتناق الإسلام من أول وهله، ودون عناء، الشي الذي عزاه بعض المؤرخين [8] للشبه بين سكان تلك الجهات والعرب، لبيئتهم التي يغلب عليها الطابع الصحراوي.

يعتبر بناء القيروان أولى الخطوات العملية لترسيخ الوجود الإسلامي ببلاد المغرب[9]، لأن أفريقية كما وصفها عقبة كانت " إذا دخلها إمام أجابوه للإسلام فإذا خرج منها رجع من

---

[1] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ،264 ؛ البكري ، المغرب، ص 14 .

[2] رياض النفوس ، ج1 ، ص 63 .

[3] مجهول ، ص 155.

[4] برونشويك ، مجلة حوليات معهد الدارسات الشرقية ، 1947 العدد 5 ، ص 96 عن عبد القادر زبادية ، مملكة سونغي في عهد الاسيقيين ، ص 134 .

[5] محمد عبد اللطيف عبد الشافي ، العالم الإسلامي في العصر الأموي ، دار الوفاء ، القاهرة 1984 ، طبعة أولي ، ص 398 / 399 .

[6] ياقوت، معجم البلدان،ج1 ، ص 100.

[7] نفس المصدر ، ج4 ، ص 420 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج3 ،ص 465 ؛ النويري، نهاية الأرب ، ج22 ، **حققه مصطفي أبو ضيف احمد تحت عنوان المغرب الإسلامي في العصر الوسيط ، نشر** الدار المغربية ، الدار البيضاء ، ص 187 .

[8] ابن خلدون، العبر، ج6 ، ص116 ؛ غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص 308 ؛ عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ص 186. لتفسير هذا التشابه أنظر اليعقوبي ، البلدان ، ص99 وما يليها .

[9] المالكي، المصدر السابق ، ص6 ؛ النويري، المصدر السابق، ج22 ، ص187.

كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر "[1]. فببناء القيروان لم يقيم عقبة قاعدة حربية، وإنما أشاد صرحاً للإشعاع الإسلامي[2]. فمنها بعثت السرايا وأرسلت الغزوات، لتعريف البربر بالإسلام، ولاستكشاف معالم البلاد ليسهل على المسلمين التحرك فيها [3].

تواصلت الدعوة إلي الإسلام في عهد أبي المهاجر دينار، وأن لم تصلنا أخبار عن قبول المناطق التي وصلها للإسلام، باستثناء إسلام كسيلة، زعيم قبيلة أوربة [4]، غير أنه من المرجح أن يكون قد اسلم عدد لا يستهان به من أفراد قبيلته بإسلامه.

خرج عقبة مجاهداً في سبيل الله [5] في مناطق لم تطأها خيل المسلمين من قبل، في ولايته الثانية. فكان يدعو الناس للإسلام ويبني المساجد، في حملته التي اجتاح فيها بلاد المغرب حتى المحيط الأطلنطي. بنى مسجداً بدرعه وبالسوس الأدنى، وآخر بالسوس الأقصى، عند وأدى نفيس[6]. كما ترك بعض الدعاة لتعليم الناس الإسلام وهدايتهم إليه، مثال ذلك تركه الداعية شاكر بن عبد الله الازدي، على ضفاف وأدى تانسفت، فبنى ذلك الداعية رباطاً عرف باسمه[7].

وصل صوت الإسلام إلى سكان المغرب، من المغرب الأدنى وحتى المغرب الأقصى، وفشا فيهم دين الله [8]. ولا أدل على انتشار الإسلام في بلاد المغرب من تخليص ابن مصاد، صاحب قفصه، للمسلمين من اسر كسيلة، بعد معركة تهودا، وإرسالهم إلى القيروان[9]، وهو فعل لا يقع الا من مسلم أو متعاطف معهم لوجود الكثير من المسلمين في منطقته فدفعوه لمثل

---

[1] ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص 19؛ مجهول، الاستبصار، ص113؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، ج2، ص175.

[2] مجهول، المصدر السابق، ص 113/ 114؛ ابن عذارى، المصدر السابق، نفس الصفحة.

[3] ابن الأثير، الكامل، ج3، ص 466، الناصري، الاستقصاء، جـ 1، ص 79.

[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ص28 / 29؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص 142.

[5] **المالكي، رياض النفوس، ج1، ص22؛ الرفيق القيرواني، تاريخ أفريقيا والمغرب، ص40؛ ابن** عذارى، المصدر السابق، ص23.

[6] ابن عذارى، المصدر السابق، ص27.

[7] نفس المصدر، ج1، ص27. عن شاكر أنظر سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ص 202.

[8] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 42؛ ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص420، احمد بن يحي الونشريش، المعيار المغرب، ج6، ص 134.

[9] ابن عذارى، المصدر السابق، ص29؛ ابن خلدون، ~~التاريخ~~ المصدر، ج6، طبعة دار العلم للجميع، بيروت، بدون تاريخ، ص147؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص 159؛ الناصري، المصدر السابق، ج1، ص84.

هذا الفعل[1]. كما أن سكوت كسيله على من بقى من المسلمين في القيروان، يمكن أن يؤخذ دليل على ما كان للمسلمين من كثره أوجبت عليه مثل ذلك السكوت، حتى يطفئ النار التي اشتعلت في أفريقيا بمقتل عقبة ومن معه[2].

أن كل مرحله من مراحل الفتح في بلاد المغرب كانت تدفع الموجه الإسلامية خطـــوة إلي الأمام . فجيوش الفتح بدأ ينضم إليها أعداد ممن اسلم من البربر . أنضم إلى جيش زهير بن قيس (65هـ/ 681م) الفأن من البربر، والى جيش حسان بن النعمان (82هـــــ/701م) أثنى عشر ألفا[3]. تزايد أعداد البربر الداخلين في الإسلام ، والمشـــاركين فـــي الجـــهاد طلبـــاً للشهادة، جعل حسان يسند إلى هلال بن ثروان اللواتي قياده جيوش المسلمين، وهذا يعنـــى أن الإسلام كان قد بدأ في الرسوخ وسط البربر، فضلاً عن أن مهمة نشر الإسلام لم تعد تقتصـــر على العرب بل شاركهم فيها البربر[4].

عندما اكتمل فتح بلاد المغرب عسكرياً على يدي موسى ابن نصير (86 – 92هـ/705 – 711 م) رأى أن يكون إسلام البربر عن معرفة واقتناع، فأمر العرب أن يعلمـــوا الـــبربر القرآن الكريم ويفقهوهم في الدين ، فترك في المغرب الأقصى ســـبعه عشـــر رجـــلاً لذلـــك الغرض[5]. ومنذ ذلك الحين استقر الإسلام ببلاد المغرب، ورسخت في البربر كلمته، وتناســـوا الردة[6]، وشاركوا العرب المسلمين في فتح بلاد الأندلس، قياده وجنداً[7]. فكان فتح الأندلس بذلك من العوامل التي أسرعت بعمليه انتشار الإسلام في بلاد المغرب[8] .

---

[1] شكري فيصل ، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري، مكتبة المثنـــي، بغـداد، ومكتبـه الخانجي مصر 1952، ص 178

[2] ابن عذارى، البيان المغرب، ص 30 ؛ المالكي، رياض النفوس، ص 28؛ ابن أبي دينار، المؤنـــس، ص 32؛ ابن خلدون، العبر، ص 109 ، 147 .

[3] المالكي، المصدر السابق، ص 29، ص 36؛ ابن عذارى، المصدر الســـابق، ص 38؛ ابـــن أبـــي دينار، المصدر السابق، ص 35؛ الناصري، الاستقصاء، ص 94.

[4] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص270 ؛ المالكي، المصدر السابق ، ص 36 ؛ صالح بـــن قربة ‹‹ حسان بن النعمان ودورة في نشر الإسلام في المغرب›› مجلة الأصالة، مجلد 7، عـــدد 63 1978 ، ص 94.

[5] ابن عذارى، المصدر السابق، جـــ 1 ، ص 42؛ الناصري، المصدر السابق، جـــ 1، ص 96.

[6] ابن الأثير، الكامل، ج4، ص 540؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، طبعة بيروت، ص 110.

[7] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، جـــ 4 ، ص 468؛ ابن الأثير، المصدر السابق، جـــــ 4، ص 540 – 556، النويري، نهاية الأرب، جـــ 22 ، ص 204 . عن طارق بن زياد واليا لطنجة أنظر ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 275؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ص 42.

[8] حسن احمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص 161.

بعثة الخليفة عمر بن عبد العزيز (99هـ/717م) والتي كان على رأسها إسماعيل بن أبي المهاجر، عملت على إدخال عامه البربر في الإسلام ، كما عملت على تنقيه دين البربر **مما كان عالقاً به من ادران**[1]**. قال النويرى**[2] **أن الإسلام غلب على بلاد المغرب في ذلك العهد** . فقد اختط كلٍ من أفراد البعثة العشرة[3]، بجوار منزله مسجداً وكتاباً لتعليم القرآن ومبادئ العربية لصغار البلد[4]. فكان إسلام أهل المغرب أثرا من آثار تلك البعثة.

من العوامل التي أسرعت بانتشار الإسلام في بلاد المغرب، أن سكانه لم يكونوا قد تأثروا كثيراً بالمسيحية، دين حكامهم قبل دخول الإسلام، خاصة سكان الداخل الذين ظلوا على وثنيتهم[5]. فضلاً عن سياسة الولاة الإسلاميين الذين تعاقبوا على حكم المغرب وما بذلوه من جهد لنشر الإسلام[6].

الجزء الثاني من صراع البربر ضد السيطرة العربية، وجد له متنفساً على مستوي أيديولوجي داخل إطار الإسلام . فبدأوا في الانتظام في الفكر الخارجي، الذي لم يجد له قبولاً في العالم الإسلامي كما وجده بين البربر . البربر ليسو بأي مقياس ضد الإسلام ، فالمذاهب الخارجية تعبير عن قبولهم للإسلام كدين. فعن طريق نشاط مشائخ الاباضية، اصبح البربر أكثر إحاطة بشئون دينهم وواجباته . غير أن اعتناق البربر لمذاهب الخوارج له جذور اجتماعية وقوميه، أدت بهم لمقاومة الطبقة العربية الحاكمة[7]، على وجه الخصوص، وخير دليل على ذلك قبولهم لغير البربر حكاماً[8]، وهذا شئ يعكس معرفة البربر للإسلام ومعارضتهم

---

[1] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 287 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ص 48، المالكي، رياض النفوس، ص 67؛ الناصري، الاستقصاء، ص 101.

[2] نهاية الارب، جـ 22 ، ص 211.

[3] لتراجم أعضاء هذه البعثة أنظر: المالكي، المصدر السابق، ص 64 – 76.

[4] **حسن حسني عبد الوهاب، ورقات من الحضارة العربية في أفريقيا، جـ 1، تونس 1965 ، مطبعة** المنار 1965 ، ص 78.

[5] سير توماس ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 144 – 145 – 147 – 152؛ حسن احمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص 155 – 156 – 158.

[6] نفس المرجع، ص 159.

[7] حسين مؤنس، مقدمة كتاب رياض النفوس، للمالكي، ص 6م؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، جـ 2، ص 176.

[8] مثل ابن رستم الفارسي الاباضي في تاهرت، الادارسة العلويين السنيين في المغرب الأقصى الفاطميين الشيعة بين كتامة البربرية، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، ص 178.

لكل الأنظمة، باختلاف مذاهبها الدينية ، كانت ذات صبغه دينية[1]. حركه برغواطـــة، كـانت محاولة لبربره الدين الإسلامي القادم من الشرق[2]، فصادفت نجاحاً وسط المراكشيين ، الذيـــن نجحوا في حماية دولتهم المستقلة عن الخلافة، حتى أخضعهم المرابطون في القرن الخـــامس الهجري، الحادي عشر الميلادي.

وجه الفاطميون ضربه قاصمه للخوارج، ولكنهم لم يستطيعوا جـذب جمـــهرة الـبربر لنظامهم الديني[3] . وبخروج الفاطميين عن بلاد المغرب الى مصر، لم يعد المذهب الخـــارجي نظام البربر الديني ، فقد فعاليته كأداة لمقاومة الحكم الأجنبي، خاصة بعد أن أعلن الزيريـــون استقلالهم عن الفاطميين ورجوعهم الى مذهب السنة، تحت مظلة الخلافة في بغداد[4].

ما تبقى من الخوارج توجه نحو الأماكن النائية من بلاد المغرب أو اتجه للأخذ بمذهب الإمام مالك، الذي كان في ذلك الوقت قد أصبح بعيد الجذور في بلاد المغرب . فنتيجـــة لمـا أصاب بلادهم من الاضطرابات والفتن، نفر أهل المغرب عن التأويل، فـابتعدوا بذلـك عـن مذهب أبي حنيفة، الذي كان عليه حكام المغرب، حتى عـــهد الاغالبـــه[5]، وتمســكوا بالكتـاب والسنة[6]، الشيء الذي أدى لأن يبطش الحكام بمعارضيهم، فأنتقل الفقهاء الشهداء الـــى مقـام الأولياء والصالحين[7]. وبفضل الإيمان بالأولياء والصالحين قامت الدول المغربية الاصيله على أكتاف فقهاء المالكية[8].

أسلمة بلاد المغرب تحققت واكتملت بحوالي القرن الرابع الهجري / العاشر الميـــلادي، فيما عدا بعض الأماكن التي بقيت فيها بعض الجيوب المسيحية واليهوديــــة والبرغواطيـــة[9].

---

[1] حسين مؤنس، مقدمة كتاب رياض النفوس، ص 7م.

[2] ابن حوقل، صورة الأرض، ص 82.

[3] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 8 / 9.

[4] ابن خلدون، العبر، ج6 ، طبعة بيروت، ص 114/113، حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 21.

[5] نفس المرجع، و الصفحة

[6] المالكي، رياض النفوس، ص 165 ؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 9 / 10 ؛ حســـن احمـــد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 93/92.

[7] الدباغ، معالم الأيمان، جـــ 2 ، ص 204، حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 14 ، حســـن احمـــد محمود، المرجع السابق، ص 96 / 97.

[8] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص 210 – 211 ؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 26/21 .

[9] حسن احمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، جـــ 1، ص 31 ؛ محمد الفاسي، "مراحـــل تطور الإسلام وانتشاره في أفريقيا، تاريخ أفريقيا العام، مجلد 3 ، فصل 3 ، ص 66.

وبوقوع البلاد في أيدي المرابطين من البربر، أنهوا ما تبقى من الخوارج والشيعة والهراطقه، فتركزت فيها المدرسة الإسلامية السنية المالكية[1]، وصار الإسلام أهم موجه لتاريخ البربر وحركاتهم السياسية.

رغم الجهود التي بذلت لحماية الدين القويم من المعتقدات الأخرى، فقد سمح للبربر بالمحافظة، ولفترة ليست بالقصيرة، على درجة من الاصاله، لم تكن لتغير شيئاً من المعالم الأساسية للحياة الإسلامية. فأعراف الناس وأعمالهم المألوفة مقبولة في الفقه المالكي، طالما أنها لا تتعارض مع الإسلام[2]

انتشار الإسلام في بلاد السودان عبر بلاد المغرب:

كان إسلام البربر عاملاً حاسماً في انتشار الإسلام في بلاد السودان، وعلى وجه الخصوص أولئك الذين كانت تمتد مضاربهم جنوب المغرب الأقصى، ثم تمتد على ساحل المحيط الأطلنطي حتى مشارف نهر السنغال[3]

يعتبر عقبة بن نافع أول من بشر بالإسلام بين قبائل الملثمين عندما دخل المغرب الأقصى[4]، وترك بينهم من يعلمهم الإسلام، الشيء الذي يجعلنا نعتقد أن ثمة تحول الى الإسلام قد بدأ يظهر بينهم في ذلك الوقت المبكر[5]. وكان طبيعيا الا تحول الصحراء الكبرى بين الحياة الجديدة في الشمال، وبدائية الحياة في الجنوب . فالعرب، الذين ماجت بهم أقاليم الشمال، لهم صلة وثيقة بالصحراء ، فليس بدعاً أن يتخطوها جنوباً . وهناك الرواية التي توصف بالمغالاة، والتي تقول بأن عقبة بن نافع قد دخل بلاد السودان[6] وفتح بلاد التكرور وغانا[7]، وأنه في سنة 60هـ 679م كانت توجد جالية إسلامية في مملكة غانا[8].

في الربع الثاني من القرن الأول الهجري / النصف الثاني من القرن السابع الميلادي

---

[1] حسين مؤنس، رياض النفوس، ص 23.

[2] ابن خلدون، العبر، جـ 6 ، طبعة بيروت، ص 226 ؛ زكرى درامانى اسيفو، "الإسلام كنظام اجتماعي في أفريقيا منذ القرن السابع الميلادي"، ص 122.

[3] البكري، المغرب، ص 171 ; Trimingham, A history of Islam in west Africa, P. 10

[4] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 268/267 ؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ص 108.

[5] ابن عذارى، البيان المغرب، جـ 1، ص 27 ؛ حسن احمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، جـ 1 ، ص 227.

[6] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 28.

[7] أنظر أعلاه ص40 ، 44

[8] Barth, Travels & Discoveries in Northern & Central Africa, vol. , IV , P. 570

اسلم حرب بن حفص بن صولات[1]، أمير زناتة، على يدي الخليفة عثمان بن عفان (رضى)، فكانوا على السنة والجماعة يجاهدون السودان[2]. وقد أدى العرب والبربر المسلمون، الذين كانوا قد استقروا في ازوقي، دوراً في إدخال الإسلام الى الصحراء، حيث أن بني وارث الصنهاجيين قد اسلموا على يدي عقبة بن نافع[3]. أما من جهة الصحراء الشرقية فقد وصل العرب المسلمون في ذات الوقت الى قلب الصحراء، الى منطقة فزان وكوار[4]. إذاً فقد كان إسلام أهل الصحراء، بطرفيها الشرقي والغربي، هو الخطوة الأولى لانتشار الإسلام في بلاد السودان .

أدت جهود الولاة، من بعد عقبة ، الى استقرار أعداد كبيره من البربر المسلمين ، في بلاد المغرب الأقصى ، فأنتشر بوجودهم الإسلام في تلك المناطق . كما فتحت حملة عبيد الله بن الحجاب، الي السوس الأقصى، الطريق أمام القبائل البربرية المسلمة نحو الصحراء والأطراف الشمالية لبلاد السودان . فأضحت تلك المنطقة امتداداً للمغرب المسلم، واصبح نشر الإسلام والدعوة له في المناطق الى الجنوب منهما، من مسئولياتهم ، حتى استشهد أحد زعمائهم في موضع يقال له قنقاره من بلاد السودان[5]، ودان لهم بعض ملوك السودان، واتقاهم آخرون بالجزية[6]

بدأت وفود الرحالة وجماعات الدعاة في سلاسل لم تتوقف من حينها بين الشمال والجنوب، عبر الصحراء . أصبحت الصلة بين الجانبين وثيقة، يحكم رباطها المحيط الأطلنطي وطرق القوافل البرية، فقد ورد أن ما يربو على الف داع كانوا يغادرون طرابلس في كل عام للعمل في بلاد السودان[7].

---

[1] ورد باسم خرز بن صولات وباسم وزمار بن صقلاب. ابن خلدون، العبر، ص 108/104؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ص 252 ؛ ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ص 153 .

[2] نفس المصدر، ص 225 ؛ البكري، المغرب، ص 164؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 104 ؛ السعدي، تاريخ السودان، ص 25 .

[3] البكري ، المصدر السابق، ص 164؛ عبد الرحمن الجيلالي، "هولاء التوارك الملثمون" ، مجلة الأصالة، 1979، العدد 22 ، ص 33؛ حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 62.

[4] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 263؛ البكري، المصدر السابق، ص 13؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص 59.

[5] البكري، المصدر السابق، ص 164.

[6] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 226 ؛ ابن خلدون، المصدر السابق، جـ 6، ص 241 .

[7] سير توماس ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 392 ، حاشية 3.

الغزو من قبل المسلمين، في بلاد المغرب، لبلاد السودان لعب دوراً لا يذكر . فالإسلام ينهى عن إرغام الناس على اعتناقه. لم تكن الفتوحات التي تمت في القـــرن الأول الـــهجري تستهدف فرض الإسلام، بقدر ما كانت تستهدف التعريف به وتوسيع رقعة دار الإسلام[1].

واجه تقدم الإسلام في بلاد السودان عدة عقبات . وتقدم المسلمون من البربر والعـــرب كان يتوقف كلما واجهوا مقاومة يصعب التغلب عليها . فإدراكهم للمخاطر التي تنطوي عليـها الهزائم العسكرية الكبيرة، جعلهم يقتصرون على عمليات اختراق تقوم بها مجموعات مدنية . وكان للمسلمين أسباب قوية للتروي في دخول مناطق آهلة بـــأقوام يتمتعـــون بذاتيـــة ثقافيـــة واجتماعية متينة . فالمنطقة المارة من أراضى سوننكه في ناحية الغرب الى أراضى كـــانمبو في الوسط تمثل عالماً به دول تكاد تضاهى ما كان قائماً وقتها في الشمال الأفريقي[2]. لذلك لـــم يسع المسلمون الى حمل أهل تلك المناطق على اعتناق الإسلام، واكتفوا بالعيش بينهم لفترة، لم تخل من الفائدة، إذ كانت النتيجة أن رسخ الإسلام على امتداد الحزام السوداني مـــن المحيـــط الأطلنطي الى بحيرة تشاد وما ورائها . وعليه يمكن القول أن انتشار الإسلام في بلاد السودان لعب فيه من اسلم من البربر والتجار الاباضية والصفرية وممثلو المصالح المغربية، أدوارا لم يكن للعنف فيها نصيب[3]. والدليل على تغلغل الإسلام السلمي في بلاد السودان، ظفره بـــأقوى القبائل وأشجعها وأكثرها عدداً، مثل التكرور والسوننك والديولا والسونغى والماندنجو والهوسا والكانوري والكانميين،وجاء انتشار الإسلام في بلاد السودان شاملاً لكـــل طبقـــات المجتمـــع وبيئاته، فلم يكن دين الطبقة الحاكمة ليبقى ببقائها ويذهب بذهابها.

كانت الهجرات البشرية القادمة من بلاد المغرب من أهم الوسائل التي أدت الى اســـلمه بلاد السودان . فالبربر المسلمون كان هناك ما زعزع استقرارهم في بلادهم ، إذ أن الفاتحين الجدد قد آثروا الداخل على الساحل، ومن ثم أخلى الكثير من البربر مكانهم للعرب واندفعـــوا جنوباً[4]. ولما لم يكن للسودان طاقة لمقاومة الوافدين عليهم، فقد استسلموا وانقادوا لســـلطانهم وتأثروا بثقافتهم، وفى مقدمتها الإسلام[5]، إذ سجل أن أهل غانا قد اسلموا من أول الفتح[6].

---

[1] I. Herbik, "The spread of Islam to the South of the Sahara", General History of Africa, UNSCO, vol. III Sec. III, P. 67

[2] زكري دراماني اسيفو، " الإسلام كنظام اجتماعي في أفريقيا منذ القرن السابع الميلادي"، ص 123.

[3] آدم عبد الله الالوري، موجز تاريخ نيجريا، ص 36.

[4] Fage, A history of west Africa, P. 15

[5] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ، جـــ 1 ، ص 8 – 9 ؛ احمد شلبي، موسوعة التاريخ الإســـلامي، جـــ 6 ، ص 98 / 169.

[6] القلقشندي، صبح الأعشى، جـــ 5 ، ص 284.

كان لدولة أنبيه دور كبير في إيصال الإسلام الى بلاد السودان عن طريق اتصال سكانها المباشر بتلك البلاد بغرض التجارة[1]. وبما أن حاضرتها أوداغست كانت تستقبل الكثير من علماء وفقهاء العالم الإسلامي ، فقد دخل العديد منهم الى بلاد السودان . وعبر الطريق الساحلي وصلت بذور الإسلام الأولى الى وادي السنغال[2]، فقد ثبت أن أهل تكرور قد دخلوا الإسلام نتيجة احتكاكهم ببدو الصحراء. وراجابي بن رابيس، ملك التكرور (ت432هـ / 1040 م) كان مسلماً قبل قيام حركه المرابطين، ربما اعتنق الإسلام على يدي أحد رجال الدين من قبيلة جدالة[3].

يرجح البعض أن الإسلام دخل منطقة مالي عن طريق المهاجرين، في نفس الفترة التي دخل منها منطقة غانا والسنغال[4]. يذكر ليون الأفريقي[5] أن أهل مالي كانوا من السابقين في اعتناق الإسلام .

الاتصال بين منطقة فزان - كوار وبلاد السودان كان قوياً منذ ما قبل دخول الإسلام للشمال الأفريقي[6] ، وباعتناق أهل فزان وكوار للإسلام منذ القرن الأول الهجري / السابع الميلادي، اصبحوا من أهم عوامل انتشار الإسلام في منطقة السودان الأوسط، على وجه الخصوص . وهو أمر أيدته روايات الكانميين المحلية التي قالت بوصول بعض الأمويين للمنطقة في نهاية القرن الأول الهجري[7]. ابن الفقيه[8] يذكر أنه بحلول القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، كان الإسلام قد وصل بلاد السودان عن طريق كوار المسلمة. مجرى الأحداث السياسية في بلاد المغرب يعضد من هذا الرأي، إذ أن اعتناق البربر للمذاهب الخارجية، أدى الى نزوحهم الى الصحراء وأطراف بلاد السودان، لتفادى ملاحقة السلطات الحاكمة . فاستقروا في زويله وجبل نفوسة وغدامس وبلاد الجريد[9]، وتوغلت هوارة حيث

---

[1] ابن حوقل، صورة الأرض، ص 101.

[2] حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 19.

[3] البكري، المغرب، ص 172 ؛ مجهول، الاستبصار، ص 217.

[4] معظم ما كتب المؤرخون عن مالي ينصب على الفترة التي أصبحت فيها إمبراطورية، الا أن ما ذكره اليعقوبي يشير إلى وجودها كمملكة منذ القرن الثالث الهجري. اليعقوبي، تاريخه، جـ 1، طبعة 1964، ص 168 .

[5] وصف أفريقيا، جـ 2 ، ص 165.

[6] Martin, "Kanem – Bornu & Fezzan", P. 18

[7] البكري، المصدر السابق، ص 179.

[8] مختصر كتاب البلدان، ص 345.

[9] ابن عذارى، البيان المغرب، جـ 1، ص 73/70 ؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 3 ، ص 313 ؛ محمد

استقرت جماعة منهم في مرتفعات الحجار[1]

مهما اختلفت الأسباب التي دعت هولاء البربر للهجرة نحو الجنوب، فقد زاد من إغرائهم على رفع معدلاتها، موارد السودان الاقتصادية الثرة، والمعاملة العطوفة التي شملهم بها ملوك تلك البلاد . واختلط أولئك المهاجرون بالسكان المحليين اختلاط مجاورة ومعايشة ومعاملة ومصاهرة ، فامتزجت الدماء، وتداخلت الثقافات، فكان دورهم كبيراً في نشر الإسلام[2].

المنطقة ما بين حوض نهر النيجر وبحيرة تشاد، كانت متخلفة بعض الشيء في حركه المد الإسلامي، وكان جهد الدعاة فيها ضعيفاً، خاصة منطقة الهوسا[3]. الصعوبة في الترتيب الزمني لتاريخ الهوسا المبكر شئ معروف، غير أنه من الممكن القول أن بلاد الهوسا قد تعرضت لعدة موجات من الهجرات البشرية، الذين ربما تمكنت طلائعهم من نشر الإسلام بين السكان . وأن الهجرات المتأخرة والتي يتحدث عنها المؤرخون هي التي أدت الى اعتناق الطبقة الحاكمة للإسلام[4].

غارات بنو هلال وسليم في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، اندفعت كالسيل على الشمال الأفريقي[5]، وكان من نتيجتها أن اتجه المزيد من البربر نحو الداخل، ونزلوا بلاد السودان، باتجاه شرقي من النيجر، فبرنو فكانم أمثال هواره ولواتة ونفزاوه[6] فضلاً عن تسرب جماعات من هلال وسليم أنفسهم نحو الجنوب . عملت هذه المجموعات من عرب وبربر على نشر الإسلام في بلاد السودان[7].

مع تعدد القنوات والمسارب، في وقت قصير، فقد كانت التجارة هي القناة الأولي التي أنساب عبرها الإسلام الى بلاد السودان . فبعد الفتح الإسلامي سرعان ما انتظمت التجارة العابرة للصحراء وسارت في طريق الازدهار، وذلك لاقتران الإسلام دائماً بالتجارة، فقد ولد في مجتمع مكة التجاري، وجاء محتوياً علي مجموعة من المبادئ الأخلاقية والعملية ذات الصلة بالنشاط التجاري. وانطلاقا من مبادئه الإسلامية تلك، اختار التاجر المسلم مساعديه في

= علي دبوز، تاريخ المغرب الكبر، جـ 3 ، ص 210/189 .

[1] ابن خلدون، العبر، جـ 6 ، ص 185 .

[2] عز الدين عمر موسى، "الإسلام وأفريقيا ، ص 80.

[3] I. Herbek, "The spread of Islam to the south of the Sahara" , P. 78

[4] Ibid.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 19 / 21.

[6] Palmer, Bornu , Sahara & Sudan, P. - 5

[7] احمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، جـ 6 ، ص 187.

بلاد السودان من خيره الناس، مما أشاع حوله جواً من الثقة ، فلقى ترحاباً أينما حل[1]. كل ذلك هيأ للإسلام فرصة الذيوع والانتشار.

نزع التجار المسلمون، في تلك الفترات الأولي ، الى إنشاء مجتمعات صغيره متفرقة على طول الطرق التجارية على امتداد حزام الساحل وبلاد السودان، مثلما كان حادثاً في غانا وجاو[2]. قاموا فيها بإنشاء مساجدهم، وممارسة شعائرهم الدينية، وفي بعض الحالات تمتعوا ببعض الصلاحيات السياسية والقضائية في الممالك التي يقيمون فيها[3]. هذه الاقليات المسلمة عاملها الحكام السودانيين على غرار ما كانت تعامل به الاقليات المسيحية واليهودية في بلاد الإسلام، الا أنها ربما كانت تعفى من الضرائب، وهنا يفسر لنا انتعاش أحياء المسلمين بالقرب من المدن الملكية، غير أنها لم تكن مصدر ضغط على مجمل السكان الآخرين[4].

قام التجار بجانب عملهم الاقتصادي بالدعوة الى الإسلام. هيأت لهم طبيعة عملهم التي تقتضي التجول في مختلف الأماكن، سعياً وراء البيع والشراء، أن يحملوا الإسلام الى شتى بقاع السودان[5]، فترتب علي ذلك أثرهم الواضح في حياة أهل السودان الدينية، وأصبح التجار من الوسائل الرئيسة لنشر الإسلام في تلك البلاد . فقد قاموا بالعديد من الأعمال التي من شأنها نشر الإسلام، مثل بناء المساجد وتشييد المدارس . كما كانوا يعملون على تشجيع الأهالي على الاستزادة من العلوم الإسلامية بإرسالهم الطلاب الأفذاذ لمعاهد بلاد المغرب لتلقي المزيد من العلم، حيث كانوا يقيمون لهم المساكن ويمدونهم بالنفقات[6].

بفضل هؤلاء التجار أنتشر الإسلام سلمياً حتى حدود الغابات جنوباً[7]. فالتاجر أول من عمل على تقديم الإسلام للسودانيين، ومن هنا كان ارتباط الاثنين ببعضهما في بلاد السودان[8]. ومما يؤكد دور التاجر الرائد في هذا المجال ترادف كلمتي تاجر ورجل دين إسلامي في الكثير من لهجات بلاد السودان .

في منطقة بحيرة تشاد والى الجنوب منها كان للتجارة دور هام في نشر الإسلام، إذ كان

---

[1] البكري، المغرب، ص 177؛ سير توماس ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 391.

[2] البكري، المصدر السابق، ص 175 – 183.

[3] نفس المصدر، ص 175.

[4] زكري دراماني اسيفو، "الإسلام كنظام اجتماعي في أفريقيا" ، ص 126.

[5] سير توماس ارنولد، المرجع السابق، ص 391.

[6] احمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، جـ 6 ، ص 206 ؛ آدم عبد الله الالوري، موجز تاريخ نيجيريا، ص 36.

[7] سينيكي مودي سيسوكو، "الصنغي من القرن الثاني عشر إلى السادس عشر الميلادي"، ص 219.

[8] Trimingham, A history of Islam in west Africa, P. 31

يمثل اعتناق الدين الجديد وسيله للإفلات من خطر الاسترقاق[1]

من المؤكد أنه ليس لكل تاجر الوقت والمعلومات ليصبح داعيه وسط الأهالي، وبمرور الوقت ونمو التجمعات الإسلامية حضر الى بلاد السودان رجال كان العمل الديني أهم لديهم من العمل التجاري . في البداية قاموا بأداء المهام الدينية وسط التجمعات الإسلامية. أداؤهم لمهام أخرى، كالتطبيب مثلاً، اكسبهم مكانه عالية وسط غير المسلمين، الذين لم يكن دينهم شاملاً، فكانوا يبحثون عن المساعدة لدى رجال الدين الإسلامي[2]

السياسة التي اتبعها ملوك السودان، من تكريم لعلماء الإسلام وكفالة مكانة اجتماعية عالية لهم، مع إغداقهم الهدايا عليهم، دفعت الكثير من علماء الدين الإسلامي المغاربة نحو بلاد السودان . فالإسلام في كانم، مثلاً، يقول بعض المؤرخين[3] أن الذي ادخله هو الهادي العثماني. ويبدو أن منطقة بحيرة تشاد قد حظيت بوجود الكثير من العلماء. فاستناداً الى "محارم"[4] البرنو، فأن أول بلد دخله الإسلام من بلاد السودان هو برنو[5] ، وعلى يد الفقيه محمد بن ماني ، الذي عاصر خمسة من المايات ، أقرأهم القرآن الكريم، وقام كل منهم بمكافأته على ذلك[6] مادياً ومعنوياً، إذ جعلت له حرمه في ماله وولده[7]. واعتماداً على رواية متداوله عند الهوسا فأن شخصاً يسمى أبي يزيد الفزاري، كان يعمل على نشر الإسلام في بلاد برنو في نهاية القرن الأول ومطلع القرن الثاني الهجريين / القرن السابع والثامن الميلاديين وقد ارتبط

---

[1] زكرى دراماني اسيفو، "الإسلام كنظام اجتماعي في أفريقيا"، ص 124 .

[2] سير توماس ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 391/392؛
I. Herbek, "The Spread of Islam to the South of the Sahara", P. 72

[3] القلقشندي، صبح الأعشى، جـ 5، ص 271؛ Palmer, Bornu, Sahara & Sudan", P. 189

[4] المحرم عبارة عن رسالة وجهها الماي اوم بن عبد الجليل (479 - 491هـ/1086 - 1097م) إلى أبنائه وخلفائه، وتضمنت بعض المعلومات عن دخول الإسلام في مملكة كانم. طرخان، إمبراطورية البرنو الإسلامية، ص 67 ؛ ايفر، دائرة المعارف الإسلامية، جـ 3 ، ص 586.

[5] Palmer , OP. Cit., P. 14

[6] ايفر، دائرة المعارف الإسلامية، جـ 3 ، ص 586؛ ديشان، الديانات في أفريقيا السوداء، ترجمة احمد صادق، مصر 1956، ص 131؛
Palmer , OP. Cit., P. 14 – 15. C. Meek, The Northern Tribes of Nigeria, 1925 , London, P. 69

[7] Palmer, OP.Cit., P. 14

اسمه في برنو باسم أسرة مسبعرمه[1] ، القادمة من فزان[2] والتي تعتبر سلف لعدد كبير من العلماء ورجال الدولة البرنويون .

أما مملكة غانا فقد حفلت عاصمتها بالأئمة والمؤذنين والراتبين والفقهاء وحملة العلم. وكان ملك غانا مؤثراً لهم يقلدهم اعلي المناصب في الدولة[3] .

مملكة جني حفلت بأعداد كبيره من العلماء المغاربة، عملوا جميعاً على نشر الإسلام بين سكانها. ولا أدل على كثره أعدادهم مما أورده المؤرخون من أن ملكها عندما رغب في إعلان إسلامه اجتمع ما يربو على الأربعة آلاف ومائتين من العلماء اسلم على ايديهم[4] .

وفي مملكة مالي اعتنق الملك الإسلام على يدي فقيه مقيم بها كان "يقرأ القرآن ويعلم السنة"[5] مع غيره من العلماء الذين يدرسون بالمساجد[6] .

من بين التجار والفقهاء المغاربة لعب الخوارج، الاباضية بصفة خاصة، دوراً هاماً في نشر الإسلام في بلاد السودان . فالتجار الصفرية والاباضية قد دخلوا بلاد السودان قبل السنيين بوقت طويل . فمنذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي سيطر الخوارج الصفرية على سجلماسة، النقطة الشمالية الهامة علي طريق القوافل، الي بلاد السودان[7]. زويله، النقطة الشمالية على الطريق التجاري الهام بين ليبيا وحوض بحيرة تشاد، سيطر عليها الخوارج الاباضيه[8] ، فضلاً عن تادمكه التي أصبحت مركزاً لنشاطهم في الصحراء الوسطى[9]. ومن هنا يتضح لنا أن الخوارج من المغاربة قد أوصلوا صوت الإسلام الى بلاد

---

[1] من المحتمل أنها نسبت إلى سابرو قرب واحة العوينات وهذه التسمية لقب يعني عند البرنو الوزراء الوراثيون. إبراهيم طرخان إمبراطورية البرنو الإسلامية ص 66؛
Palmer , Bornu, Sahara, Sudan, P. 273

[2] هذا المنطقة يسميها الادريسي صبرو الواقعة في واحات ليبيا الخارجية أنظر الادريسي وصف أفريقيا، الشمالية والصحراوية، ص 20 – 27 ؛ Palmer, OP. Cit., P. 10 - 11

[3] البكري، المغرب، ص 174 – 175.

[4] السعدي، تاريخ السودان، ص 12.

[5] البكري، المصدر السابق، ص 178.

[6] ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، جـ 2 ، ص 164.

[7] البكري، المصدر السابق، ص 149؛ ابن عذارى، البيان المغرب، جـ 1، ص 156؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، طبعة بيروت، ص 130؛ الناصري، الاستقصاء، جـ 1 ، ص 111.

[8] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 72 / 72 .

[9] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 216 ؛ مجهول، الاستبصار، ص 205 / 206 ؛ عوض محمد خليفات في، "الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية"، ص 57.

السودان قبل أن يعم بلاد المغرب تماماً[1] ، عبر شبكتهم التجارية التي أنشأوها في الصحراء، قام الاباضيه حيثما استقروا بنشر الإسلام بين السودانيين، ومـــن الثـــابت أن معتنقـــي الإسلام الأوائل من بين السودانيين كانوا قد اعتنقوه على مذهب الخوارج الاباضيه . معظـــم المؤرخين السنيين لا يشيرون الى ذلك، فقط ورد عنهم ما ينم على ذلك[2]. الدراسات الحديثـــة تعكس المدى الواسع للعلاقات التجارية لهذه المراكز الاباضيه مـــع بـــلاد الســـودان، الا أن الإشارة الى نشاطهم التبشيرى كانت قليلة . يمكننا أن نقدر أن وجودهم فـــي هـــذه المراكـــز، والذي استمر لعده قرون، قد أدى الى نوع من السيطرة الدينية على المواطنين، علـــى الأقـــل على شركائهم في التجارة.

اعتبر الاباضيه بلاد السودان "دار دعوة" ، فأنشأوا الربط في الصحراء ، وتحول الكثير من دعاتهم نحوه، ومن مواقعهم تلك عملوا على نشر الإسلام في بلاد الســـودان . فيمـــا أورد الزهري[3] عن إسلام أهل الصحراء في العصر الأموي ، من أنهم سلكوا طريقه أخرجتهم عن الملة ، وأنهم رجعوا الى الإسلام بعد أن ا سلم أهل غانا في عهد المرابطين، إشـــارة الـــى أن سكان غانا وزافن وبنى تانماك في تادمكه، كانوا قد اعتنقوا الإسلام على مذاهب الخوارج منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، ورجعوا الى مذاهب السنة في عهد المرابطين .

أساطير بلاد السودان فيها صدى للسيطرة الاباضيه السابقة. أسطورة دوراً مثلاً، التـــي تحكي قصه بياجيد أو أبو يزيد[4]، تاريخياً لأيمن اعتبار شخصيه بياجيدا وأبو يزيد، قائد حركه الخوارج ضد النظام الفاطمي في بلاد المغرب، شخص واحد، ولكن من المقبول أن نرى فيها صدى بعيد للأثر الاباضى في السودان، لمعرفتنا أن أبا يزيد قد ولد في تـــاد مكـــة مـــن أم سودانية.

روى الدرجيني[5] ، وهو من الاباضية، أن جده الذي قام بزيارة السودان في 575هـــ

---

[1] I. Herbek, "The Spread of Islam to the South of the Sahara", P. 69

[2] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، طبعة بيروت، 1969 ، ص 680 ؛ السعدي، تاريخ الســـودان، ص 70 – 72 .

[3] الزهري، الجغرافيا، ص 126 عن

Levtzion, "The Sahara & Sudan", P. 659, & Herbek , "The Spread of Islam to the South of the Sahara", P. 69

[4] أنظر أعلاه ص 29

[5] الشيخ أبو العباس الدرجيني (ت حوالي 670هـــ) طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، قسنطينية، بدون تاريخ، جـــ 2، ص 517 ، عن احمد الياس حسين، العلاقات بين مملكـــة غانـــا والمغرب العربي، رسالة دكتوراه، ص 183 / 184 ، وعن

Herbek , "The Spread of Islam to the South of the Sahara", P. 70

1179 م ، قد عمل على إدخال ملك مالي في الإسلام . هذه رواية تعيد الى الأذهان ما أورده البكري[1] عن إسلام ملك ملل . التسلسل التاريخي يجعلنا نفهم أنه ربما نسب الدرجيني الى جده ما قام به غيره من الدعاة، غير أنه كل ما يهمنا هو أن الرواية يمكن أن تقف شاهداً على النشاط التبشيري للاباضيه في بلاد السودان.

سكان فزان وكوار الذين كانوا قد اعتنقوا الإسلام على المذهب الاباضي، ليس من المستبعد أن يكونوا قد نشروه في المناطق جنوبهم . فهناك دليل غير مباشر على التأثير الاباضى في كانم ، وهو أن أبو عبيده عبد الحميد الجنواني، حاكم جبل نفوسه في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي كان يتحدث لغة كانم فضلاً عن البربرية والعربية[2] .

استأصل المرابطون الأثر الاباضى القديم جنوب الصحراء[3]، كما ساهم الغزو العربي للشمال الأفريقي وأطراف الصحراء في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، في تدهور واضمحلال المجتمعات الاباضيه[4] غير أنه يمكننا أن نقول أنه كان للاباضيين الفضل في تقديم الإسلام الى السودانيين، على الرغم من أنه لا يمكننا قياس نجاحهم من حيث الكم ، ويبدو أنه لم يكن كبيراً، لكن يكفى أنهم قد وضعوا اللبنة الأولى التي بنى عليها الدعاة والمصلحون فيما بعد صرحاً متيناً .

التجار والفقهاء، المقيمون في المراكز والمتجولون ، اكثروا من التزاوج مع سكان بلاد السودان[5] ، وغالباً ما كانوا يختارون زوجاتهم من بيوت رؤساء القبائل واصحاب النفوذ[6]. ورد عن ليون الأفريقي[7] أن ملك تنبكت زوج اثنين من بناته لأخوين من التجار الغرباء المقيمين بالمدينة . وقد يزوج هولاء الوافدين بناتهم لأصحاب السلطة في بلاد السودان ن فقد جاء أن أبو بكر ابن عمر اللمتوني قد زوج إحدى بناته لعاهل الماندنجو[8] . هذا التزاوج والتصاهر كان من نتيجته انتشار الإسلام، إذ كثيراً ما يعتنق هولاء الرؤساء دين أصهارهم، ويتبعهم رعاياهم

---

[1] المغرب، ص 178.

[2] ديرك لانجي، "منطقة التشاد عند مفترق الطرق"، ص 496.

[3] Levtzion, "The Sahara & Sudan", P. 684

[4] Herbek, "The Spread of Islam to the South of the Sahara", P. 70

[5] ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 358.

[6] ابن بطوطة، مهذب رحلة ابن بطوطة، جـ 2 ، ص 301؛ إبراهيم طرخان، "الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي"، مجلة جامعة امدرمان الإسلامية، 1969، العدد الثاني، ص 24.

[7] وصف أفريقيا، جـ 2 ، ص 166.

[8] [illegible]، ص 165، حاشية 13؛ إبراهيم طرخان، المصدر السابق، ص 24 .

في ذلك . وقد اسهم تعدد الزوجات أيضا في توسيع دائرة المعتنقين للإسلام[1]. وقد أدت عمليه التزاوج هذه الى ظهور جيل من المسلمين السودانيين، خدم نفس الأهداف التـــي عمـــل لـــها المسلمون الوافدون من بلاد المغرب ، بل كانوا ابعد أثرا واكثر نجاحاً، إذ أن نشاطهم الداخلي هذا صور الإسلام بصورة الثقافة القومية والفكر الأفريقي.

هناك عده عوامل ساعدت على سرعة انتشار الإسلام في بلاد السودان، كان من أهمها أنه دين الفطرة، سهل التناول، لا لبس فيه ولا غموض ولا تعقيد، فهو لا يتطلب مـــن الفـــرد لإعلان إسلامه اكثر من النطق بالشهادتين . ثم أن فكرة التوحيـــد لـــم تكـــن غريبـــة علـــى السودانيين، الذين على الرغم من تعدد ألهتهم ، يعتقدون في اله واحد خالق للكون[2] .

ومما يفسر سرعة قبول الإسلام والتحمس له في بلاد السودان، أنه يحرم الإكراه فـــي الدين، مادياً أو معنوياً . فلم يكن لدعاة الإسلام، بربر أو عرب، أي نوع من الســـيطرة علـــى السودانيين، كما لم يلجاوا لوسائل الإغراء، كالرشوة مثلاً[3] . فقد كان للفرد حريـــة الاختيـــار فسرعة انتشار الإسلام في بلاد السودان، رغم أنه لا يعتمـــد علـــى مؤسســـات تبشيريـــه أو مساندات رسمية ، راجع الى محافظته على الشخصية السودانية، بمعنى أنه لم يعمـــل علـــى تحطيم الأنظمة القبلية، وإنما حافظ عليها بعد وضعها في إطار إسلامي[4] "كيفما كانوا وحيثمـــا ذهبوا فأن المبشرين المسلمين اظهروا رفقاً وتعاطفاً واحتراماً للعادات والعصبيـــات المحليـــة، الشيء الذي كان دون ريب أحد أسباب نجاحهم"[5] .

استجاب السودانيون للإسلام لأنه قضى على الفوارق المؤسسة على العنصر واللـــون، قال تعالي : "ومن آياتة خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم أن في ذلك لآيـــات للعالمين"[6] صدق الله العظيم وهذا يخالف ما عند المسيحيين من أن أبناء حام ملعونين وكتـــب عليهم أن يكونوا عبيداً لأخواتهم[7] . فالإسلام حاسم في عملية تساوى المسلمين وإخائـــهم مـــع

---

[1] احمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، جـــ 6 ، ص 205.

[2] ديشان، الديانات في أفريقيا السوداء، ص 229 ؛ ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 293.

[3] W.Blyden, Christianity, Islam & the Negro – Race, London, 1887 , P. 11 - 12

[4] جمال زكريا قاسم، في "الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية"، ص 51.

[5] مدثر عبد الرحيم، "الإسلام والتجانس الاجتماعي في أفريقيا، مجلة دراسات أفريقية"، 1985، العـــدد الأول، الخرطوم، ص 16؛ عن سوبرت سميث، "الزنوج" مجلة مباحث التبشير الكنسي، أغسطس 1973؛ ارنولد، المرجع السابق، ص 391 ; Blyden, OP.Cit., 1967 , P. 19

[6] سورة الروم، الآية 22.

[7] آدم عبد الله الالوري، موجز تاريخ نيجيريا، ص 12 –13 ؛ عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائـــر العام، ص 50.

بعضهم البعض[1]. المؤرخون العرب مثلاً لا يتحدثون عن ابيض واسود في بلاد السودان ، بل عن مسلم ووثني[2]. كما كان الإسلام متسامحاً مع التقاليد الأفريقية العريقـــة ،علـــي صعيـــد التنظيم الاجتماعي[3]. فالعالم الريفي لم تكن هناك نية للمساس بمعتقداته وعاداتـــه[4]، لأن ذلـــك كان سيخل بنظام اجتماعي كامل - وبأنماط إنتاجه. فقد ورد في بعض المصادر[5] الإشارة الى اختفاء الذهب عند اعتناق منتجيه للإسلام، ولو كان الأمر كذلك لكانت كارثـــة اقتصاديـــة على تجار الشمال، الزبائن، وعلى ملوك السودان، الوسطاء. والواقع أن المسلمين لم يحـــاولوا حمل منتجي الذهب على الإسلام[6] .

من العوامل التي ساعدت على تقبل الإسلام في بلاد السودان أيضا أنه كـــان اســـتجابة عمليه لحاجه المجتمعات ومصالحها. خدم الطبقة الحاكمة فساعدت على نشره. فهذه الطبقة في بلاد السودان لها مصلحه حقيقية في إظهار وجهها الإسلامي للعالم الخارجي، بالتنظيمات داخل بلاطها وبمواكب الحج ، حتى تنشئ علاقات جيده مع عملائها المسلمين في الشمال . فضـــلاً عن أن اتساع ممالكها أدى الى الحاجة المتزايدة للاستفادة من علوم الإسلاميين لضبط شئـــون إمبراطورياتها . هذه الخطوة أدت لازدياد نفوذ رجال الدين الإسلامي داخل القصور الملكيـــة، مما هيأ مناخاً مناسباً لإسلام الملوك وعوائلهم وبطانتهم من النبلاء.

أما من الناحية الداخلية فقد كان من مصلحه هذه الطبقـــة الحاكمـــة أن يعـــم الإســـلام ممالكها. فقد عرفت المجتمعات السودانية دولاً مدينية متعددة قبل الإسلام، ازدهـــار التجـــارة أعطى الكثير منها فرصاً مواتية لتصبح إمبراطوريات تضم شتى العناصر البشريـــة . إســـلام هذه العناصر غير المتجانسة جعل بينها رباطاً روحياً موحداً، فاستفاد الحكام مـــن ذلـــك، لأن ولاء الأفراد قد تجاوز نطاق القبيلة، واتجه نحو الحاكم المسلم، رمز السلطة الروحية الجديدة[7]. لذلك بذل الحكام جهداً لإنباته وسط زعامات القبائل حتى يؤمنوا لرعاياهم رابطه مشتركة.

كانت هناك فوائد اقتصادية من وراء انتشار الإسلام في بلاد السودان . فـــالوحدة بيـــن

---

[1] سير توماس ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 394، وحاشية 3 ؛ مدثـــر عبـــد الرحيـــم، "الإســـلام والتجانس الاجتماعي في أفريقيا"، ص 22.

[2] البكري، المغرب، ص 176.

[3] آدم عبد الله الالوري، موجز تاريخ نيجيريا، ص 36.

[4] ارنولد، المرجع السابق، ص 358.

[5] القلقشندي، صبح الأعشى، جـــ 5 ، ص 281.

[6] نفس المصدر ، ص 288.

[7] للمزيد من هذا الموضوع أنظر:

Y. B. Osman, The Transformation of Katsina , 1400 – 1883 , Zaria, A hmed Bello University Press , 1981 , P. 19 - 30

العرقيات المختلفة التي وفرها اعتناقهم للإسلام، فضلاً عن القوانين الأخلاقية، ساعدت على ضبط التعامل التجاري، وذلك بتوفير الثقة والأمن، الصفتين الرئيستين لذلك التعامل . فقد قيل: (الإسلام ساعد على إعطاء أعضاء شبكه كانوا منتشرين في رقعة واسعة ، وفي بعض الأحيان في بلدان مختلفة، وحدة وتطابق مكنت التجار من معرفة، ومن ثم الاستعداد للتعامل مع بعضهم البعض، كما أمدهم بقوانين أخلاقية وشعائر مكنتهم من فرض قوانين إدارية جعلت الثقة والضمان ممكنين)[1]

دخل الإسلام بلاد السودان، من بلاد المغرب، وبدأ ينتشر ببطء – وعلى مستويات مختلفة ، حسب المناطق، حتى تمكن في نهاية الأمر من فرض نفسه في إقليم الساحل ومنطقة منعطف النيجر . وما كاد القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ينتهي، حتى أصبح المسلمون يمثلون طبقة حاكمة في بلاد السودان. ففي جهة الغرب اسلم ملوك التكرور وقاموا بالدعوة له بين الوثنين[2] . في وسط السودان اسلم ملوك كانم، التي يبدو أن الإسلام كان له تأثير ظاهر فيها في فترة الحاكمين الأخيرين من أسرة الزغاوة، الأسرة الحاكمة الأولي فيها . وباعتلاء حمى[3] ، أول ملوك الأسرة السيفية، للحكم في نحو 467هـ/1075 م[4] كسب الإسلام مكانه في كانم ، فقد ذكر أن بنى حمى هم أصحاب الإسلام[5].

يتضح مما ورد في النصوص أن في نهايات السودان، التكرور في الغرب، وكانم في الشرق، أن الأهالي قد تبعوا ملوكهم في اعتناق الإسلام. أما في الوسط، جاو ومالي مثلاً، فأن الملوك قد اعتنقوا الإسلام بينما ظلت الرعية على دين أجدادها[6] حتى اضطر بعض الملوك لإخفاء إسلامهم عن رعاياهم ، مثل قنمر بن بسي، ملك الكن أو الوكن[7] . وكذلك الحال في كوكو، التي كان ملكها مسلماً ولا يملكون غير المسلم، ولكن الرعية كانت على عباده

---

[1] Herbek "The Spread of Islam to the South of the Sahara", P. 71 quoted from Hopkins, 1973 , P. 64

[2] البكري، المغرب، ص 172 – 173.

[3] ورد اسمه في ديوان سلاطين البرنو" بصيغ مختلفة: لادسو وسو رجو وفي فترات لاحقة ورد حماي حمى وهومي، ديرك لانجي، "منطقة التشاد عند مفترق الطرق"، ص 498.

[4] نفس المرجع، ص 499.

[5] "ديوان سلاطين البرنو"، فقرة رقم 11، عن ديرك لانجي، المرجع السابق، ص 500 .

[6] البكري، المصدر السابق، ص 178؛ موريس دي لافوس، دائرة المعارف الإسلامية، جـ 12، ص 331.

[7] البكري، المصدر السابق، ص 179.

الدكاكير[1]. التفسير الوارد لهذا الوضع هو أن الصلات في كل من كانم وتكرور، كانت وثيقة ببدو الصحراء[2].

من الصعب تقدير مدى التأثير الذي أحدثه الزحف الإسلامي علـــى بـــلاد الســـودان . الإسلام في بلاد السودان، في فترة الدعوة، اخذ بعين الاعتبار الممارسات القديمة المتأصلة في المجتمعات التقليدية، كما كان محتوياً على الكثير من عناصر المعتقدات التي سبقت الإسلام في بلاد المغرب . إسلام ملوك السودان لم يكن عميقاً، فهم يحتاجون للاعتراف والعمل بالتقـــاليد والأعراف المحلية التي تسود معظم شعبهم غير المسلم . وهذا يفسر وجود بعـــض الطقـــوس غير الإسلامية في بلاط ملوك مسلمين، في كوكو وكانم مثلاً[3] . العامل الاقتصادي يدفعهم الى مثل ذلك التعامل، وربما الى عدم الحماس لنشر الإسلام في مناطق معينه من ممالكهم، فقواعد الإسلام تحرم تماماً استرقاق المسلم الحر . ذات الموقف ينطبق على حكام بلاد المغرب، الذين قد تفوق أهمية ملوك السودان الاقتصادية في أعينهم أي اعتراضات قد تراودهم بصدد موقفهم الديني[4]. مرت عده قرون قبل أن ينقي الإسلام بواسطة سلسله من المصلحين والدعاة . فقيـــام الدولة الفاطمية الشيعية، في بلاد المغرب، أدى لانتصار مذهب أهل السنة[5] ، ولانبثاق ظواهر معينه كانت اقل استعداداً للتسامح، مثل حركة المرابطين، التي أزعجتها طبيعة الإسلام الأولي المختلطة في الصحراء وبلاد السودان[6]. وبانتشار مذهب الإمام مالك في المغرب الأقصى[7] من مدينة القيروان، تخطى حدود هذا الإقليم نحو الجنوب وأنتشر في بلاد الســـودان علـــى يـــدي المرابطين[8] الذين بدأوا عهداً جديداً في تاريخ الإسلام في بلاد السودان – ببذلهم الجهد الكبـــير لرفع لواء مذهب الإمام مالك في تلك المناطق.

تتباين الآراء حول الأساليب التي اتبعها المرابطون في نشر الإسلام في بلاد السودان.

---

[1] البكري ، المغرب، ص 183.

[2] Levtzion, "The Sahara & Sudan", P. 682

[3] اليعقوبي، تاريخه، جـــ 1، طبعة 1964، ص 168؛ البكري، المصدر السابق، ص 183.

[4] ديرك لانجي، "منطقة التشاد عند مفترق الطرق"، ص 497/498.

[5] أنظر أعلاه ص ...-154

[6] البكري، المصدر السابق، ص 164.

[7] نفس المصدر، ص 151.

[8] نفس المصدر، ص 164؛ عبد الرحمن بن محمد الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهـــل القـــيروان ، جـــ 3 ، تونس 1320هـــ، ص 139 ؛ حسن احمد محمود، (1) الإسلام والثقافـــة العربيـــة فـــي أفريقيا، ص 233. (2) قيام دولة المرابطين، ص 94 – 100.

يرى بعض المؤرخين[1] أن فترة المرابطين هي الفترة الوحيدة التي استخدم فيها العنف. وهناك من حاول أن يثبت أن أساليب المرابطين لم تتسم بالشدة التي نسبت إليهم[2]. غير أنه من المناسب القول أن حركه المرابطين هدفت لإصلاح حال المسلمين في ذوات أنفسهم ، قد تتخذ طابعاً سلمياً في حاله التعاون معها ، مثال التكرور[3]، وإلا فقد تسلك سبيل العنف لإحداث التغيير المرتجى، كما في الحال مع مملكة غانا[4]. وقد لعب الرباط الذي أنشأه المتشوقون للجهاد من أهل الصحراء، على حدود بلاد السودان، دوراً هاماً في نشر الإسلام في بلاد السودان، إذ أصبحت هذه الربط الصحراوية مراكزاً للتوسع ونشر الإسلام[5] .

تميزت فترة حكم الدولة المرابطيه بتقليص النفوذ الاباضى في الصحراء وبلاد السودان[6]. وعم العمل بمذهب الإمام مالك في بلاد السودان من غانا غرباً حتى كانم شرقاً . بدأ انتشار مذهب مالك في منطقة كانم قبل قيام حركه المزابطين، وذلك للضغط الذي كان قد واجهه المالكية في بلاد المغرب ابان فترة الحكم الفاطمي، فلجأ الكثيرون منهم الى منطقة حوض بحيرة تشاد[7] . ومن المرجح أن بداية انتشار هذا المذهب في المنطقة كان السبب المباشر في التغيير في الأسرة الحاكمة في مملكة كانم ، واستيلاء حمى على الحكم، فكان دور الأسرة السيفية الرئيسي هو التغيير من مذهب الاباضيه الى مذهب أهل السنة، الشيء الذي دعا الكثيرين للقول بأن الإسلام قد دخل مملكة كانم في عهد حمى[8]. هذا التغيير في المنطقة

---

[1] يوسف فضل، "الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية"، ص 40؛

Trimingham, A history of Islam in West Africa, P. 23 ; Bovill, The Golden Trade of The Moors, P. 72

[2] D. C. Conrad & H.J. Fisher , (1) The Conquest that never was", History of Africa: A Journal of Method, vol. 9 , 1982 , P. 21 – 59 , (2) vol. 10 , P. 53 – 78

عن زكري دراماني اسيفو "الإسلام كنظام اجتماعي في أفريقيا" ص 120

[3] البكري، المغرب ، ص 167 ؛

Omer El Neger , "Takrur, A history of A name" ,Journal of African History, vol. X, no. 3 , 1979 , P. 367

[4] ابن خلدون، العبر ، جـ 6، ص 266؛ عز الدين عمر موسى، "الإسلام وأفريقيا"، ص 79.

[5] حسين مؤنس، "مقدمة" رياض النفوس، ص 26.

[6] البكري، المسالك والممالك، ص 858 – 860 ؛

P.F. Demoreas Farias, "The Almoravids : some questions concerning the character of the movement during its period of closest contact with the Western Sudan" , Bulletin dell FAN., 1967 , 29 , P. 809 – 810 ; Levtzion, "The Sahara & Sudan", P. 659 .

[7] Palmer, Bornu, Sahara & Sudan" , P. 6

[8] مجهول، الاستبصار ، ص 146 ؛ ديرك لانجي، "منطقة التشاد عند مفترق الطرق"، ص 502 .

Palmer , OP.Cit., P. 189

الشرقية من بلاد السودان شبيه بما حدث في الجهة الغربية منها . ففي نفس العام الذي تولى فيه حمى الحكم (368هـ/1075م) كان المرابطون، وفقاً للزهري[1]، يزحفون جنوباً نحو غانا، وحدث على أيديهم التغيير من مذهب الاباضيه إلى مذهب أهل السنة[2].

بعد اصطباغ بلاد السودان بالمذهب المالكي، نجد أن رغبه الفقهاء المسلمين قد اشتدت للالتزام الأمثل بالمجتمع الإسلامي النموذجي . فقد كان دور الأم في بلاد السودان مهماً في التوريث[3] بعكس ما كان يتوافق مع الشريعة الإسلامية التي تنسب إلى الأب، فنشأت في هذا المجال توترات وخلافات[4].

التزمت في التعامل مع التقاليد الثقافية السودانية من جانب مشائخ المالكية ، أدى إلى لجوء تلك المجتمعات إلى الطرق الصوفية، إي نزعه تبجيل الأولياء والصالحين. هذه النزعة ظهرت أولا في بلاد المغرب[5] ، ثم انتقلت إلى بلاد السودان، حيث صادفت نجاحاً باهراً فهؤلاء الأولياء والصالحين قد قاموا مقام الكهنة في المجتمع السوداني، الشيء الذي أضفى الطابع الإسلامي على بعض الجوانب العريقة في الحياة اليومية للسودانيين[6].

---

[1] **الزهري، الجغرافيا، 1968، ص 183، عن ديرك لانجي، "منطقة التشاد عند مفترق الطرق" ، ص 505.**

[2] أنظر أعلاه ص169

[3] البكري، المغرب، ص 174، ابن بطوطة، مهذب رحلة ابن بطوطة، ص 321 .

[4] **افتي محمد المغيلي الفقيه المغربي الذي كان يستشيره سلاطين السودان في أمورهم الدينية، بأن من** يرفض تطبيق الشريعة الإسلامية ويتصرف في الميراث على أساس النسب من جهة الأم ليس مسلما. وقد اعتبر بعض المؤرخين أن دونما بن دبالي (618 – 658هـ / 1221 – 1259م) أول ملك مسلم في برنو وذلك الفتحة "للموني" وإنهائه عبادة آمون هذا الفعل اعتبر أيضا حدا للانتساب من جهة الأم. وبذلك الفعل اعتبر دونما مسلما نظريا وعمليا. وبداية هذا العهد الجديد اكثر ما تكون وضوحا في عهد الماي التاسع عشر عثمان بيري (أبن زينب) (678 – 700 هـ / 1279 – 1300م)؛ Palmer , Bornu, Sahara & Sudan", P. 184 – 189

[5] حسين مؤنس، "مقدمة" رياض النفوس، ص 27 ؛ زكرى دراماني اسيفو، "الإسلام كنظام اجتماعي في أفريقيا"، ص 29 .

[6] ديشان، الديانات في أفريقيا السوداء، ص 134 – 135؛ إبراهيم طرخان، إمبراطورية البرنو الإسلامية، ص 74 ؛ زكري دراماني اسيفو، "[illegible]"، ص 118 – 119 .

الفصل الثاني

الاستعراب اللغوي

انتشار الإسلام في إي بلد، في الحقيقية ، هو انتشار للغة العربية والثقافة الإسلامية . وبما إن الفتح الإسلامي للشمال الأفريقي كان يمتاز عن غيره من الفتوحات التي سبقته فقد حمل الفاتحون معهم اللغة والدين ممثلين في القرآن الكريم " الذي هو قوام دين ودستور سياسة وبحر أخلاق وقاموس لغة وديوان ثقافة"[1] وحيثما كان انتشار الإسلام كان انتشار اللغة العربية، كلغة تخاطب وكتابه.

أول عوامل التعريب، هو عامل ديني (أنا أنزلناه قراناً عربياً لعلكم تعقلون)[2]. فإذا لزم على المسلمين أن يعلموا معتنقي الإسلام القرآن الكريم، اقتضى ذلك أن يعلموهم اللغة العربية قراءة وكتابه. فحركه التعريب إذا ملازمه لحركه نشر الإسلام[3]. ومما ساعد على ذلك اجتماع أئمة المسلمين على عدم جواز ترجمه القرآن الكريم[4] . فكان لابد لكل من ارتضى الإسلام ديناً أن يتعلم من اللغة العربية ما يقيم به صلاته ثم يمضى في تعلم اللغة ليتفقه في الدين الإسلامي . فعدم ترجمة القرآن الكريم للغات الأخرى كان من أهم العوامل التي أبقت على اللسان العربي وصانت التراث[5]

ومن عوامل تغلب اللغة العربية على غيرها من اللغات في أفريقيا ، التقارب بين اللغات الحامية والسامية في كثير من المظاهر الصوتية واللفظية والنحوية[6] . وهناك عامل حضاري أدي إلى تلك الغلبة، فعلماء اللغة يقولون إذا التقت لغة ذات تراث حضاري، بأخرى حظها قليل

---

[1] عثمان الكعاك، مراكز الثقافة في المغرب، مطبوعات معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة 1958، ص 12.

[2] سورة يوسف، آية 2.

[3] حسن احمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص 51/50.

[4] ذكر بعض المؤرخين ان المهدي بن تومرت قد ترجم القرآن الكريم للهجة الشلحة. رينيه باسية، دائرة المعارف الإسلامية، جـ 3، ص 519؛ نجده خماش، الادارة في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق 1980 ، طبعة أولى، ص 158 ؛ إبراهيم طرخان، "الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي" ، ص 31.

[5] حسن احمد محمود، المرجع السابق، ص 47.

[6] نفس المرجع، ص 51

من ذلك التراث، تغلبت الأولى على الثانية، ولغات الأفارقة حظها قليل من الحضارة، لذلك لم تستطع الصمود أمام اللغة العربية[1].

انتشار اللغة العربية في بلاد المغرب

مع أتسام حركه الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، منذ بدايتها في 21 هـ 641 م بأنها حركه هدفها نشر الإسلام وحضارته، إلا أن حركه التعريب لم تبدأ بشكل فعلي إلا في بداية القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي . ويرجع ذلك إلى أن تعلم اللغة لا يكتسب إلا بالممارسة[2] . فضلاً عن أن الطبيعة الجبلية لبلاد المغرب، قد مكنت القبائل البربرية من الاحتفاظ بلغاتها لفترة أطول[3]. غير أن فتره الصمود هذه لم تستمر طويلاً إذ لم تتمكن لغات البربر من مغالبة اللغة العربية، فقد كانت لغات غير مكتوبة وسرعان ما اتجهوا نحو العربية التي مكنتهم من كتابه تراثهم، كما مكنتهم من التفاهم فيما بينهم لتعدد لهجاتهم[4] . كما أن انتصار العرب المسلمين على الرومان عسكرياً، أدى إلى انعدام العنصر الروماني واللاتيني بالبلاد، الشيء الذي تبعه اختفاء لغاتهم، التي كانت في الأصل لغات دواوين[5]، مما دفع بالبربر للأخذ باللغة العربية عوضاً عن تلك اللغات . وأوضح دليل على تبكير البربر في الأخذ باللغة العربية كلغة تخاطب، خطبه القائد البربري، طارق بن زياد النفزي، التي القاها أمام جيشه المتقدم لفتح الأندلس[6] .

اختطاط عقبه بن نافع لمدينة القيروان كان من أهم العوامل التي عملت على نشر اللغة العربية بين البربر . فالكثير من القبائل العربية هاجرت لبلاد المغرب، واستقرت بمدينة القيروان، واختلطت بالسكان الأصليين، الشيء الذي أدى إلى تعلمهم اللغة العربية . كذلك كان الحال في المدن المغربية الأخرى التي أقيمت عندها المسالح، إذ يذكر صاحب كتاب الاستبصار[7] أن العرب قد استوطنوا بلاد الجريد وقسطيلية في مرحله الفتح واختلطوا بسكانها.

---

[1] حسن احمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص 52

[2] عبد العزيز الدوري، "الإسلام وانتشار اللغة العربية والتعريب" ،بحث في ندوة القومية العربية والإسلام نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1982، طبعة الثانية، ص 80.

[3] حسن احمد محمود، المرجع السابق، ص 52

[4] نفس المرجع، ص 163.

[5] نفس المرجع، ص 160.

[6] انظر هذه الخطبة في : ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، جـ 2، القاهرة 1322هـ/1904م، ص 117؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، بولاق 1299هـ ، جـ 2، ص 177.

[7] مجهول، ص 155.

من الواضح أن مدينة القيروان بعيد إنشائها قد حفلت بالعديد من الكتاتيب التي أنشئت لتحفيظ القرآن ومبادئ اللغة العربية . روى غياث بن شهيب فقال : كان سفيان بن وهب، صاحب رسول الله (ص) يمر بنا ونحن غلمة بالقيروان فيسلم علينا ونحن في الكتاب[1]. دخل سفيان بن وهب أفريقية في (78هـ / 697م) ، وعليه فان الكتاتيب كانت قائمه قبل ذلك التاريخ في مدينة القيروان . وقد خرجت القيروان من مدارسها الفقهاء والمعلمين لينتشروا في البلاد يعلمون الأهالي الإسلام واللغة العربية[2]

بعثه الخليفة عمر بن عبد العزيز، التي أرسلها لتفقيه البربر في الدين، تركت بصماتها الواضحة في مجال التعريب، بإنشاء أفرادها الكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم وتلقين مبادئ العربية، وكان في طليعة من أسس كتاباً إسماعيل بن أبي المهاجر[3]. وقد كان لجهود هذه النخبة اثر كبير في إكساب اللغة العربية قاعدة أوسع[4]، وعليه يمكننا أن نقول أن أسس تعليم اللغة العربية في بلاد المغرب قد وضعت في بداية القرن الثاني الهجري.

المساجد كان دورها كبيراً في نشر اللغة العربية من خلال الحلقات الدراسية التي كانت تعقد بها لتعليم القرآن الكريم والحديث والفقه[5] . وكان إقبال البربر على منابر تعليم اللغة العربية في الداخل كبيراً. ولم يكتف الكثير منهم بما ناله من علماء الداخل فرحلوا إلى بلاد المشرق للاستزادة من العلم والتثبت في اللغة[6] . فظهرت في القرن الثاني للهجرة فئات من البربر تكتب بالحرف العربي وتؤلف بلغة العرب[7]. وشهد القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، بروز علماء من البربر في مجال الدراسات الإسلامية متضلعون في اللغة العربية فهماً وكتابة[8]. حتى إذا ما جاء القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، وكان غزو

---

[1] المالكي، رياض النفوس، ص 59 ؛ الدباغ ، معالم الإيمان، جـ 1 ، ص 120؛ الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص 188.

[2] ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، جـ 2، ص 91 ؛ حسين مؤنس، "مقدمة" رياض النفوس، ص 10؛ احمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، جـ 6 ، ص 171.

[3] نجده خماش، الإدارة في العصر الأموي، ص 161.

[4] المالكي، المصدر السابق، ص 64 – 76.

[5] نجده خماش، المرجع السابق، ص 160؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 12.

[6] المالكي، المصدر السابق، ص 251 – 296 – 370 ؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 9 – 12 – 37.

[7] المالكي، المصدر السابق، ص 345 ؛ حسن احمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص 160 .

[8] المالكي، المصدر السابق، ص 407 – 415 ؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 39 – 46 ؛ حسن احمد محمود، المرجع السابق، ص 53.

بني هلال وسليم لبلاد المغرب، شهدت البلاد انتصارا للغة العربية. فقد أسرع هؤلاء الأعراب بعملية تعريب بلاد المغرب لا نسوا رطانة البربر واستبدلوا منها بفصاحة العرب فلا يكاد يفرق بينهم[1]. يقر العارفون بتاريخ البربر انهم مازالوا العنصر الغالب في الشمال الأفريقي، ولكنهم تغيروا تغييراً كبيراً، حتى أصبح يستحيل التميز بينهم وبين العرب[2].

وطد غزو بنى هلال وسليم إقدام العرب في بلاد المغرب، الشيء الذي كان له أثر كبير في اللغة البربرية . تعربت اللغة البربرية كما تعرب البربر أنفسهم ، فأصبح ثلث كلمات اللغة التي تتحدث بها القبائل الكبرى تتألف من كلمات عربية[3]. غير أن بعض المؤرخين[4] يقـول أن بعض بلاد المغرب لم تتأثر لغاتها باللغة البربرية، لغة الجوانش مثلاً . غير انه رغم هذا فان تأثير العرب في بلاد المغرب كان عظيماً، لم يكتب مثله لأي أمة أخرى .

انتشار اللغة العربية في بلاد السودان بواسطة البربر - العرب: -

كان تعريب البربر عاملاً هاماً في نشر اللغة العربية بين السودانيين . فقد احتكر التجار المغاربة عمليه الاتصال ببلاد السودان فترة طويلة من الزمن، وكان من الطبيعـي أن يتـأثر سكان السودان بما يتأثر به أهل المغرب.

بدخول الإسلام وانتشاره في بلاد السودان سعى السودانيون لتعلم اللغة العربية، التـي احترمها السودانيون احتراماً كبيراً، لأنها لغة القرآن التي يؤدون بها صلاتهم، وبـها يلمـون بعلوم دينهم

فضلاً عن العامل الديني، فان التجار المغاربة من بربر وعرب قد عملوا علـى نشـر اللغة العربية في بلاد السودان[5]، لاستخدامهم لها في معاملاتهم التجارية في تلك البلاد . كمـا أن المصاهرات التي تمت بين القادمين من الشمال والوطنيين قد زادت من أعـداد المتكلميـن باللغة العربية في بلاد السودان[6].

امتازت اللغة العربية ببعض الخصائص التي جذبت السودانيين إليـها، حتـى وان لـم يفهموا معناها . فلألفاظها جرس فيه جمال ورقه وفخامة، ومثل هذه الخصـائص لـم يجدهـا

---

[1] ابن خلدون، العبر، جـ 6 ، طبعة بيروت، ص 142.

[2] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص 189.

[3] غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص 305.

[4] رينية باسية، دائرة المعارف الإسلامية، جـ 3 ، ص 517 – 518.

[5] رينية باسية، المرجع السابق، جـ 3 ، ص 517 ؛

Yever , Encyclopedia of Islam , vol. II , P. 750

[6] ابن بطوطة، مهذب رحلة ابن بطوطة، ص 301؛ ديشان، الديانات في أفريقيا السوداء، ص 132.

السودانيون في غيرها من اللغات التي عرفوها[1]. ولعل مما ساعد علــى تمسـك الســودانيين باللغة العربية ، ادعاء الكثير من قبائلهم للأصول العربية، وهو شئ يتبعه بالضرورة التحدث بلغة العرب.

انتشار اللغة العربية في بلاد السودان شئ اشار إليه الرحالة الأوربيــون، فذكــروا أن إلمام أهل السودان باللغة العربية، في العصور الوسطي، يفوق إلمام أهل أوربا في ذلك الوقت باللغة اللاتينية[2] . ولا غرابه في ذلك ، إذ كانت كل المعارف تدرس وتستوعب وتنــاقش فــي بلاد السودان باللغة العربية . ويعتبر عصر الإمبراطوريات الإسلامية هو فتره ازدهار اللغــة العربية[3]، فقد استخدمت اللغة العربية في كل الأغراض في مجال الحكم والإدارة والقضــاء[4]. وكانت لغة المكاتبات الرسمية مع دول العالم الإسلامي[5]، كما استخدمت في المكاتبات الداخلية وفي كتابة شواهد القبور كما دلت على ذلك نتائج الحفريات التي أجريت في موقــع عاصمــه غانا[6]. والدليل على دور المغاربة في تعليم السودانيين للغة العربية هو استخدام الأخيرين للقلم المغربي في خطهم العربي[7]

بلغت اللغة العربية في بلاد السودان حداً من الذيوع أن أصبحت لغة التخاطب فيما بين العديد من القبائل[8] . ويلاحظ تأثيرها في تسميه بعض القبائل مثل (الكانوري) التي يقال أنها مشتقة من الكلمة (نور)، وحرف الكاف دال على التبعية والارتباط ، ليصبح معناها (حملــه

---

[1] Blyden, Christianity, Islam & the Negro Race, P. 7

[2] إبراهيم طرخان، "الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي"، ص 33.

[3] إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص 39 ؛ عبد الرحمن زكي، "تاريخ الدول السودانية الإسلامية"، ص 217.

[4] البكري، المغرب، ص 175؛ القلقشندي، صبح الأعشــى، جـــ 5 ، ص 287 ؛ يوســف فضــل، "الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية"، ص 41.

[5] مجهول، الاستبصار، ص 219 ؛ القلقشندي، المصدر السابق، ص 269.
Palmer, Bornu, Sahara & Sudan, P. 218

[6] بازل ديفوسن، أفريقيا تحت أضواء جديدة، ص 155 ؛ إبراهيم طرخــان، (1) إمبراطوريــة غانــا الإسلامية، ص 48 – 50. (2) "الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي، ص 40.
Bovill, Golden Trade of the Moors, P. 100 / 101

[7] القلقشندي، المصدر السابق، ص 287.

[8] ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 398.

النور) ، نسبه لما لعبته تلك القبائل من دور في نشر الإسلام والثقافة العربية[1]. وكذلك الحال بالنسبة لتسميه قبائل (الشوا) التي أتت من الكلمة العربية (شاة)[2] .

انتشرت اللغة العربية حتى أصبح لها أثر واضح على اللغات السودانية، التي احتوت على الكثير من الكلمات ذات الأصول العربية، خاصة أسماء السلع التي كانت تأتى من بلاد المغرب، فضلاً عن الكثير من التعابير الإسلامية. يتوقف اكتساب اللغة الأصلية على نسبه من الألفاظ المستمدة من اللغة العربية على مدى التأثير الذي تعرض له متحدثيها من قبل المسلمين القادمين من بلاد المغرب . فلغة الهوسا، مثلاً ، تبلغ نسبه الألفاظ العربية بها حوالي الثلاثين بالمائة[3]. وقد استخدمت بعض القبائل السودانية الحرف العربي في كتابه لغاتها مثل الفولاني والهوسا[4] . كما نجد أن اللغات التي أستخدم الحرف العربي في كتابتها قد تأثرت بالصرف والنحو وأوزان الشعر العربي، ومثل هذه اللغات هي الأوسع انتشاراً في بلاد السودان . فاللغة الهوسوية تكاد تكون لغة التخاطب على امتداد الحزام السوداني[5]

يجدر بنا في هذا المقام أن نشير إلى أن انتشار العربية لم ينس القبائل السودانية لغاتها الأم، أو قضى، عليها فقد ظلت تلك اللغات بجانب اللغة العربية، ويلاحظ استخدام ملوك السودان للمترجمين بالرغم من إجادتهم اللسان العربي[6]. كما أن التدريس في المساجد العامة كان يتم باللهجات المحلية، أما خطبه الجمعة والأعياد فقد كانت تتلي باللغة العربية، ثم يقوم مساعد الإمام من بعد بتلخيص محتوي الخطبة باللهجة المحلية[7] وكذلك كان الحال بالنسبة لدروس الوعظ والإرشاد التي تقدم للعامة . يقوم المتولي لأمرها بتلاوة بعض آيات القرآن

---

[1] Yever, Encyclopedia of Islam, vol. II , P. 748

[2] Trimingham, A history of Islam in West Africa, P. 17 - 18

[3] حسن احمد محمود، "الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا"، ص 53.

[4] إبراهيم طرخان، "الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي"، ص 36 ؛ يوسف فضل، "الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية"، ص 41 ؛ السر العراقي، "انتشار اللغة العربية في بلاد غربي أفريقيا عبر التاريخ"، مجلة دراسات أفريقية، عدد 1 ، 1985، ص 103/102.

[5] عز الدين عمر موسى، "الإسلام وأفريقيا"، ص 71.

Trimingham, A history of Islam in west Africa, P. 126

[6] القلقشندي، صبح الأعشى، جـ 5 ، ص 283 ؛ ابن بطوطة، مهذب رحلة ابن بطوطة، ص 298 – 301 – 302 ؛ حسن احمد محمود، المرجع السابق، ص 52.

[7] ابن بطوطة ، المصدر السابق، ص 307.

الكريم ، أو بعض الأحاديث النبوية الشريفة، ثم يقوم بشرحها باللسان المحلي حتى يستوعبها الدارسون[1].

الاستعراب اللغوي الذي ارتضته ، بل وسعت إليه الجماعات المختلفة من بربر وسودان، حباً وإجلالا للغة القرآن الكريم، اشتمل أيضا على درجات متفاوتة من التكيف مع اللغات المحلية، ما بين الاستعراب التام، إلى التأصيل التام. وتمخض ذلك عن تبني بعض المهاجرين العرب – البربر للغة المحلية في البلد الذي ينزلونه من بلاد السودان، بدلاً عن لسانهم العربي، بينما مجموعات أخرى في أجزاء أخرى من بلاد السودان تخلت عن لغاتها التقليدية كلياً، أو جزئيا، واستخدمت مكانها اللغة العربية. فعملية الاستعراب في بلاد السودان، اذاً، قد اشتملت أيضا على (سودنه) بعض العرب – البربر الوافدين بدرجات متفاوتة، وقد نجد بعضهم قد امتصوا تماماً لغوياً وعرقياً بواسطة السكان المحليين[2] .

---

[1] ابن بطوطة، مهذب رحلة ابن بطوطة، ص 307 ؛ عبد القادر زبادية، مملكة سونغي في عهد الاسبقيين، ص 139 ؛ دي لافوس، أعالي السنغال والنيجر، ص 351.

[2] البكري، المغرب، ص 179؛ مدثر عبد الرحيم، "الإسلام والتجانس الاجتماعي في أفريقيا"، ص 19.

الفصل الثالث:

أثر العلاقات بين الجانبين في النواحي الحضارية والاجتماعية

انتقال المؤثرات الثقافية الإسلامية والحضارية المغربية إلى بلاد السودان:

مثل الإسلام قوه كبري في أفريقيا لا من حيث العدد وحسب، بل من حيث الأثر الثقافي الاجتماعي أيضا . فكان انتشار الإسلام واللغة العربية انتشار للثقافة والحضارة العربية الإسلامية في البلاد المفتوحة . فمنذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، كانت الثقافة العربية الإسلامية الوافدة إلى مدارس القيروان ، وغيرها من مدن المغرب ، تسير في طريق الازدهار والتفوق . سرعة تأثير العرب على البربر حضارياً يرجعها البعض إلى التشابه بين العرب وهؤلاء الأفارقة الرحل[1] . فضلاً عن أن مسجد القيروان الجامع كان مركز إشعاع ثقافي، تعقد فيه مجالس العلم والثقافة، فصار كالجامعة على مدار عده قرون[2]، علاوة على كونه مركزاً لتجمع العامة والخاصة[3]، فأصبح ملتقى للتيارات الفكرية المختلفة، مما وفر جواً للمغاربة للاحتكاك بالمجموعات العربية المثقفة.

الجهود التي بذلها الولاة العرب لإقرار السكينة ببلاد المغرب، منذ الفتح الإسلامي، أثمرت في عهد الأغالبة[4] الذين بإنشائهم (لدور الحكمة) بمساجد القيروان، وفروا أهم العوامل لرفع شأن الثقافة العربية الإسلامية بالبلاد[5] .

رحيل الفاطميين إلى المشرق، فيه انتصار للمذهب المالكي ببلاد المغرب . صحب هذا الانتصار توطن للثقافة العربية الإسلامية بالبلاد نهائياً، إذ بلغ ازدهارها اوجه في عهد المعز بن باديس، الذي عمل على رعاية العلم والمعرفة[6] خاصة وقد كان العصر عصر الرخاء العظيم والثروة الموفورة .

---

[1] ابن قتيبة ،الإمامة والسياسة، جـ 2 طبعة، مصر 1904 ، ص 158؛ غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص 250 ؛ رينية باسية، دائرة المعارف الإسلامية، جـ 3 ، ص 517 .

[2] عثمان الكعاك، مراكز الثقافة في المغرب، ص 13؛ احمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، جـ 6، ص 171 ؛ حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 425.

[3] اليعقوبي، البلدان، ص 348.

[4] حسن احمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص 166.

[5] نفس المرجع، ص 167 ؛ غوستاف لوبون، المرجع السابق ص 255.

[6] ابن عذارى، البيان المغرب، جـ 1، ص 297؛ حسين مؤنس، "مقدمة" رياض النفوس، ص 46.

في أعقاب غارات بني هلال وسليم، اضمحلت أفريقية ثقافياً[1] ، ورجحت كفه المغرب الأقصى، إذ أصبح الملاذ للحركة العلمية في بلاد المغرب[2]. ساعد على ذلك توحيد المغرب والأندلس[3] . فمن الشرق قدم العلماء والصناع[4]، ومن الأندلس خرج فيض لا يهدأ من ضحايا الاضطرابات، وكان فيهم عدد كبير من العلماء والأدباء[5] . وهكذا تغذي المغرب الأقصى بتيارين من الدم الجديد، وتأكدت زعامة المغرب الأقصى الثقافية وازدهرت مدارس فاس وسجلماسه واغمات .

كان لغزو البدو لبلاد المغرب من اتجاهين، بنو هلال من جهة الشرق، والمرابطون من جهة الجنوب الغربي، أثر كبير في تشكيل التركيبة العنصرية والثقافية والدينية والسياسية للبلاد . بنو هلال أسرعوا بإكمال عملية تعريب المغرب «صاروا في عداد الناجعة عرب بني سليم في اللغة والزي وسكنى الخيام وركوب الخيل وكسب الإبل وممارسه الحروب وإيلاف الرحلتين في الشتاء والصيف»[6]. بينما ساهم المرابطون في إتمام تجانس إسلام شمال أفريقيا وتحتهم برزت مراكش كوحدة سياسية ثقافية متفردة[7]

حركه السكان المستمرة بين الشمال والجنوب تبعها تمازج بشرى وتلاقح لغوي وديني واقتصادي واجتماعي . فقد تخطت المؤثرات الثقافية الإسلامية والحضارية المغربية الصحراء إلى بلاد السودان . فالثقافة العربية الإسلامية التي كانت تنبعث من مدينة فاس قد وصلت مواطن الملثمين ، فالادارسة كانوا قد بسطوا نفوذهم على الأجزاء الشمالية من تلك الديار، إذ تخطي نفوذهم جبال درن وانتشر في إقليم الواحات[8] . وبما أن كل مدينة سودانية هامة

---

[1] ابن خلدون، العبر ، جـ 6 ، ص 159 – 160؛ النويري، نهاية الأرب، جـ 22، ص 143 – 148؛ حسين مؤنس، "مقدمة" رياض النفوس، ص 52.

[2] الإدريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 80 ؛ حسن احمد محمود، (1) الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص 176. (2) قيام دولة المرابطين، ص 328.

[3] النويري، المصدر السابق، ص 185؛ حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 322.

[4] الدباغ، معالم الإيمان، جـ 3، ص 252؛ حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 425.

[5] (1) حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 426 . (2) الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص 14 – 179؛ Bovill, The Golden Trade of the Moors., P. 67

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 142.

[7] حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 297 – 432 ؛ Levtzion, "The Sahara & Sudan", P. 683

[8] حسن احمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص 230؛ المسعودي، مروج الذهب، جـ 1 ، ص 164.

كانت تستضيف جالية مغربية تتكون من التجار والفقهاء والمدرسين، الذين، تزوج معظمهم بسودانيات مسلمات، فقد شاعت التقاليد والثقافة المغربية في بلاد السودان . لذلك يبدو ان انطباع الثقافة والحضارة السودانية بالطابع المغربي، شئ طبيعي . وأصبح المتنقل بين المدن المغربية والسودانية لا يشعر بكبير فرق في أسلوب المعيشة وطرق التعامل[1].

الإسلام الذي أشع على بلاد السودان من بلاد المغرب كان في فتراته الأولى محتوياً على الكثير من عناصر المعتقدات التي سبقت الإسلام في بلاد المغرب، من ديانات سماوية أو بربرية[2] . ويظهر هذا جلياً في مسألة التوريث. فالسوننك مثلاً، الذين كانوا يورثون من جهة الأب منذ القدم[3] ، ما أن وقعوا تحت تأثير صنهاجة الصحراء، الذين يورثون من جهة الأم[4]، حتى تأثروا بهم ، فقد أورد البكري،[5] ان أهل غانا يورثون من جهة الأم .

كان من عاده ملوك السودان تشجيع تبادل المؤلفات، وحث العلماء من بلاد المغرب للاستقرار في ممالكهم ، وإغرائهم على ذلك بإغداق الهبات عليهم واجزالهم العطاء[6] . كما شجعوا البعثات العلمية إلى المغرب. كل ذلك أدى الى هجرة العلماء من مختلف المذاهب والمدارس الدينية إلى بلاد السودان ، لذلك نجدها قد تأثرت بكل ما مر به المغرب من تقلبات بين المذاهب والفرق الدينية . فكان للأدارسة تأثيرهم على كل من كانم وغانا[7] . كما تمذهب الكانميون بمذهب الإمام الشافعي[8] . وما ان غلب المذهب المالكي على بلاد المغرب، حتى أصبح المذهب الموجه لثقافة السودانيين وحضارتهم وحياتهم الاجتماعية. فالصورة المالكية تبدو في تشددهم في الدين[9] ، يعتنون بحفظ القرآن

---

[1] عبد القادر زبادية، مملكة سونغي في عهد الاسيقيين، ص 82.

[2] Herbek, "The Spread of Islam to The South of the Sahara, P. 71

[3] Levtzion, "The Sahara & Sudan", P. 669

[4] ابن بطوطة، مهذب رحلة ابن بطوطة، ص 299 - 321.

[5] المغرب، ص 174 - 175؛ Levtzion, "Was Royal succession in Ghana matrilineal?", International Journal of African Historical Studies, vol. 5 , 1972 , P. 91 - 93

[6] ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، جـ 2، ص 167؛ محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص 16.

[7] الإدريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 7 ؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص 92؛ القلقشندي، صبح الأعشى، جـ 5 ، ص 271.

[8] القلقشندي، المصدر السابق، نفس الصفحة.

[9] نفس المصدر ، والصفحة.

ويواظبون على الصلوات ويلازمونها في الجماعات ويضربون أولادهم عليها[1]. الفقهاء السودانيون يتمسكون بتقاليد فقهاء المالكية المغاربة من عزوف عن مصاحبة السلطان ، وتولي الوظائف الحكومية[2] . الفقهاء في بلاد السودان كما في بلاد المغرب يتدخلون في صميم الحياة الاجتماعية ويتمتعون بالزعامة الدينية ، من يلجأ إلى المسجد أو دار الخطيب أمن العقاب ولن يتعرض له أحد بسوء[3]. السلاطين يقدرون الفقهاء ويحترمونهم ويزورونهم في بيوتهم ويأتمرون بأمرهم[4] ، وقد بلغ من تعظيمهم الفقهاء ان هناك بعض المناطق لا يدخلها سلطان ، ولا حكم فيها الا لقاضيها[5].

الإتصال المثمر بين الجانبين أدى لان تكون المعارف في بلاد السودان صوره لما كان سائداً في بلاد المغرب. المعارف التي يعالج به الأطباء والأحكام التي يصدرها القضاة والمعلومات التي يتدارسها الفقهاء ويشيعونها بين الملأ كانت كلها نفس المعلومات والمفاهيم السائدة في بلاد المغرب، التي عرفها العالم الإسلامي في ذلك الوقت ، سواء في الدين أو الرياضيات أو المعارف العامة[6]. حتى قال بعض المؤرخين انه كان هناك ما يشبه الاستعمار الفكري المغربي لمفاهيم السودانيين[7] .

كما في المغرب كان للكتاب ومعلميه كثير من الأهمية والانتشار[8]. تستقبل المدارس القرآنية الطلاب القادمين من مختلف أنحاء السودان، يستضيفهم الأهالي، والمعلمون لا يتقاضون أجورا ويتفرغون للعمل ليل نهار . تركز الكتاتيب على قراءة وحفظ القرآن الكريم، ينتقل منها التلميذ الى المساجد الصغيرة، التي تقوم بتدريس المواد الأكثر وضوحاً وبساطه مثل

---

[1] ابن بطوطة، مهذب رحلة ابن بطوطة، ص 312.

[2] محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص 90/76.

[3] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 311/310.

[4] محمود كعت، المصدر السابق، ص 110/109؛ السعدي، تاريخ السودان، ص 70.

[5] محمود كعت، المصدر السابق، ص 179 – 180.

[6] غويي الإسلام في أفريقيا الفرنسية، باريس 1952، ص 30 ؛ آدم عبد الله الالوري، موجز تاريخ نيجريا، ص 94 ؛ سير توماس ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 397 – 398، حاشية (1).

[7] غويي، المرجع السابق، ص 53؛ عبد القادر زبادية، مملكة سونغي في عهد الاسبقيين، ص 136.

[8] كان بمدينة تمبكت وحدها في القرن السادس عشر الميلادي حوالي المائة وثمانون مدرسة قرآنية، محمود كعت، المصدر السابق، ص 180؛ سينيكي مودي سيسوكو، "الصونغي من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر الميلادي"، ص 220.

الفرائض، النحو والبلاغة[1]. المساجد الكبيرة مستوى المدارسة بها عالي ، حيث تدرس المـواد الإسلامية في شكل تخصص، وتتناول نفس مناهج الجامعات الإسلامية المعاصرة . لا يجلـس لمثل هذا النوع من التعليم إلا أساتذة متضلعون، وكان بينهم كثير من المغاربة[2].

في ركاب المرابطين دخلت الثقافة الإسلامية متدفقة من مدارس المغرب والأندلس الى بلاد السودان. وحد المرابطون الثلاث مناطق في دوله واحدة[3] . وتخطت المؤثرات الأندلسية بلاد المغرب الى بلاد السودان[4]. أستقدم المرابطون العلمـاء والفقـهاء والفنـانين لحضـور مجالسهم، أو لتأديب بنيهم أو لتشييد عمائرهم . وفي عهدهم تم اعظم اثر إسلامي في الميـدان الثقافي في تاريخ السودان . تدخلهم أدى الى إسلام ملوك غانا، كما أدي الـى محـو الأثـر الاباضى في بلاد السودان . وفي عهدهم أسست تنكبت ، التي أصبحت حاضرة الثقافة العربية الإسلامية في غرب أفريقيا[5].

عرف السودان حينها حركه فكريه سارت في طريق الازدهار ، وسادت نزعه إنسانية سودانية كانت من معطيات الإسلام كدين عالمي . فالإسلام هو الديانة الوحيدة التي أدت الـى تقدم وتطور بلاد السودان[6]. اخذ المسلم السوداني من الإسلام اكثر مما اخذ منه غـيره مـن مسلمي العالم. اخذ منه كل احتياجاته، حتى وسائل علاجه[7] . كان اثر الإسلام واضحـاً فـي التقريب بين مختلف قبائل السودان وإصلاح حالها وتهذيب طبائعـها[8] . ولاكتسـاب صبغـة

---

[1] ارنولد، الدعوة الى الإسلام، ص 397 – 398 ؛ عبد القادر زبادية، مملكـة سـونغي فـي عـهد الاسيقيين، ص 144 ؛ سينيكي مودي، "الصنغي من القرن الثاني عشر الى القرن السادس عشـر الميلادي"، ص 220.

[2] نفس المرجع.

[3] لسان الدين الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ص 251/ 252 ؛ حسـن احمـد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 327.

[4] نفس المرجع، ص 428.

[5] السعدي، تاريخ السودان، ص 21/20 ؛ محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص 180/179 ؛ حسن احمـد محمود، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص 179 – 235 ؛
Levtzion, "The Sahara & Sudan", P. 684

[6] نعيم قداح، أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، بدون تاريخ، ص 135؛
Blyden, Christianity, Islam & The Negro Race", P. 12 – 16 – 17 - 201

[7] Ibid., P. 205 - 209

[8] Ibid., P. 7 ; Trimingham, A history of Islam in west Africa , P. 124 - 137

إسلامية كاملة، للفوز برضاء الرعية والدول الإسلامية المعاصرة ، كان ادعاء النسب العربي، وكان تغيير أسمائهم الوثنية بأسماء وألقاب عربية[1] .

حضارة وثقافة بلاد السودان، في العصور الوسطي، يمكننا ان نصنفها بأنها كانت ذات طابع عربي إسلامي صرف، الالتقاء بين التقاليد الإسلامية والتقاليد المحلية قد وضحت آثاره في بعض اوجه نظم الحكم، التي ظهرت جامعه بين المؤثرات الإسلامية والمؤثرات السودانية . وهذا يبدو واضحاً في طريقة جلوس السلطان للمظالم، وفي لبسه وفي المحيطين به[2] . فالصورة التي عرضها المؤرخون[3] عن نظم الحكم والحياة تكشف عن مجتمع أفريقي صميم أكتسب الثوب الإسلامي، وهذه طبيعة الإسلام الذي يبقى على مالا يتعارض مع تعاليمه وشرائعه[4] .

الآثار السودانية لم تظهر في ميدان الثقافة ، التي كانت في بلاد السودان إسلامية عربية بحتة، في جوهرها ومظهرها[5]. وربما يرجع السبب في ذلك الى ان تلك الشعوب السودانية لم تكن لها تقاليد ثقافية عميقة، فلما اعتنقت الإسلام وتشربت ثقافته تقبلتها كما هي[6].

الحركة الثقافية في بلاد السودان، بعد دخول الإسلام لم تكن حركه من جانب واحد، فقد اسهم فيها الطرفان، وصار من تمثلوا الثقافة الإسلامية العربية، من السودانيين، جزءاً لا يتجزأ منها. ساهموا في استيعابها وتوطينها. فقد تلقت صفوه من ا بناء السودان علومها في جامعات المغرب، واجتهدت حتى بلغت القمة من العلوم الإسلامية[7] . وبعد عودتهم الى بلادهم تولوا نشرها والمدافعة عنها . ساعد الفائض التجاري على نمو طبقه من المتعلمين الذين تمكنوا من خدمه الدين والعلم[8] وتشهد قائمه المؤلفات التي خلفها علماء السودان باللغة العربية واللغات

---

[1] إبراهيم طرخان، "الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي"، ص 29.

[2] البكري، المغرب، ص 176؛ القلقشندي، صبح الأعشى، جـ 5 ، ص 289/288.

[3] البكري، المصدر السابق، نفس الصفحة؛ ابن بطوطة، مهذب رحلة ابن بطوطة، ص 308/305.

[4] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 308؛ البكري، المصدر السابق، ص 183؛ ياقوت، معجم البلدان، جـ 2 ، ص 932.

[5] حسن احمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص 367.

[6] في بلدان أخرى ذات ذاتية ثقافية نجد ان تقاليدهم قد أثرت في الثقافة العربية الإسلامية مثل الإيرانيين والإغريق، حسن احمد محمود، المرجع السابق، ص 261.

[7] ذكر ان الفقيه عبد الرحمن التميمي ورد من المغرب للتدريس في بلاد السودان ولكنه ما لبث ان أدرك ان الناس من حواليه اكثر علما منه فرجع إلى فاس للاستزادة من العلم. السعدي، تاريخ السودان، ص 51 ؛ نعيم قداح، أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، ص 145.

[8] سينيكي مودي، "الصنغي من القرن الثاني عشر إلى السادس عشر الميلادي"، ص 220 ؛ يوسف

السودانية، على درجه إسهام الممالك السودانية في الحضارة الإسلامية[1]. وهذا لا يمنع من الإشارة الى ان درجه تأصيل الثقافة الإسلامية في بلاد السودان متفاوتة ، فضلاً عن أن بعض الجهات النائية في بلاد السودان لم تتأثر بها[2] .

العلاقات المتطورة بين بلاد المغرب وبلاد السودان في العصر الإسلامي، أدت الى انتقال العديد من المعارف والعادات الاجتماعية ، من جانب الى الآخر. وقد أعار الكتاب العرب الأوائل بعض المظاهر الاجتماعية، مثل الطقوس والملبس والعادات أهمية كبيره، ومن ملاحظاتهم تلك يمكن ان نستنتج مدي التأثير المتبادل بين الجانبين في هذه المجالات، علماً بان بعض جوانب الحياة في كل لم يتأثر بالجانب الآخر.

فإذا ما أخذنا العادات الغذائية، مثلاً ، نجد ان المنطقتين شديدة التميز والانفصال حتى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، يقف ما أورده البكري،[3] ثم الادريسى[4] وابن بطوطة،[5] من بعدهما ، شاهداً على ان منطقة الساحل كانت تشكل حدوداً بين انظمه غذائية متباينة . وعليه فان أي تطورات في التقنيات الزراعية التي حدثت في بلاد المغرب لم تبلغ بلاد السودان[6] . فقد ظلت الأساليب الزراعية التي تناسب البيئة على حالها ن في الجنوب، طوال عده قرون . في مجال محدود، صدر الشمال للجنوب المعارف المتعلقة بزراعة محاصيله الغذائية من قمح وتمر[7] .

نتائج البحوث الأثرية، في لاوداغست ، جاءت مؤكدة لاعتماد أهل السودان في غذائهم على الدخن[8] . بعد غزو المرابطين/لاوداغست رحل عنها التجار ، فاختفى ذكر القمح في

= فضل، "الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية"، ص 44.

[1] السعدي، تاريخ السودان، 37 ؛ عبد الرحمن زكي، تاريخ الدول الإسلامية، ص 221.

[2] يوسف فضل، المرجع السابق، ص 44.

[3] المغرب، ص 163 – 172 – 180 – 181.

[4] وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 4 – 6 – 10 – 13 – 20.

[5] مهذب رحلة ابن بطوطة، ص 298 – 299 – 300 – 301.

[6] دنيس بولم، الحضارات الأفريقية، ترجمة على شاهين، مكتبة الحياة، بيروت، تاريخ، ص 143.

[7] البكري، المصدر السابق، ص 158 ؛ ايفر، دائرة المعارف الإسلامية، جـ 3 ، ص 578.

[8] ج. دفيس، "التجارة والطرق التجارية فى غرب أفريقيا"، ص 470/471.

المصادر إلا من مقادير يسيره يستخدمها التجار والغرباء والملـوك فـي منـاطق السـودان المختلفة[1] فالإدريسي،[2] يذكر اعتماد أهل اوداغست في غذائهم على لحوم الجمال المجففة.

... من ناحية الملبس، فان سكان السـودان العـراة[3] ، أو المرتـدين للجلود[4]، اصبحـوا باتصالهم بسكان بلاد المغرب يرتدون الملابس ويتأنقون فيها[5] ، متشبـهين فـي ذلـك بـأهل المغرب "لباسهم عمائم بحنك مثل المغرب.... ولبسهم يشبه المغاربة جبـاب ودراريـع بـلا تفريج"[6]. فالجلباب والسراويل والبرنس والقفاطين والعباءات والجبـب ،كلـها مـن الـتراث الإسلامي الذي حمله العرب عبر بلاد المغرب الى بلاد السودان[7] .

تأثرت نساء السودان بنساء بلاد المغرب في ملبسهن فبعد ان كـن يسـتترن بسـيور يضفرنها[8] ، او يرتدين الأزار واللحاف، تعلمن ارتداء القميص ووضع الخمار ، واقتدت سائر نساء السودان بنسائه المسلمات في الملبس وتغطيه شعر الرأس[9] كما تعلمن من نساء الشمـال إرسال شعورهن، بعد ان كن يحلقنها[10].

استورد السودان المختلطون بالمغاربة، من بلاد المغرب الأقمشة الصوفيـة والقطنيـة والبرود لاستخدامها تأسياً بالمغاربة[11] . دارت مناقشات حول ابتداء دخـول القطـن والغـزل جنوب الصحراء، من بلاد المغرب . أثبتت الحفريات وجود فلكات المغازل ، في اوداغسـت منذ أزمان باكرة ، الا أنها لم تتوافر إلا في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي[12]. حتى القرن السادس والسابع الهجري، كانت الملابس القطنية تنم عـن الانتمـاء الـى طبقـة

---

[1] ابن بطوطة، مهذب رحلة ابن بطوطة، ص 319؛ ايفر، دائرة المعارف الإسـلامية، جـ 3، ص 578.

[2] وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 19.

[3] البكري، المغرب، ص 178؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص 7 ؛ المسعودي، مروج الذهب، جـ 1، ص 164.

[4] البكري، المصدر السابق، ص 183 ؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص 13.

[5] الادريسي، المصدر السابق، ص 8 – 12 ؛ ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 397.

[6] القلقشندي، صبح الأعشى، جـ 5 ، ص 287.

[7] آدم عبد الله الالوري، موجز تاريخ نيجيريا، ص 113.

[8] البكري، المصدر السابق، ص 178.

[9] الالوري، المصدر السابق، ص 111 .

[10] البكر ي، المصدر السابق، ص 175 – 178.

[11] ابن سعيد، الجغرافيا، ص 91 – 114.

[12] ج. دفيس، "التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا، ص 476.

اجتماعية معينة[1] . ما ذكره البكري،[2] عن مدينة ترنقة يوحي بدخول تقنية النسيج الى بلاد السودان، وان كان في حدود ضيقه ، وربما يعزي ذلك لعدم توفر القطن في ذلك الوقت في بلاد السودان .

من الأشياء التي كان انتقال التقنيات منها من الشمال الى الجنوب ثابتاً، وبعيد الأثر، كان فن العمارة. كشفت الأبحاث الأثرية تأثير النماذج المعمارية الاباضية في بلاد السودان، خاصة في عمارة المساجد. فبناء المئذنة المدرجة والمحراب المثلث وغياب المنبر، في بعض المساجد في بلاد السودان، يوضح بجلاء الأثر المغربي الاباضي في هذا الشأن، وهو أمر لا يزال موجودا في وادي ميزاب في جنوب الجزائر[3].

ان إدخال بعض تصاميم المساجد لا يعني بالضرورة، ان جميع مهارات البناء قد انتقلت من بلاد المغرب الي بلاد السودان. من المؤرخين من يري ان فن العمارة، كعلم ، جاء به منسا موسى سلطان مالى – بعد أدائه لفريضة الحج[4] . كما استشهد البعض بما أورده الإدريسي،[5] عن قصر ملك غانا، على تطور فن العمارة في بلاد السودان . وفي هذا خلط بين إقامة آثار ومساجد وقصور معينه، والتخطيط العمراني العام. غير انه من الثابت استخدام السودانيين للطين، وربما الطوب، في زمن سبق قيام الاتصالات عبر – الصحراوية المكثفة، وليس من المجازفة القول بان السودانيين قد استخدموا ، منذ عهد مبكر هذه المواد المناسبة سهلة التشكيل[6]، ربما انتقل استعمال الحجر في البناء[7] من الشمال الى الجنوب.

المغاربة، المتأثرون بالحضارة الإسلامية، جلبوا معهم الى بلاد السودان تصاميمهم الخاصة في إقامة المنازل[8] . فقد ورد ان رجلاً يدعي ملوم إدريس هو الذي علم أهل جنى بناء منازلهم وزخرفتها على النمط الذي ما يزال مستعملاً بها ، وبالجهات المجاورة لها[9] .

---

[1] الإدريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 4 – 12.

[2] المغرب، ص 173.

[3] ج. دفيس، "التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا"، ص 474 ؛ عوض محمد خليفات، "في الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية "، ص 58/57.

Herbek , "The Spread of Islam to the South of the Sahara", P. 70

[4] ابن خلدون، العبر ، جـ 6 ، ص 268.

[5] المصدر السابق، ص 7.

[6] البكري، المصدر السابق، ص 6 ؛

Mauny, "Trans – Saharan contacts & Iron Age in West Africa, P. 338

[7] البكري، المصدر السابق، ص 175.

[8] آدم عبد الله الالوري، موجز تاريخ نيجيريا، ص 112.

[9] ايفر، دارة المعارف الإسلامية، جـ 7، ص 146؛ دي لافوس، أعالي السنغال والنيجر، ص 280.

الأثر المغربي نجده واضحاً في تخطيط المدن السودانية ، التي أصبحت تنقسم الى حيين أحدهما لإقامة التجار والآخر مقراً للسلطة الحاكمة ، على غرار ما كان سائداً في المدن المغربية القيروان[1] وفاس[2] واغمات[3] . كما احضروا معهم، على الأخص، التخطيط الحضري الذي تنفرد به المدن الإسلامية . ويظهر هذا جلياً في اوداغست، التي لم تلبث الشوارع والبيوت المسيجة ، ان حلت محل التخطيط بالغ البساطة، الذي كان شائعاً فيها ، منذ القرن الثالث والرابع الهجري، التاسع والعاشر الميلاديين[4] وانتشر بعدها في الكثير من المدن السودانية. كما تظهر الحفريات، التي أجريت في موقع كومبى صالح، عاصمه غانا مثل هذا الأثر، إذ اصبح المسجد يتوسط المدينة، كما في المدن المغربية[5]، بينما كان في الماضي يتوسطها منزل زعيم القبيلة او دار عبادة الأوثان[6] .

(قصر الحجر) ، القصر المرابطى بمدينة مراكش، يدعونا للاعتقاد بان تقنية المباني قد انتقلت من الجنوب الى الشمال أيضا . فجدار هذا القصر يتألف من جزأين بينهما حاجز من الدبش وهذا يوحي بان المرابطين قد استقدموا أسلوبا في البناء، ربما اقتبسوه من الساحل او الصحراء[7] .

العلاقات التجارية بين بلاد المغرب وبلاد السودان أدت الى انتقال نظام الموازين الإسلامي الى بلاد السودان . فقد وجد في كل من اوداغست[8] وكومبي صالح[9]، موازين يرجع تاريخها الى العصور الوسطى . ربما أدى ازدياد الطلب على الذهب في الشمال من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، الى إرساء أسس الموازين في بلاد السودان . وقد كان اثر

---

1 الإدريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 80.

2 نفس المصدر، ص 50 ؛ البكري، المغرب، ص 115 ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، جـ 1 ، ص 211 - 212 .

3 الإدريسي، المصدر السابق، ص 45.

4 البكري، المسالك والممالك، ص 859 ؛ ج. دفيس، "التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا، ص 475 ؛ السعدي، تاريخ السودان، ص 21 .

5 ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، جـ 2، ص 165؛ Levtzion , "The Sahara & Sudan", P. 674

6 السعدي، المصدر السابق، ص 17؛
Mauny, "Trans – Saharan Contacts & the Iron Age" P. 338

7 ج. دفيس، المرجع السابق، ص 475 ؛ ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 398.

8 ج. دفيس، المرجع السابق، ص 477 .

9 Levtzion, OP.Cit., P. 674

الفاطميين واضح على الأوزان الزجاجية التي وجدت في اوداغست[1]. ليس لدينا ما نقدمه كدليل على دخول أوزان أخرى الى بلاد السودان من بلاد المغرب في الفترات اللاحقة. كل ما أورده المؤرخون في هذا الشأن هو ان التجار العرب والمسلمين قد حددوا المكاييل والموازين السليمة[2].

استيراد كميات من مصابيح الزيت عالية الجودة من الشمال[3]، لم يتبعه محاولات للتقليد في الجنوب، ويبدو ان تقنياتها لم تستوعب في ثقافات بلاد السودان، إذ أنها لم تترك أي اثر فيما ينتج محلياً من حيث الشكل والزخارف والتقنية[4]. يعتبر هذا استقرار ثقافي للسودانيين في هذه الناحية. وعليه لم تكن بلاد المغرب هي التي أعطت بلاد السودان ولعها بصنع تماثيل الطين المحروق[5] . كذلك لم تتأثر فنون النحت على الحجر والبرونز والخشب في بلاد السودان ببلاد المغرب، بل ظلت محافظه على تقاليدها المحلية[6] .

من عرضنا السابق نجد ان مناطق أفريقيا ، شمال وجنوب الصحراء ، تكاد تمثل وحده حضارية، توثقت عراها بالإسلام واللغة العربية . وعليه يمكننا القول انه ليس هناك ما يبرر تقسيم أفريقيا الى قسمين، شمال وجنوب الصحراء، عنصرياً ولغوياً، إذ ان بذلك التمازج فقد التقسيم الثقافي أهم مرتكزاته، فضلاً عن ان الصحراء كانت هي الرابط بين الجانبين[7]. فالتمازج العنصري والحضاري والثقافي بين بلاد السودان وبلاد المغرب، حقا، يبعث على التفكير، إذا ما قارناه بشاطئ أفريقيا الشرقي، الذي لم يتعرب والتجار عرب، بينما تعربت غرب أفريقيا والتجار بربر، كما ورد عند البعض[8]

مراكز الحضارة والثقافة في بلاد المغرب والسودان:

كان نمو الحركة العلمية الإسلامية، والثروة التي تمتع بها كل من الجانب المغربي والسوداني، هما اللذان أثمرا ازدهار مراكز العلم والثقافة. غير أن الظروف الحضارية كما يجب أن نفهمها، لا تعنى كل البلاد، وإنما تعنى مراكز الاستقرار المدني، المدن الكبرى الهامة

---

[1] ج. دفيس ، "التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا، ص 437.

[2] احمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، جـ 6 ، ص 202.

[3] Levtzion, "The Sahara & Sudan" , P. 649 - 674

[4] ج. دفيس، المرجع السابق، ص 473.

[5] نفس المرجع، والصفحة، حاشية رقم 327.

[6] E. J. Murphy, History of African Civilization, New York, 1972 , P. 65

[7] Rhys Carpenter , "A Trans – Saharan Route in Herodotus", American Journal of Archeology 1956 , vol. 60 , P. 231 - 242

وما حولها من الضواحي . فبعض المراكز الحضرية هي وحدها التـــي ازدهــرت وبــرزت ونشأت فيها المؤسسات الإدارية والاجتماعية، وكثر عدد سكانها وتبادلوا المنافع والمعارف.

مراكز حضارة مغربية:

القيروان: يعتبر إنشاء المدينة جدثاً في تاريخ بلاد المغرب ، ويعتبر مســجدها المسـجد الأم للجناح الغربي (لدار الإسلام)، بعد تأسيسه[1]. أصبحت القيروان منارة للإسلام والثقافـــة العربية، كما أراد لها عقبه بن نافع ان تكون عزاً للإسلام حتـــى آخــر الدهر[2]، وظلــت عاصمه لأفريقية والمغرب الإسلامي فتره طويلة من الزمن[3].

رسخت قدم مدرسه القيروان بعد هدوء الأحوال ببـــلاد المغــرب. وبإقبـال الصحابـة والتابعين والعلماء الوافدين، أصبح جامع عقبه بن نافع مدرسه إسلامية يؤمها الناس من كافـــه البلاد وانتشر صيتها حتى عم كل أفريقيا[4] . الرعيل الأول من العلماء بالمدينة كان من نتـــاج بعثه الخليفة عمر بن عبد العزيز العلمية . وأصبح دور المدينة ومدارسها لا يقـــل عــن دور القواد الفاتحين ، فمعظم فقهاء أفريقية قد تخرجوا منها[5]. وكانوا يخرجون لنشر الإسلام واللغة العربية في بلاد المغرب وغيرها من أنحاء أفريقيا. وأصبحت القـــيروان عاصمـــه المذهـــب المالكي في أفريقيا وعلماؤها أقطاب الفقه وأئمة المذهب. وان كان قد خبأ نورها أبان ســـيطرة الشيعة عليها، فأنها سرعان ما استعادت مكانتها بعد خروجهم فقصدها الطلاب من كل فـــج . قصدها فيمن قصد يحي بن عمر الجدالي[6] ليستصحب من علمائها من يصلح به أمر دين أهله.

---

[1] البكري، المغرب، ص 23/22 ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، جـــ 1، ص 20 ؛ المالكي، ريـــاض النفوس، ص 62/21 ؛ ابن الأثير، الكامل، جـــ 3، ص 466 ؛ الطبري، تاريخ الأمـــم والملـــوك، جـــ 5 ، ص 240 .

[2] ياقوت، معجم البلدان، جـــ 4 ، ص 421 ؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ص 19؛ النويري، نهايـــة الأرب، جـــ 22، ص 187.

[3] ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ص 9 ، حاشية (1).

[4] اليعقوبي، البلدان، ص 348 ؛ ابن عذارى، المصدر السابق، جـــ 1 ، ص 21 ؛ الإدريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 50.

[5] ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، جـــ 2 ، ص 91.

[6] البكري، المصدر السابق، ص 164.

وباستقرار عرب بنو هلال في مدينة القيروان تفرق علماؤها ، واضمحلت كجامعه لها شأن[1] ، بعد ان ظلت تغذي الحياة الثقافية في العالم الإسلامي طيلة أربعة قرون[2].

فاس: تأسست على يدي الإدارسة في سنة 192 هـ الموافق 809 م[3] وكانت ذات طابع عربي، إذ ان معظم سكانها من العرب الفارين من خدمه بنى الأغلب في أفريقية، ومن الأندلسيين المهاجرين إلى المغرب في عهد الحكم بن هشام 202 هـ 817 م، هذا الى جانب سكانها من البربر المتعربين[4] . عظم شأنها في العمارة وبلغت من التمدن ما لا يعلم لمدينة من مدن الإسلام بالمغرب[5]. نافست بغداد في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ، وشبهت بالإسكندرية في المحافظة على علوم الشريعة[6]. بلغ عدد سكانها الخمسمائة ألفا، وبلغ عدد مساجدها الثمانمائة، وبها مكتبه عامرة زاخرة بالمخطوطات[7].

كانت تتلقى المؤثرات الثقافية من مدينة القيروان حتى كونت ذاتيتها المستقلة ، وأصبحت دار فقه وعلم وحديث ولغة . ففهاؤها يقتدي بهم . اكتسب جامع القرويين، الذي أسس بها 245هـ 859 م صبغه علمية جامعيه عالميه[8] . زادت شهرتها بعد اضطراب أمر قرطبة والقيروان[9] ، ومن شهرتها قصدها الأوربيون طلباً للعلم[10] .

اعتصم بها علماء أفريقية عند غزو بنى هلال، فكأن نكبة القيروان أدت الى تفوق مدارس المغرب الأقصى وبروزها في ميدان الثقافة بفضل حماية المرابطين لتلك المنطقة من خطر القبائل البدوية العربية . ورثت جامعه فاس تقاليد مدرسه القيروان، وخلفتها في مضمار الثقافة الإسلامية.

---

[1] النويري، نهاية الارب، جـ 22 ، ص 148.

[2] الدباغ، معالم الإيمان، جـ 3، ص 252، حسين مؤنس، "مقدمة" رياض النفوس، ص 52/53.

[3] البكري، المغرب، ص 115؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ص 211؛ ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ص 198، حاشية (2) .

[4] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 200 ؛ الإدريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 53.

[5] ابن الخطيب، المصدر السابق، نفس الصفحة ؛ ياقوت، معجم البلدان، جـ 4 ، ص 230 ؛ اليعقوبي، البلدان، ص 357.

[6] القلقشندي، صبح الأعشى، جـ 5 ، ص 151.

[7] مجهول، الاستبصار، ص 180/181 ؛ ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، جـ 1 ، ص 223 ؛ غوستاف لوبون، حضارة العرب، ط 4 1964 ، ص 258.

[8] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 201 .

[9] عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 238 – 239 .

[10] حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 105.

مراكز ثقافية سودانية:

توطدت الصلات بين مراكز المغرب ومراكز السودان الثقافية، حتى بدت الأخيرة كأنــها جزء من المغرب في قلب السودان، وردها العلماء المغاربة، وسار أهلها الى بلاد المغــرب . تبادلوا الكتب والدراسات والأفكار.

مراكز السودان الثقافية ازدهرت متأخرة بعض الشيء، مما أخرجها عــن دائــرة هــذا البحث، ولكن لا نجد بأسا من التعرض لبعضها لعكس الأثر الثقافي المتبادل بينها وبين مراكز بلاد المغرب الثقافية.

تنبكت : نشأت على يد طوارق مقشرن في أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشــر / الميلادي[1] . باستقرار الأحوال في عهد المرابطين أصبحــت مدينــة يقصدهــا التجــار وسرعان ما اقتفى أثرهم العلماء، الذين قصدوها من بلاد المغــرب وبــلاد الأندلــس[2]، وتحلق حولهم طلاب العلم من السنغال والنيجر والهوسا وكانم وبرنو، فأصبحت مركــزاً علمياً ثقافياً بجانب كونها مركزاً تجارياً[3]. يقول السعدي،[4] ان العمارة إنمــا أتتــها مــن المغرب في الدين والمعاملات . بنيت فيها المساجد، وقد اخذ الســودانيون تقليــد بنــاء السيدات الغنيات للمساجد عن المغاربة ، فمثلما بنت الســيدة فاطمــة الفهريــة جامعــة القرويين بفاس، بنت سيده غنية مسجد سنكري بتنبكت[5].

اهتم قضاتها وموسروها بطلاب العلم ، الذين كانوا كثر بها نسبة لارتفاع عدد ســكانها الذين قدروا بحوالي الثلاثين ألفا[6] .

اشتهرت تنبكت بثقافتها على النمط الإسلامي، في السودان الغربي كله . فضــلاً عــن كونها سوقاً للكتب، تنسخ فيها المخطوطات وتوزع علي البلاد. ومن فقهائها من اقتنى نفــائس الكتب ووزعها على طلاب العلم[7]. أصبحت لها نفس المكانة التي كانت للقيروان وفاس، كمــا ارتبط بها تاريخ الثقافية الإسلامية ببلاد السودان .

---

[1] السعدي، تاريخ السودان، ص 20..

[2] عبد الرحمن زكي، تاريخ الدول الإسلامية السودانية، ص 222.

[3] كارادا فو، دائرة المعارف الإسلامية، جـ 5 ، ص 465.

[4] المصدر السابق، ص 21.

[5] نفس المصدر، ص 62.

[6] نفس المصدر، ص 23 ؛ دي لافوس، أعالي السنغال والنيجر، جـ 2 ، ص 411.

[7] السعدي، المصدر السابق، ص 44.

جني : **نشأت في أواخر القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي[1]. تقع الى الجنوب الغربي من** تنبكت، وكانت مركزاً ثقافياً منافساً لها . ازدهرت فيها الدراسات الدينية والفقهية ، نسبه لازدهارها الاقتصادي، إذ يلتقي فيها أرباب الملح من الشمال بأرباب الذهب من الجنوب "ومن اجل هذه المدينة المباركة كانت تأتى الرفاق من جميع الآفاق الى مدينة تنبكت"[2]. الدليل على كثره العلماء بها ما اجتمع لسلطانها منهم عند إعلان إسلامه[3] ولا غرو فالمدينة واسعة عامرة تتكون من عدد من القرى المتجاورة[4] ، قصدها العلماء والصالحين من مختلف الجهات[5] .

كادت مدارس الثقافة الإسلامية في بلاد السودان ان تكون مدارس مغربية بحتة، فكأننا في القيروان او مراكش او فاس . نفس الأسلوب، المثل ونفس الوسائل . كتب عياض وسحنون، شروح ابن القاسم وخليل ، كتب المغيلى والنشريش وموطأ مالك ، كلها كانت تدرس في كل من تنبكت وجنى[6] ، وما نشأ بعدهما من مراكز ثقافية في بلاد الهوسا وبرنو.

هكذا عاشت بلاد السودان، بفضل علاقاتها مع بلاد المغرب ، مع عصرها في مجال المعرفة. وكان لملوكها دورهم في نشر نور المعرفة ، كما أدت الظروف المالية الجيدة الى جلب العلماء من بلاد المغرب . الطلبة السودانيون كان لهم دورهم في تحصيل هذه المعارف من مراكزها الأصلية بكل همة وجلد. وان قضت دول السودان الدور الأول في الأخذ والاستيعاب، فأنها ما لبثت ان شاركت بدور واضح في ميدان الإنتاج داخل نطاق الحضارة الإسلامية . فكانت حضارة السودان الأوسط **والغربي حضارة متميزة، لها خصائصها ومقوماتها، التي جعلت منها ذاتية متفردة لقاء بلاد المغرب، التي استمدت الجذوة الأولى منها .** وتتضح مرحلة اندماج بلاد السودان في ميدان الحضارة الإسلامية بقيام السلطنات، ملوك مسلمون ورعيه مسلمة .

تجدر الإشارة في هنا المقام، الى ان الكثير من المؤرخين يرجعون قيام إمبراطوريات بلاد السودان الإسلامية الى هذا التفاعل الحضاري والثقافي مع بلاد المغرب، وهو ما أطلق عليه اسم (نظريه الانتشار الثقافي) وهى نظريه تبني على ان البيض المهاجرين قد جلبوا

---

[1] السعدي، تاريخ السودان، ص 12 ؛ ايفر، دائرة المعارف الإسلامية، جـ 7 ، ص 146.

[2] السعدي، المصدر السابق، ص 12/11.

[3] نفس المصدر ، ص 12.

[4] نفس المصدر ، ص 13.

[5] نفس المصدر ، ص 16.

[6] نفس المصدر ، ص 45 – 46.

الى تلك البلاد نوع متفوق من التنظيم ، غير أن هذه المسلمات تخضع في الوقت الراهن لنقد منهجي[1].

---

[1] حسن احمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص 225 ؛ إبراهيم طرخان، إمبراطورية غانة الإسلامية، ص 22 ؛ دي ميديروس، "تنقل السكان"، ص 144 ؛ Fage , A History of



خاتمه البحث

تناولت في هذه الدراسة العلاقات بين بلاد المغرب وبلاد السودان منذ دخول العرب المسلمين لمنطقة الشمال الأفريقي في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي وحتى نهاية العصر الفاطمي.

وضحت الدراسة ان هذه العلاقات قد شملت كلاً من الناحية السياسية الاقتصادية والثقافية متتبعين العوامل التي دفعت كل من الجانبين لإنشاء مثل تلك العلاقات وتطويرها ومن أهم النتائج التي نستخلصها من هذه الدراسة:

ان العلاقة بين بلاد المغرب وبلاد السودان علاقة ازلية سبقت الفتح الإسلامي للشمال الأفريقي غير أنها كانت فيما توفره لنا الأدلة المكتوبة والأثرية تتمثل في العلاقات التي تفرضها الاحتياجات الملحة لبدو الصحراء والمستقرين من السود في الطرف الجنوبي من الصحراء. زاد من سرعة وتيرتها وبعد مداها استقدام الجمل للصحراء والأحداث السياسية التي مر بها الشمال الأفريقي في فترة الحكم الروماني - البيزنطي قبيل مقدم العرب.

الحكام الجدد للشمال الأفريقي، العرب المسلمين، لم يقف اتساع نطاق الصحراء عائقا في وجه تقدمهم نحو الداخل، الذي بدأ منذ بداية عهدهم. فتحت حملاتهم الأولى على الصحراء الشرقية في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي، ونحو الصحراء الغربية في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، الطريق أمام القبائل البدوية البربرية فتوغلت في الصحراء.

أدى الاحتكاك بين بدو الصحراء الغربية والزنوج جنوبهم، إلى تحالف قبائل الصحراء الذي اصبح يعرف بدولة انبية، ومن عاصمتها اوداغست كانت رائدة في مجال الاتصالات مع مملكة غانة الزنجية جنوب الصحراء.

في الجهة الشرقية حملت زويلة لواء العلاقات عبر الصحراء مع منطقة بحيرة تشاد. وتحت زعامة بني الخطاب سارت العلاقات بين المنطقتين إلى حد ما يشبه التكامل السياسي.

التجارة مثلت عصب العلاقات بين الشمال والجنوب فقد ثبت من الدراسه ان تجارة عبر صحراويه، جادة ومنتظمة، قد بدأت في النشوء منذ منتصف القرن الثاني الهجري وهى الفترة التي أسست فيها إمارات الخوارج الصفرية والاباضيه في كل من سجلماسة وتاهرت على التوالي . وشهد القرن الثالث الهجري ذروه توغل العناصر الخارجية في الصحراء وما ورائها

قاد مثل ذلك التواصل بين سكان بلاد السودان وبلاد المغرب، مع تعدد أسبابه، الى قيام علاقات سياسية بين ممالك الجانبين، عبرت عنه العلاقات الدبلوماسية المتمثلة في تبادل السفارات والهدايا بين الجانبين. هذه الدبلوماسية النشطة اللبقة هدفت لرعاية مصالح الجانبين

الاقتصادية، فانه باستثناء ما كان جارياً بين مملكه غانا ودوله انبية، وما جري من استيلاء المرابطين على عاصمه غانا، لم تشهد المنطقتان أي أعمال حربيه بينهما بنية التوسع الإقليمي.

في مجال التبادل التجاري كان ذهب السودان هو هدف المستثمرين من الشمال، بجلبهم الملح، الذي كان لا يرضي مالكو الذهب من الزنوج بتركه الا من اجله . فالذهب كان الاداة المنشطة للعلاقات بين الجانبين طوال العصور الوسطى، ولا غرو فهو السلعة التي من اجلها استؤنفت التجارة بين شاطئ البحر الأبيض المتوسط الشمالي والجنوبي.

عادلت تجارة الرقيق ميزان التجارة في الجهة الشرقية، فلولاها لأصبحت المنطقة في حاله ركود اقتصادي. بالرغم من انه كان نشاطاً أكيداً تحدثت عنه المصادر المتقدمة والمتأخرة، الا ان المتتبع للمعاهدات السياسية المبرمة، والأعداد التي حملتها القوافل المتجهة شمالاً تدعونا الى القول انه نشاط قد بولغ في تقديره، وانه لا يقاس مع ما بلغته تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلنطي فيما بعد.

نمو وازدهار النشاط التجاري بين الجانبين أدى الى تعدد المسارب والطرق ، الصراع بين السلطات الحاكمة للسيطرة على هذه الطرق التجارية أدى الى ازدهار طرق أخرى في المنطقة الوسطى من الصحراء بجانب طرق المنطقة الغربية والشرقية . نمت على نهايات هذه الطرق الشمالية والجنوبية، وفي أواسطها ، العديد من المراكز التجارية . كما أدى ازدياد حجم التبادل التجاري الى تطور نظم التجارة، فوضعت القوانين والضوابط، وأنشئت النقابات والشركات وتطورت وسائل التعامل وتنوعت.

تحقق الهدف الذي من اجله قام المسلمون بفتح بلاد المغرب وهو توسيع رقعة دار الإسلام ونشر الإسلام وحضارته بين السكان. وكان بناء القيروان، وغيرها من المدن التي خطت في المغرب، عاملاً في استقرار العرب المسلمين في الشمال الأفريقي وتمازجهم مع السكان الأصليين، الشيء الذي أدى الى ترسيخ الإسلام ومبادئه وثقافته في نفوسهم، وحملوه بدورهم الى بلاد السودان . فمن المراكز التجارية والثقافية في بلاد المغرب، عبر العديد من التجار المسلمين والعلماء والفقهاء الى مراكز جنوب الصحراء، فنشروا الإسلام واللغة العربية بين السودانيين ملوكاً ورعيه ، أعانهم على ذلك موقف الحكام الإيجابي تجاه الدعوة والداعين، فتمكنوا من صبغ المجتمع السوداني بالثقافة والحضارة الإسلامية العربية. وباستكمال استعراب البربر على يدي بنى هلال وسليم ، وباستخلاصهم للسلطة السياسية في بلادهم بقيام دوله المرابطين تمكن المغاربة من تحقيق وحده سياسية مع بلاد السودان، أكملت ما كان قد بدأ من تكامل اقتصادي وثقافي

مراجع ومصادر البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

مصادر البحث:

القرآن الكريم

- ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن أبـي القاسـم الرعينـي (ت 485 هـ / 1092 م) المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس، تونس 1967، الطبعة الثالثة،

- ابن الأثير، الحسن على بن محمد (ت 630 هـ 1232 م)

1. الكامل في التاريخ ، (13 ج) دار صادر بيروت، 1965

2. أسد الغابة في معرفة الصحابة (5 ج) دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ

- الادريسى، أبو عبد الله بن محمد بن إدريس (ت 560 هـ / 1164 م)

- وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، مأخوذ عن نزهه المشتاق في اختراق الآفاق، صححه ونشره بيريس، الجزائر، 1957

- الاصطخري، أبي اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت النصف الأول من القرن الرابع الهجري) مسالك الممالك، معول على كتاب صور الأقاليم للشيخ أبي يزيد احمد بن سهل البلخى، تحقيق م.ج.دى غوبى ، ط 2، 1927

- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد (ت 770 هـ / 1368)

تحفه النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، مهذب رحله ابن بطوطة، وقف على تهذيبه وضبطه احمد بك العوامري ومحمد احمد جاد المولي بك، ج 2 ، القاهرة ، 1934

- البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت 487 هـ 1085 م)

(1) المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، جزء من كتاب المسالك الممالك 1857

(2) المسالك والممالك، تحقيق ادريان فان ليوفن، واندري فيرى، ج 2 الـدار العربية لكتاب 1992

- البلاذري، أبو الحسن احمد بن على بن جابر (ت 379 هـ / 989 م)

فتوح البلدان، نشر غوية، طبعه ليدن، 1968

- التجانى ، أبو محمد عبد الله بن محمد (ت. قيل في 721 هـ / 1321م) رحلة التجاني، تقديم حسن حسنى عبد الوهاب، تونس، 1958

-ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن (813 - 874 / 1410 - 1469 م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية للكتاب، 1963

-الجاحظ، عمر بن بحر ،

رسالة فخر السودان تحقيق حسين السندوبي القاهرة 1933
-ابن حوقل، (ت 367هـ/977م) صورة الأرض، بيروت، 1962، أبي القاسم النصيبي
-ابن الخطيب – لسان الدين (ت766 هـ / 1374 م)
تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، جزء من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق احمد مختار العبادي، ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء 1964
-ابن خلدون، عبد الرحمن محمد الحضرمي (ت 808 هـ / 1405 م)
العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط خليل شحاته، ط أولى ، دار الفكر ، 1981
- الدباغ، عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، (ت 696 هـ / 1296
معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان (2ج)، مكتبة الخانجي، ط 2 ، مصر 1968
-الدمشقي، أبو الفضل بن جعفر بن علي، (القرن السادس الهجري)
الإشارة الى محاسن التجارة، طبعه المؤيد، 1318 هـ
-الرقيق القيرواني، أبو اسحق إبراهيم بن القاسم (417 هـ / 1026 م)
تاريخ أفريقيا والمغرب، تحقيق المنجي الكعبي، تونس 1967
- الزهري، أبو عبيد محمد بن أبي بكر (ت أواخر القرن السادس الهجري)
كتاب الجغرافيا، تحقيق محمد حاج صادق، بيروت 1967
-السعدي، عبد الرحمن بن عبد الله، (ت 1066 هـ)
تاريخ السودان، تحقيق هوداس، طبعة بردين 1898
- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي (673 هـ 685 هـ)
كتاب الجغرافيا، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات، الجزائر، ط / أولى 1970
- ابن صغير المالكي، تاريخ أئمة الدولة الرستميه، باريس 1958
- الطبري محمد بن جرير،
تاريخ الرسل والملوك (11 ج) تحقيق حمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت 1963
- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (257هـ)
فتوح مصر والمغرب، لجنة البيان العربي، تحقيق عبد المنعم عامر، 1961
- عبد الواحد المراكش، محي الدين بن محمد بن على التميمي (647 هـ / 1249 م)
المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق من سعيد العريان القاهرة، 1963
- ابن عذارى المراكش، (ت أواخر القرن السابع الهجري)

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 1948
-ابن الفقيه الهمداني، احمد بن محمد (290هـ/ 902م)
-محتضر كتاب البلدان، طبعه ليدن ، 1302هـ
- الفيروز ابادي، محمد بن يعقوب (ت 823 هـ / 1420 م)
القاموس المحيط (4ج) طبعه دار الجيل بدون تاريخ
-ابن قتيبة:
الإمامة والسياسة، مصر 1904
-القزويني، زكريا بن محمد (682هـ / 1283 م)
آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت 1960
- القلقشندي، احمد بن على (821 هـ / 1418 م)
صبح الأعشى في صناعه الانشا (14 ج) شرح وتعليق نبيل خالد الخطيب، طبعه أولى، بيروت 1987
- كعت، محمود بن الحاج المتوكل (القرن العاشر الهجري)
تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش واكابر الناس، طبعه هوداس، باريس 1964
- المالكي، أبي بكر عبد الله بن أبي عبد الله (453 هـم / 1061 م)
رياض النفوس، تحقيق حسين مونس، طبعه أولى، مكتبه النهضة، مصر 1951
-مجهول (القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)
الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعه الإسكندرية، 1958
-المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين (346هـ/957م)
مروج الذهب ومعادن الجوهر (4ج) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، طبعه الرابعة، 1384 هـ / 1964
- المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن احمد / ت 375 هـ / 985 م)
احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم . طبعه ليدن ، ط 2، 1909
-المقريزي، تقي الدين احمد بن على بن عبد القادر (ت 845 هـ / 1441 م)
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار والأمصار، المعروف بالخطط المقريزيه، مطبعة النيل، مصر 1325 هـ وطبعه أخرى، دار صادر بيروت بدون تاريخ.
- الناصري، احمد بن خالد،
الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى (9 ج)

تحقيق جعفر ومحمد الناصري، الدار البيضاء 1954
- النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت 732 هـ / 13320 م)
نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب المصرية 1399 هـ - 1949 ، جـ 22 خصص للمغرب العربي، حققه مصطفي أبو ضيف احمد تحت عنوان تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، نشر الدار المغربية، الدار البيضاء
-ابن الوردي، زين العابدين (ت 749 هـ)
تتمة المختصر في أخبار البشر، تحقيق احمد رفعت البدراوى ، ج 1، طبعه أولى ، بيروت 1970
- احمد بن يحي الونشريش (ت914هـ / 1508م) ،
المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء أفريقية والأندلس والمغرب (13ج)
تحقيق محمد حجي، دار المغرب الإسلامي، بيروت 1981
- ياقوت ، شهاب الدين بن عبد الله الحموي (ت 626 هـ / 1228 م)
معجم البلدان (5ج) طباعه دار بيروت ودار صادر بيروت 1957
-اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب جعفر بن وهب (292 هـ / 904 م)
(1) البلدان، الملحق بكتاب الاعلاق النفيسة لابن ستة، ليدن 1891
(2) تاريخ العقيوب، دار صادر بيروت 1960
طبعه أخرى قدمها وعلق عليها محمد صادق بحر العلوم ، طبعه النجف 1964

بسم الله الرحمن الرحيم

<u>المراجع : باللغة العربية</u>

- إبراهيم، محمد عبد الفتاح، أفريقيا من السنغال الى نهر جوبا القاهرة ، 1961
-ادامو مهدي، "الهوسا وجيرانهم بالسودان الأوسط"، تاريخ أفريقيا العام ، اليونسكو مجلد 4، فصل 11، ص 273 - 303
- الالوري، آدم عبد الله ، موجز تاريخ نيجيريا ، مكتبه الحياة بيروت 1965
- ارنولد، سير توماس، الدعوة الى الإسلام، ترجمه وتعليق حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين، طبعه 3، القاهرة، 1970
- اسيفو، زكري دراماني، "الإسلام كنظام اجتماعي في أفريقيا منذ القرن السابع الميلادي"، تاريخ أفريقيا العام، اليونسكو، مجلد 3، فصل 4
- ايفر، (1) مادة برنو ، اوجيله، اوداغست، دائرة المعارف الإسلامية، ج 3
(2) مادة، جنى ، دائرة المعارف الإسلامية ج3
-باسيه، رينية، مادة "بربره"، دائرة المعارف الإسلامية، ج 3
-بازامه، محمد مصطفي، ليبيا، هذا الاسم في جذوره التاريخية، اللجنة العليا لرعاية الفنون والآداب، بنغازي 1963
-البستاني، بطرس، دائرة المعارف، ج3
-بصيلي، الشاطر عبد الجليل، تاريخ حضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن السابع - القرن التاسع عشر الميلادي، الهيئة العامة للكتاب، مصر 1972
-بروفنسال، ليفي ، السوس الأقصى، دائرة المعارف الإسلامية ج 12
-بروكلمان، كارل (1) تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمه أمين نبيه فارس ومنير البعلبكي، ج 2، طبعه 3، بيروت 1961
(2) تاريخ الأدب العربي، تعريب عبد الحليم النجار، دار المعارف ، طبعه 2، 1977
-بولم، دينس، الحضارات الأفريقية، ترجمة على شاهين مكتبه الحياة، بيروت، بدون تاريخ
-بل، الفرد، الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، طبعه ، بيروت 1981
- بوسنانسكي.، م ، (1) "المتجمعات الأفريقية جنوب الصحراء في العصر الحديدي المبكر"، تاريخ أفريقيا العام ، اليونسكو، مجلد 2، فصل 29
(2) "مقدمه لأفريقيا المجاورة للصحراء في عصر ما قبل التاريخ المتأخر"، تاريخ أفريقيا العام، يونسكو/ مجلد 2، فصل 21

-جوليان، شارل اندريه، تاريخ أفريقيا الشمالية (3ج) تعريب محمد مزالي، تونس 1969
-الجوهري، يسرى، شمال أفريقيا: دراسة في الجغرافية التاريخية، دار الجامعات المصرية، 1970
-الجيلالي، عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام ، ط2، بيروت، 1965
-حسن ، إبراهيم حسن، (1) انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، مكتبه النهضة، مصر، طبعه 3، 1984
(2) تاريخ الإسلام السياسي
-حسن، يوسف فضل، "الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية"، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية، مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي، فصل أول، طبعه أولى، 1984، طبعة ثانيه 1987، بيروت
-حركات - إبراهيم، المغرب عبر التأريخ، الدار البيضاء ، بدون تاريخ
-حقي، إحسان، المغرب العربي، دار النهضة العربية، بيروت
-خطاب، محمود شيت، قاده فتح المغرب العربي (2ج) دار الفكر، طبعه السابعة، 1984
- خماش ، نجده، الإدارة في العصر الأموي ، دار الفكر، طبعه أولى دمشق 1980
- دايزنج، جبيهان، "البربر الأصوليون"، تاريخ أفريقيا العام، يونسكو مجلد 2، فصل 17، ص 431 - 451
-دبوز، محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، طبعه أولى 1964
-دفيس . ج . (1) "التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا" ، تاريخ أفريقيا العام، يونسكو، مجلد 3، فصل 14، ص 403 - 479
(2) أفريقيا من خلال العلاقات بين القارات ، تاريخ أفريقيا العام، يونسكو، مجلد 4، فصل 26، ص 635
-ديفوسن، بازل، أفريقيا تحت أضواء جديده، ترجمه جمال محمد أحمد، دار الثقافة للطباعة والنشر بيروت
-ديشان، هوبير، الديانات في أفريقيا السوداء، ترجمة احمد صادق حمدي، مصر، 1956
-أبو دياك ، صالح محمود، الوجيز في تاريخ المغرب والأندلس، ط. الأولى مكتبه الكتاني، الأردن 1988
-ديلافوس، م. ، (1) تكرور، دائرة المعارف الإسلامية، ج5
(2) السودان . دائرة المعارف الإسلامية، ج12
-دي ميديروس، فرانسوا، "شعوب السودان: تنقل السكان"، تاريخ أفريقيا العام ، يونسكو، مجلد 3، فصل 5

- رياض، زاهر، الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء.
- الظاهر احمد الزاوي ، تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، دار المعارف، مصر، طبعه 2، 1963
- زباديه، عبد القادر، مملكه سنغاى في عهد الاسبقيين 1493 – 1561
الجزائر بدون تاريخ
- زغلول، سعد، تاريخ المغرب العربي، الإسكندرية 1979
زكي، عبد الرحمن ، الدول الإسلامية السودانية بأفريقيا الغربية، المؤسسة العربية لرعاية الفنون والآداب 1961
- سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، طبعه الثانية، الإسكندرية، 1982
- سلامه . ب، (1) "من روما الى الإسلام"، تاريخ أفريقيا العام، مجلد2، فصل 19، القسم 2، ص 513 – 525
(2) "الصحراء في التاريخ القديم"، مجلد2، فصل 20 ، ص 527 – 547
-سيديو، تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، 1948
-سيسوكو/ سينيكى مودي، الصنغى من القرن الثاني عشر الى القرن السادي عشر الميلادي، تاريخ أفريقيا العام، يونسكو، مجلد 4، فصل 8
-شريف، محمد شريف، توطن العناصر الأفريقية الغربية بالسودان، مستخرج من حوليات كلية الآداب جامعه القاهرة، مجلد 24، ج 2، ديسمبر 1962
-شكري، فيصل، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري، مكتبة المثنى، بغداد .1952
-شلبى، احمد،
موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (6جـ) ج 6 خاص بالإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء أفريقية منذ دخول الإسلام، طبعه 3، 1978
-صقر، احمد ، مدنيه المغرب العربي، مطبعة العمل، 1959
-طرخان، إبراهيم على ، (1) دوله مالي الإسلامية، الهيئة العربية للكتاب 1973
(2) إمبراطوري غانا الإسلامية الهيئة العامة للتأليف 1970
(3) إمبراطوري البرنو الإسلامية، الهيئة العامة للكتاب 1975
-طه، عبد الواحد ذنون، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقية والأندلس، طباعه دار الرشيد، بغداد، 1982
-العبادي، احمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية بدون تاريخ
-عبد الوهاب ، حسن حسنى ، ورقات عن الحضارة العربية وأفريقية، مكتبه المنار، تونس، 1964

-غوتية ، اميل فيليكس، ماضي شمال أفريقيا، تعريب هاشم الحسيني، طبعه أولى، طرابلس 1970
-فيج، دي، جي، تاريخ غرب أفريقيا، ترجمة السيد يوسف نصر، طبعه أولى، القاهرة 1982
-فيرون، ريمون، الصحراء الكبرى، ترجمه جمال الدناصوري ، القاهرة 1963
-فيلا، ليفي دالا، مادة الخوارج، دائرة المعارف الإسلامية، جـ 8
- قداح، نعيم، أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، بدرن تاريخ
-كارده فو، مادة تمبكتو، دائرة المعارف الإسلامية، جـ 5
-الكعاك، عثمان، محاضرات في مراكز الحضارة في المغرب من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر الميلادي، المطبعة الكمالية، القاهرة 1958
-لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمه عادل زعيتر، القاهرة 1948
-متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، أو عصر النهضة الإسلامية، تعريب محمد عبد الهادي أبو ريده، الطبعة الثالثة القاهرة 1377 هـ / 1957 م
- محمود ، حسن احمد ، (1) قيام دوله المرابطين، القاهرة 1957
(2) الإسلام الثقافية العربية في أفريقيا . دار النهضة العربية 1963
- محمود بن مكرم، أبو الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت 1955
- مقلد، محمود يوسف، موريتانيا الحديثة، غابرها وحاضرها ، دار الكتاب اللبناني ، طبعه أولى، 1960
- المنجد ، صلاح الدين، مملكه مالي عند الجغرافيين العرب، دار الكتاب الجديد، بيروت 1963
- المنجد في اللغة والأعلام، بيروت 1975
- موسى، عز الدين، "الإسلام وأفريقيا"، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية، مركز دراسات الوحدة العربية، جـ الثاني، طبعه أولى 1984 ، طبعه ثانيه 1987
-مؤنس، حسين فتح العرب للمغرب، القاهرة، 1947
-وايدنر، دونالد، تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء، ترجمه على احمد فخري وشوقي عطا الله. الجمل، 1976
-الوزان، الحسن بن محمد ، المعروف بليون الأفريقي ، وصف أفريقيا، ترجمه محمد حجى ومحمد الأخضر، طبعه الثانية، 1983

بسم الله الرحمن الرحيم

مراجع باللغات الأجنبية

1- Adolff. R. , West Africa, the French Speaking Nations, New York, 1964

2- Barth , H. Travels & Discoveries in North & Central Africa. (1849 - 1855) New York 1957

3- Bovill, E.W. , The Golden Trade of the Moors, 2nd ed. Oxford 1968

4- Briggs, L.G. , The Tribes of the Sahara, London, 1960

5- Cooley, W.O. , The Negro Land of the Arabs, An Inquiry into the early history & geography of Central Africa, Sec. Ed. , 1966

6- Cornevin, R. , ((Gahna)), Encyclopedia of Islam, New ed. , vol. II

7- De la Chapell, F. Esquisse d`une de Sahara Occidental Hesperic ann`ee, 1930 , Tome XI

8- De la fose, M. , Haut senegal – Niger, Paris 1912

9- EL Hasnawi, H. W. , Fezzan under the rule of Awlad Muhamed, Sebha, 1990

10-EL Fasi, M. ((The Islamization of North Africa)), General History of Africa, UNSCO, vol. III sect. III, P.59 – 67

11-Fage, J.D. , (1) A history of west Africa, An Introductory Survey, Oxford 1960
(2) An Atlas of African history , London 1973

12 Fage, J.D. & Roland Oliver, A short history of Africa, penguin African Liberary 1962

13-Fisher, H.J. , ((The Eastern Magrib & Central Sudan)), Cambridge History of Africa, vol. III, 1977, P. 232

14-Hogben, S.J. , An introduction to the history of the Islamic states of Nigeria, Ibadan 1967

15-Havard African studies, vol. X Cambridge, MASS. U.S.A., 1932

16-Herbek, I., ((The spread of Islam in Africa to the South of the Sahara)), General History of Africa, UNSCO, vol. III, Sec. III P. 67 – 81

17-Law, R.C.C. , ((North Africa, in the period of phoenician & Greek colonization C. 800 – 323 B.C.)) , Cambridge History of Africa, vol. II, P. 134

1 -Levtzion, H., (1) ((The Sahara & Sudan from the Arabs conquest of the Magrib to the rise of Almoravids)), Camb. History of Africa, vol. II P. 637 – 480 (2) ((The western Magrib & Sudan)), Cambridge history

of Africa, vol. III, 1977, P. 331 (3) Ancient Ghana & Mali, London, 1973

19-Lewicky, T., ((The Role of the Sahara & Saharians in relations between the North & South)), General History of Africa, UNESCO. , vol. III, Sect. XI, P. 276

20-Murdock, G. P. , Africa, Its people & their Cultural history , New York, 1959.

21 Mauny, R. , ((Trans-Saharan Contacts & the Iron Age in west Africa)), Camb History of Africa, vol. II, P. 272

22-Palmer, Sir R., the Bornu, Sahara & Sudan, London, 1936

23-Trimingham, J.S. , A history of Islam in west Africa , Oxford 1960

دوريات باللغة العربية

1. بشير ابراهيم بشير، "نشأة الدراسات الأفريقية"، مجلة دراسات أفريقيــة، مركــز البحــوث والترجمة، العدد العاشر، الخرطوم 1993 ص 63 – 76
2. تاوت، محمد، "دوله الرستمبين أصحاب تاهرت"، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مجلد5 عدد 2/1، مدريد، ص 105 0128
3. الجنحانى، الحبيب، (1) "السياسة المالية للدولة الفاطمية في المغرب"، مجلـــة الأصالـــة، العدد 49/ 50، 1977، ص 46 – (2) "سياسة الخلافة الأموية تجاه المغرب ولاسيما فـــي الميدان المالي"، مجلة الأصالة، العدد 67، 1979، ص 49 – 59.
4. زكريا جمال، "دور العرب في كشف أفريقيا"، مجلة عالم الفكر، العدد 7، مجلـــد الأول، ص 189، 240.
5. سيد أحمد، عثمان، "الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية"، مجلة دراسات أفريقية، مركز البحوث والترجمة، العدد الأول الخرطوم 1985، ص 27.
6. صالح بن قربه، "حسان بن النعمان ودوره في نشر الإسلام في المغرب"، مجلة الأصالـــة، مجلد 7، عدد 63، 1978م.
7. **طرخان، ابراهيم علي، "الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربـــي"، مجلــة** جامعه امدرمان الإسلامية، العدد الثاني، 1969، ص 8
8. عبد الرحيم، مدثر، "الإسلام والتجانس الاجتماعي في أفريقيا، مجلة دراسات أفريقية"، العدد الأول، الخرطوم 1985.
9. العرافي، السر، "انتشار اللغة العربية في بلاد غربي أفريقيا"، مجلة دراسات أفريقية، العدد الأول، الخرطوم 1985.
10. مكي، حسن، "حوار رسول الإسلام مع أفريقيا"، مجلة دراسات أفريقية، العـــدد العـــاشر، الخرطوم 1993

دوريات باللغة الإنجليزية:

1- Brett, M. , ((Ifriqiya as a market for Saharan trade from the 10th to the 12th century AD.)) , Journal of African History , vol. X , 3 , 1969 P. 347 – 364 .

2- Dc Moracs Farias, P.F. , ((Grcat Statcs Rcvisitcd)), Rcvicw Articlc, J. A. H. , vol. XV , 3 , 1974 , P. 479 - 488

- Law , R.C.C. , ((The Garamnants & Trans – Saharan Enterprise in classical times)), Journal of African history , vol VIII, n. 2 , 1962 , P. 181 – 200 .

4- Lcvtzion, N. , (1) Ibn Hawqual , thc chcquc & Awdghost , J. A. H. , vol. IX, n. 2 , 1968 , P. 223 – 233 . (2) ((Was Royal Succession in Ghana Matrilineal? International Journal of African Studies , vol. V, 1972 .

5 Martin , B. G. , ((Kanem , Bornu & Fezzan , Notes on the political history of a tradc routc)) , J. A. H. , vol. X , 1 , 1969 , P 15 – 27

6- Wrigley, Christopher, ((Speculation on the economic Pre history of Africa)), J. A. H. vol. I , 2 , P. 189 – 203 .

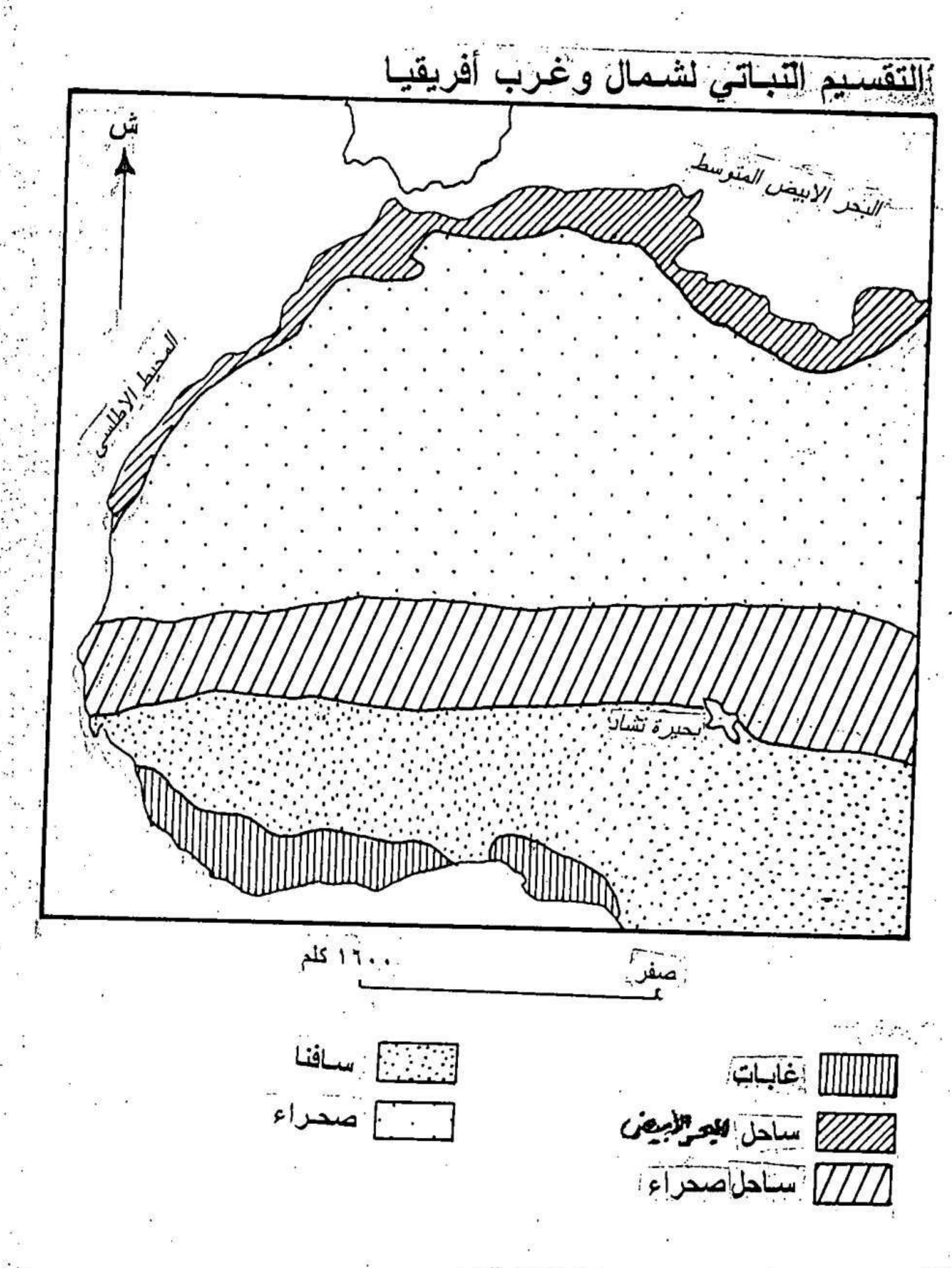
بسم الله الرحمن الرحيم

رسائل جامعيه غير منشوره:

1. احمد، عبد الرحمن حسب الله، جماعات الخوارج في بلاد المغرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رسالة دكتوراه، جامعه عين شمس، 1987
2. إسماعيل، الدرديري حسن ، الحياة الفكرية في بلاد المغرب في عصر الاغالبه في القـــرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي، رسالة دكتوراه، جامعه امدرمان الإسلامية 1412هـــــ / 1992
3. حسين، احمد الياس، (1) الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى حتـــــى مســـتهل القـــرن السادس عشر كما عرفها الجغرافيون العرب، رسالة ماجستير، جامعه القاهرة، 1397هــ / 1977م (2) العلاقات بين مملكه غانه والمغرب العربي فيما بين القرنين الثاني والخـــــامس الهجريين / الثامن والحادي عشر الميلاديين . رسالة دكتوراه، جامعه القاهرة ، 1982
4. السراج، زين العابدين عبد الحميد ، دوله كانم الإسلامية من القرن التاسع حتـــــى الرابـــع عشر الميلادي، الثالث والثامن الهجريين ، رسالة ماجستير
5. عثمان، عبد الجبار عثمان، السنوسية ودورها الديني والسياسي في السودان الأوســـط فـــي القرن التاسع عشر (1253، 1331 هــ / 1837م - 1992 ، جامعه امدرمـــان الإســـلامية، رسالة ماجستير، 1423 هــ / 1992 م
6. عوض الله ، الشيخ الأمين ، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي فـــي عـــهد سلطنتي مالي وسنغي، رسالة ماجستير، جامعه القاهرة فرع الخرطوم، 1976
7. نايف، محمد علي، جهود عقبه بن نافع الفهري في فتح بلاد المغرب ، رســـالة ماجســـتير، الجامعة الأردنية 1409 هــ / 1989
8. يعقوب ، أبو هريرة عبد الله محمود، مظاهر الحضارة في سجلماسه في عهد إمامـــة بنـــي وأسول الصفرية (140 هــ / 366 هــ / 757 - 978) ، رسالة ماجستير، جامعه امدرمان الإسلامية ، 1414 هــ / 1994 م

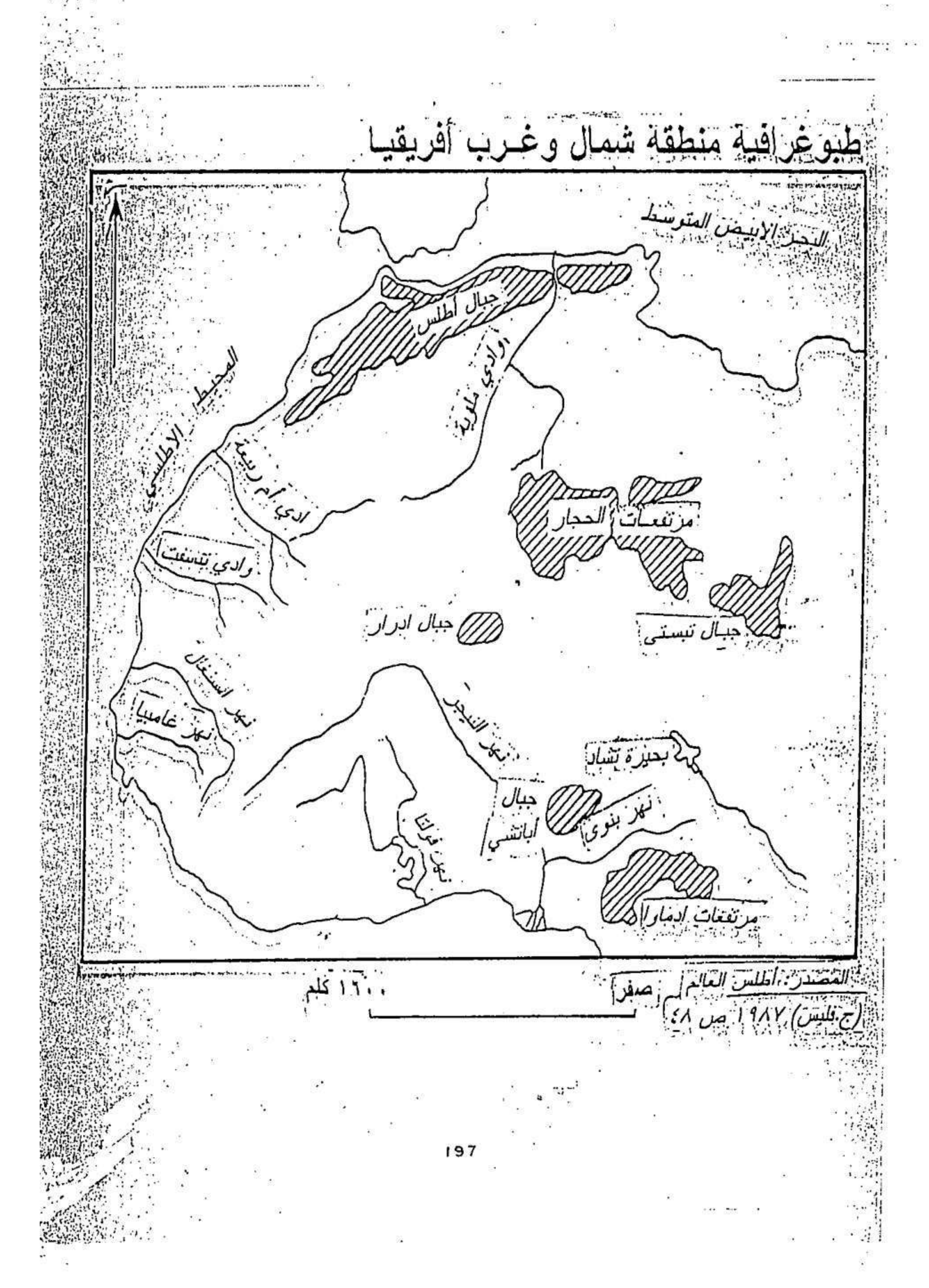
ملاحق

خرط توضيحية



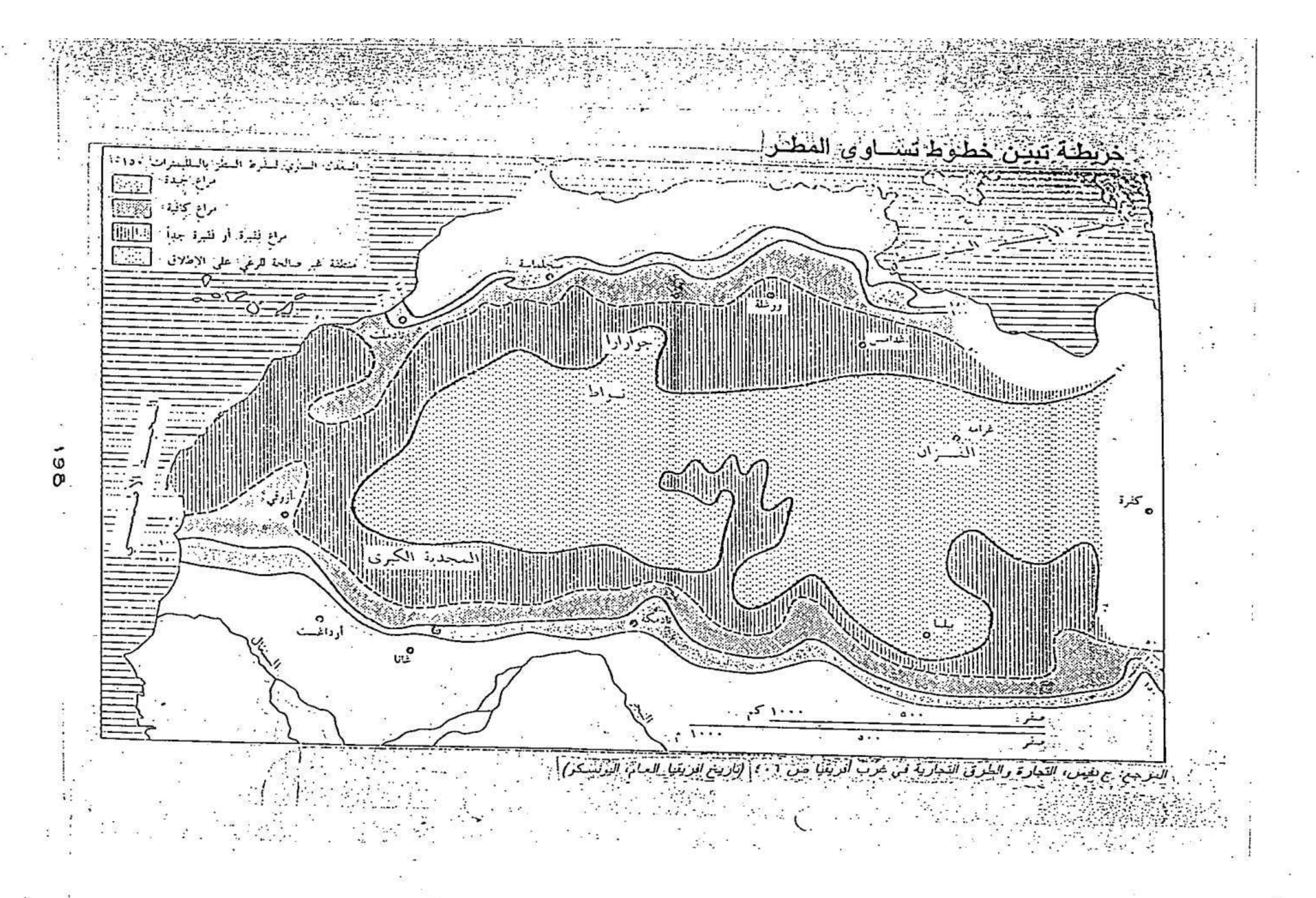
المصدر: اليونسكو، تاريخ افريقيا العام مجلد رقم (١) ص ٦١٢

طبوغرافية منطقة شمال وغرب أفريقيا

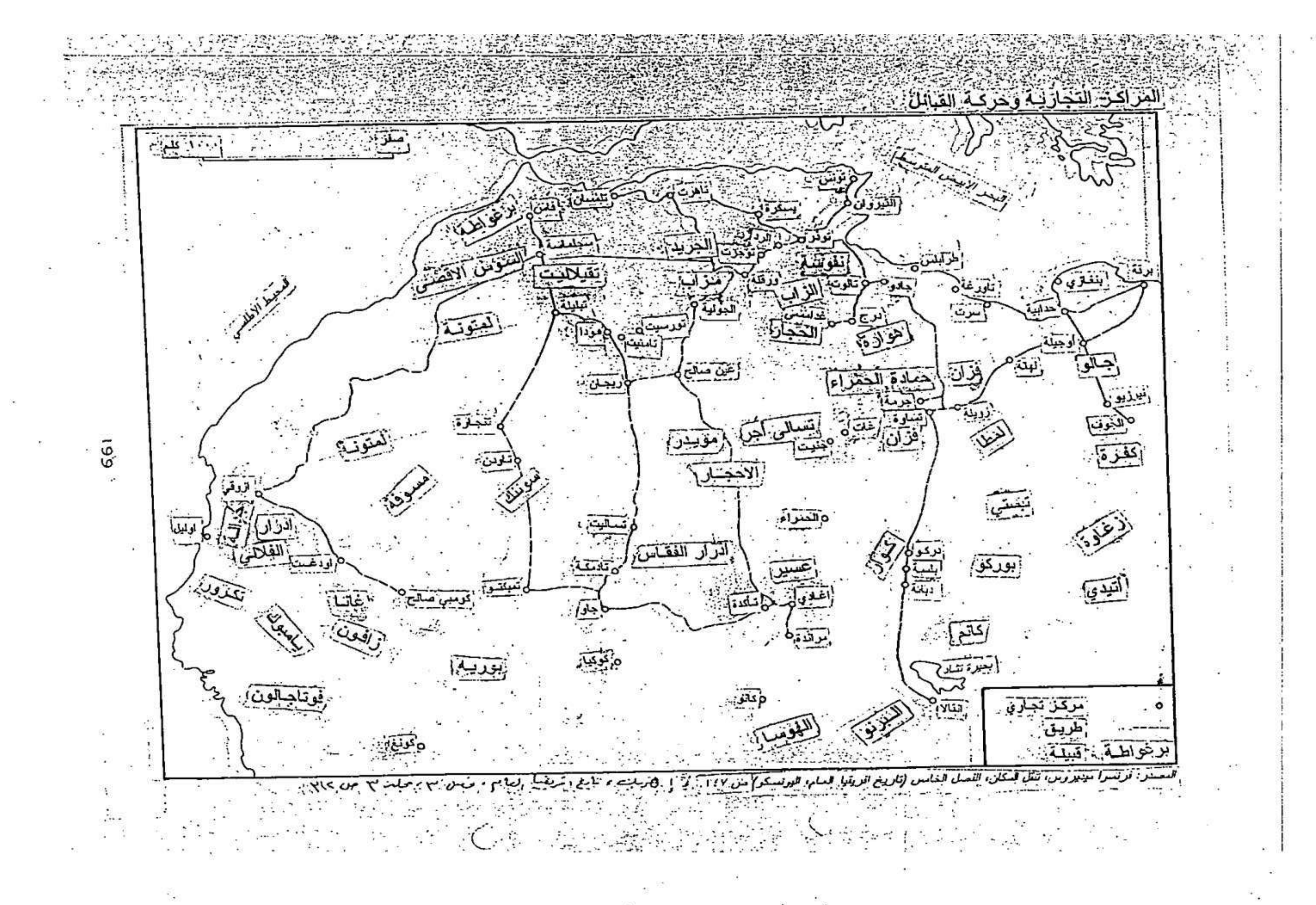


المصدر: أطلس العالم (ج.فليبس) ١٩٨٧ ص ٤٨

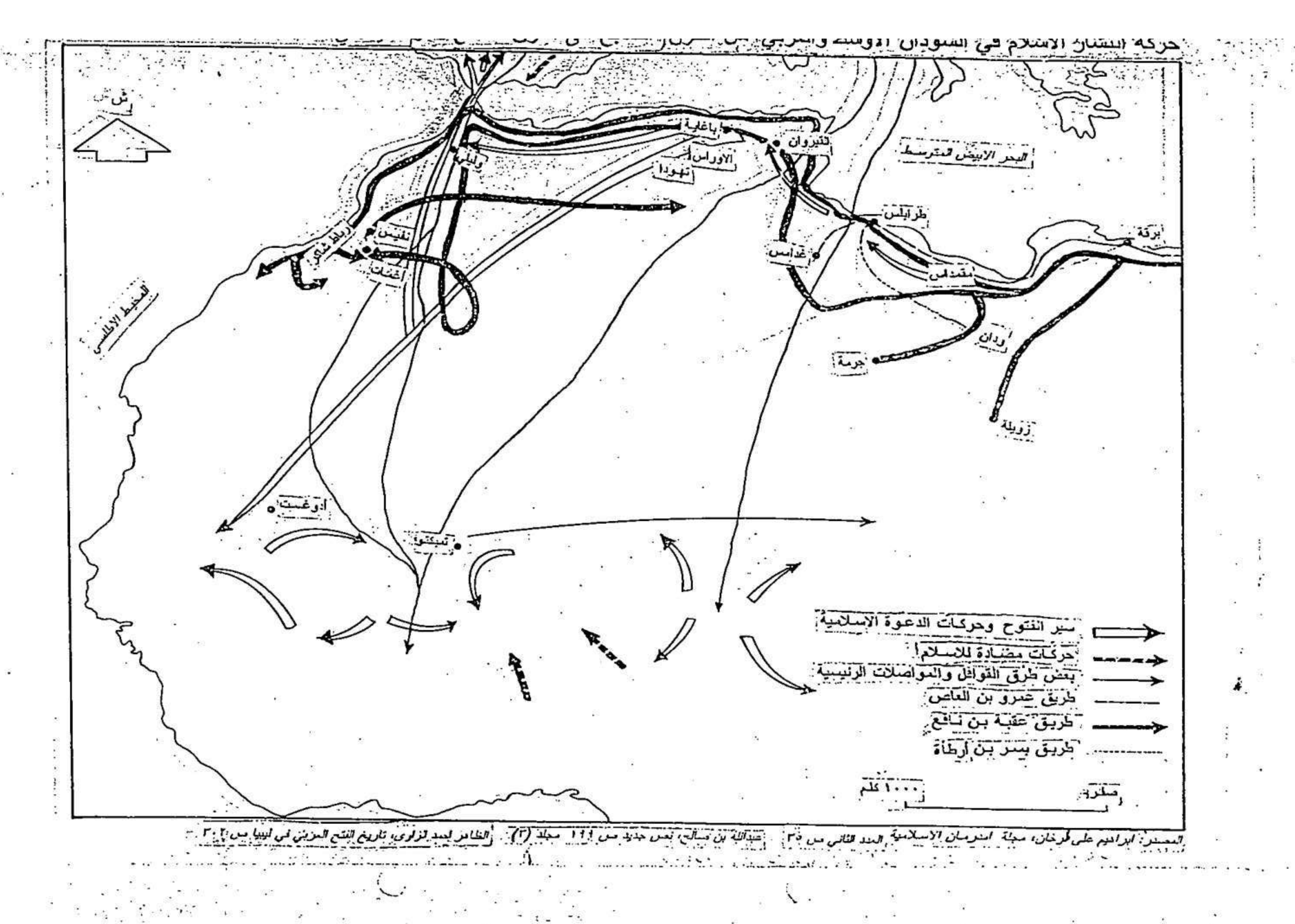
خريطة تبين خطوط تساوي المطر



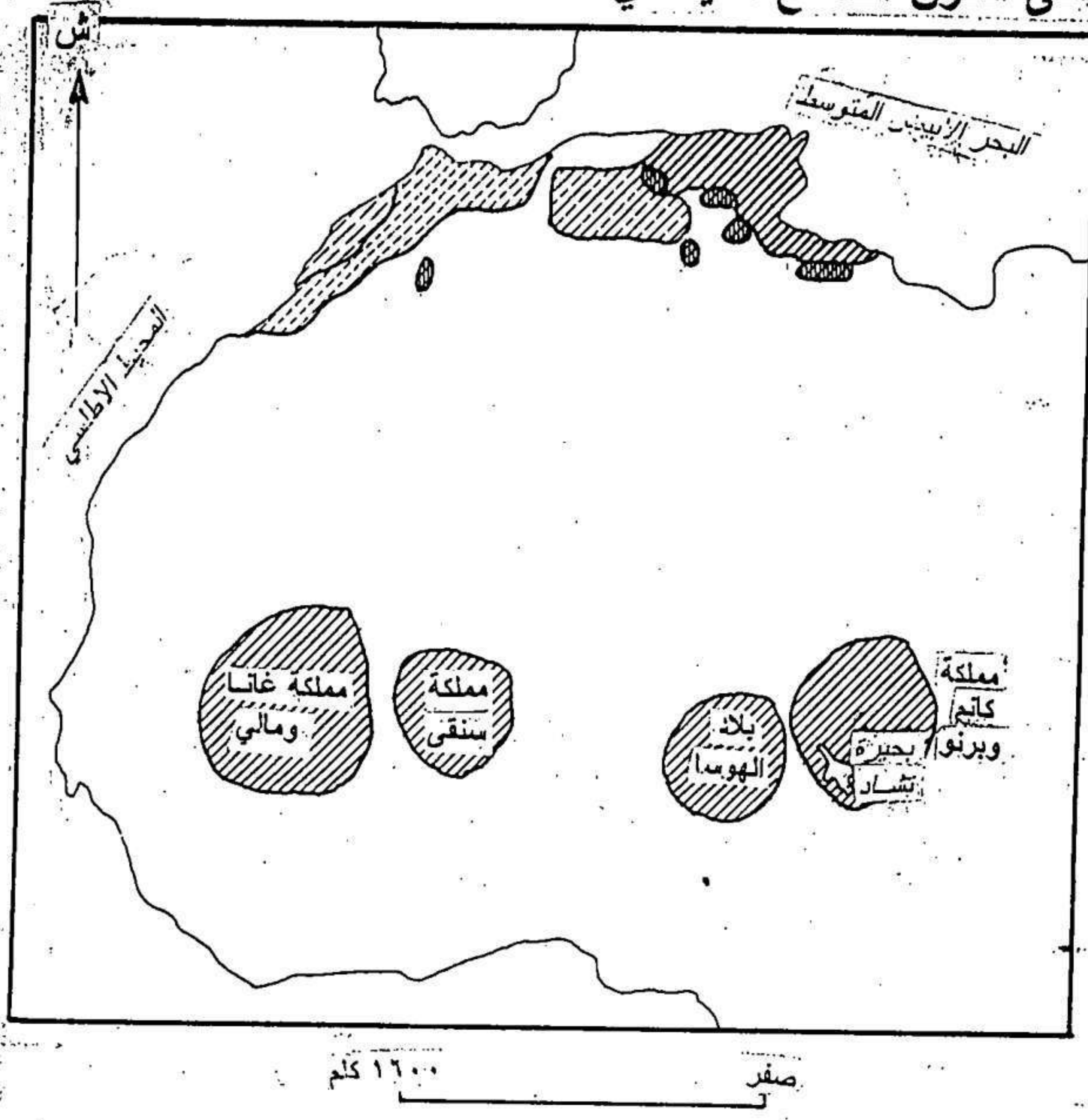
المرجع: ج نيس، التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا ص ٤٠٦ (تاريخ افريقيا العام، اليونسكو)



المصدر: ترنسرا مونيروس، تنقل السكان، الفصل الخامس (تاريخ افريقيا العام، اليونسكو) ص ١٢٧، ... تاريخ افريقيا العام ... مجلد ٣ ص ٢١٢.


حركة انتشار الإسلام في السودان الأوسط والغربي
البحر الابيض المتوسط
المحيط الاطلنطي
القيروان
باغاية
الاوراس
تهودا
وليلي
نفيس
اغمات
رباط شاكر
طرابلس
غدامس
برقة
مقداس
ودان
جرمة
زويلة
اودغست
تمبكتو
سير الفتوح وحركات الدعوة الاسلامية
حركات مضادة للاسلام
بعض طرق القوافل والمواصلات الرئيسية
طريق عمرو بن العاص
طريق عقبة بن نافع
طريق بسر بن أرطاة
صفر
١٠٠٠ كلم
ش
المصدر: ابراهيم علي طرخان، مجلة امدرمان الإسلامية العدد الثاني ص ٣٥
عبدالله بن صالح، نص جديد ص ١١١ مجلد (٣)
الطاهر احمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص ٢٠٢

المغرب العربي من القرن الثاني والثالث الهجري الى القرن التاسع الميلادي



برغواطة

المملكة الادريسية

المملكة الرستمية

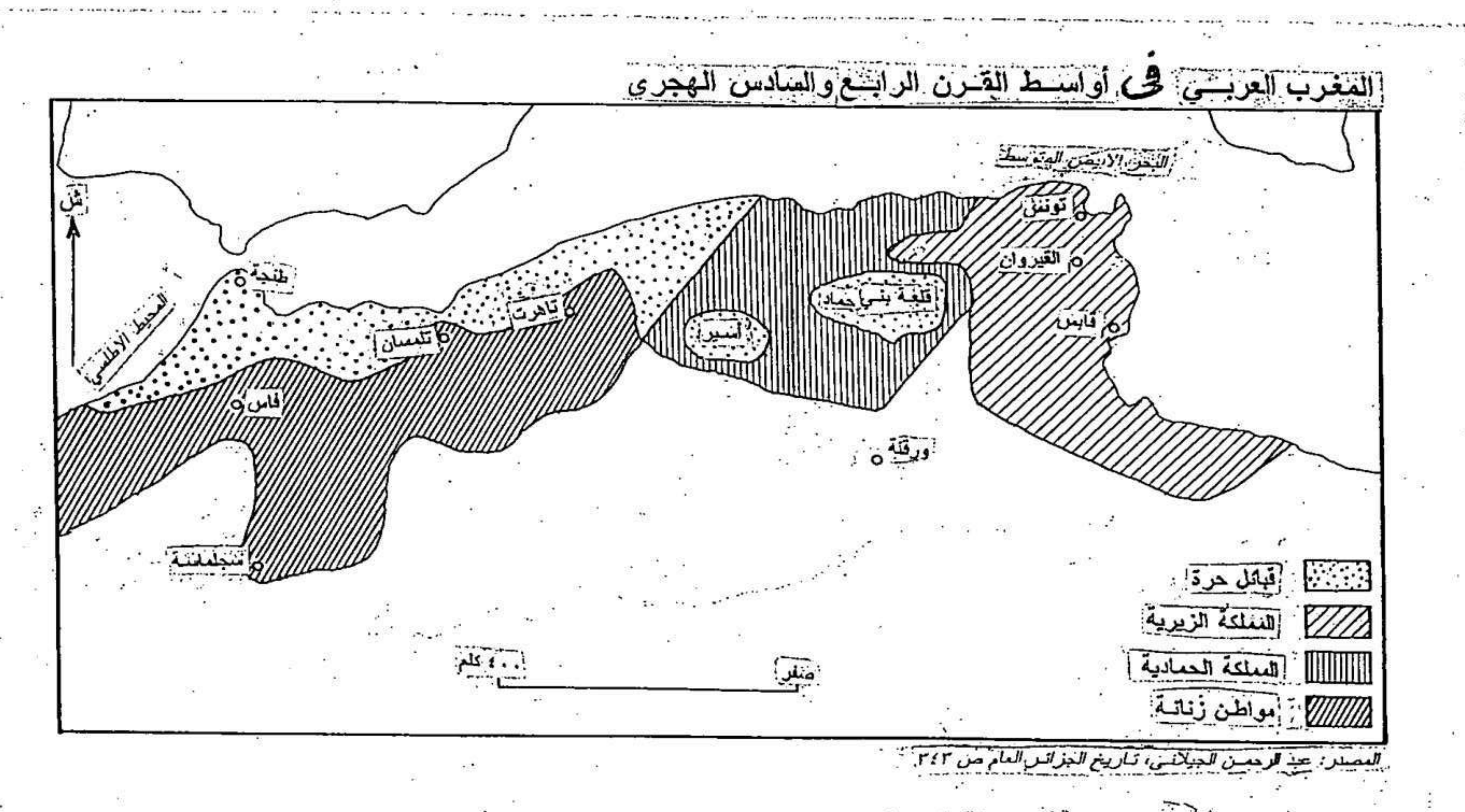
المملكة الاغلبية

مراكز الخوارج

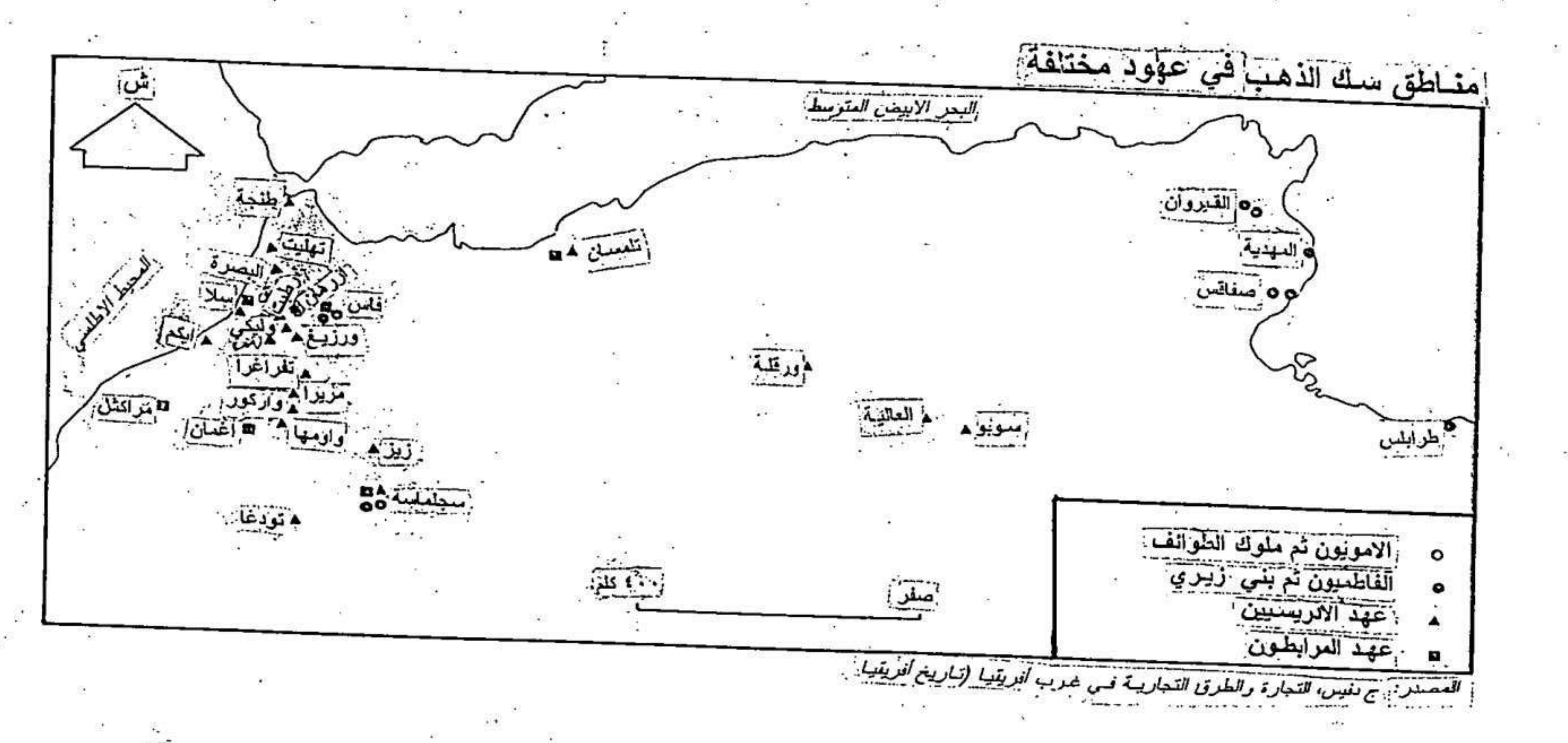
المصدر: حسن أحمد محمود، الاسلام والثقافة العربية في افريقيا ص ٢١٦

الجيلاني، تاريخ الجزائر العام ص ٢٦٣

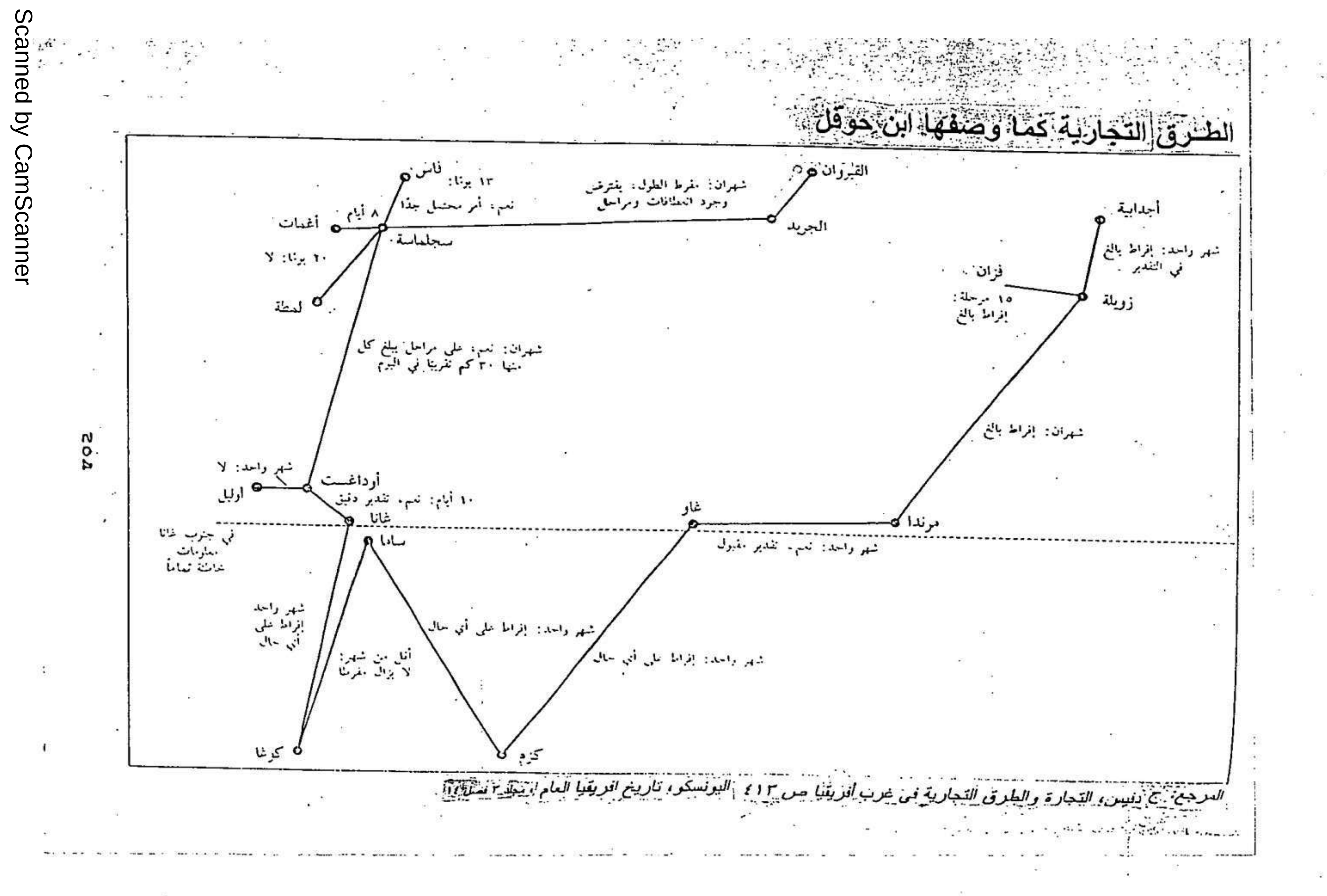
المغرب العربي في أواسط القرن الرابع والسادس الهجري



المصدر: عبد الرحمن الجيلاني، تاريخ الجزائر العام ص ٣٤٣

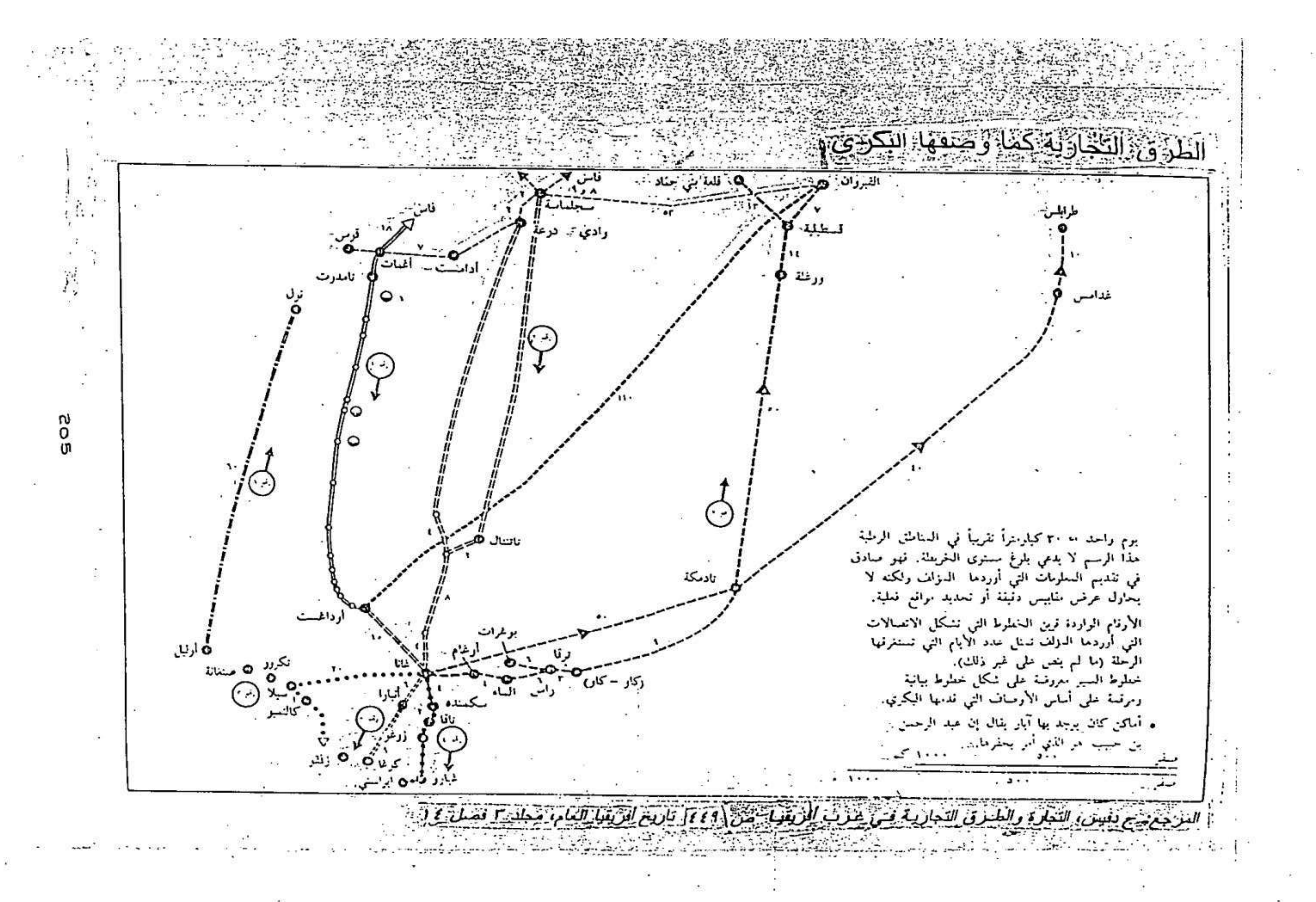

مناطق سك الذهب في عهود مختلفة
البحر الابيض المتوسط
المحيط الاطلسي
ش
طنجة
تهليت
البصرة
سلا
ايكم
فاس
ورزيغ
تفراغرا
مريرا
واركور
مراكش
اغمات
واومها
زيز
سجلماسة
تودغا
تلمسان
ورقلة
العالية
سوبو
القيروان
المهدية
صفاقس
طرابلس
صفر
٤٠٠ كلم
الامويون ثم ملوك الطوائف
الفاطميون ثم بني زيري
عهد الادريسيين
عهد المرابطون
المصدر: ج دنيس، التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا (تاريخ أفريقيا)

الطرق التجارية كما وصفها ابن حوقل



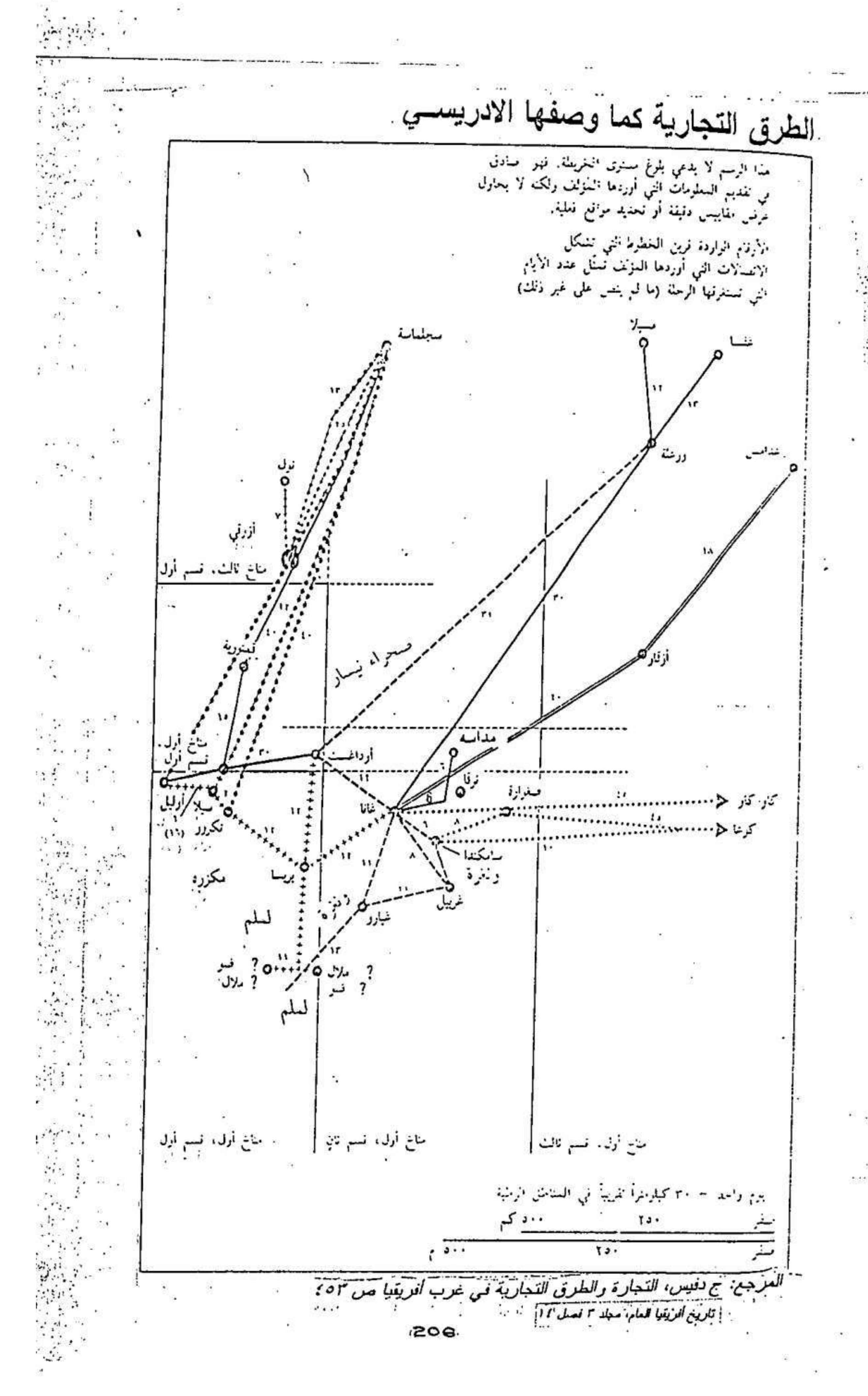
المرجع: ج دنيس، التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا ص ٤١٣ | اليونسكو، تاريخ أفريقيا العام، مجلد ٣ فصل ١٤

الطرق التجارية كما وصفها البكري



المرجع: ج. ديفيس، التجارة والطرق التجارية في غرب افريقيا، ص ٤٤٩، تاريخ افريقيا العام، مجلد ٣ فصل ١٤

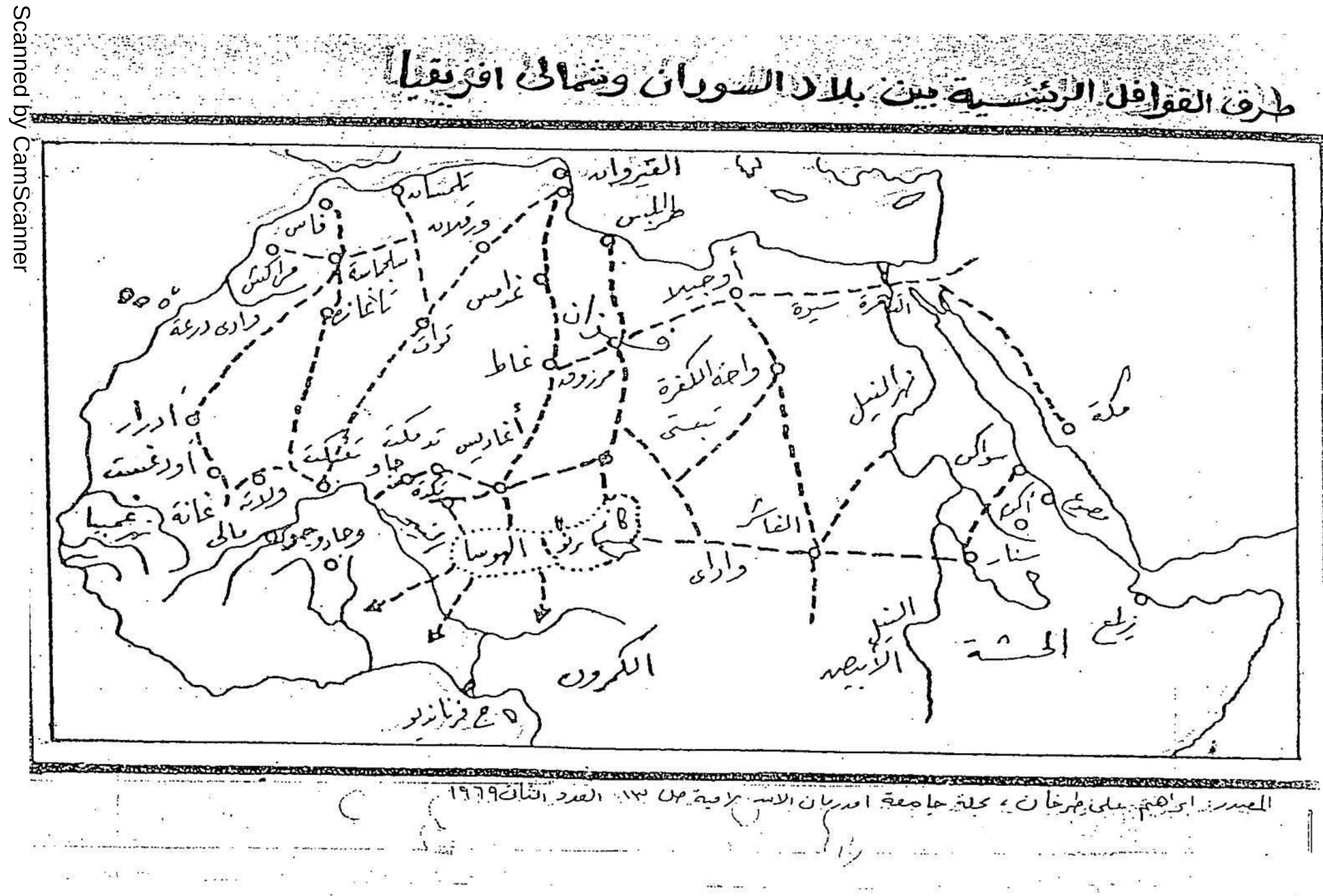
الطرق التجارية كما وصفها الادريسي



المرجع: ج دفيس، التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا ص ٥٣؛

[تاريخ افريقيا العام، مجلد ٣ فصل ١٤]

طرق القوافل الرئيسية بين بلاد السودان وشمالى افريقيا



المصدر: ابراهيم على طرخان، مجلة جامعة امدرمان الاسلامية ص ١٣، العدد الثانى ١٩٦٩